AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

باقون هنا
نتحرر وننتصر

الهدف - فلسطين - العدد 68 (1542) - شباط / فبراير 2025

الجبهـة الشّعبية لتحرير فلسطين

تنعي رفيقها المناضل التاريخي

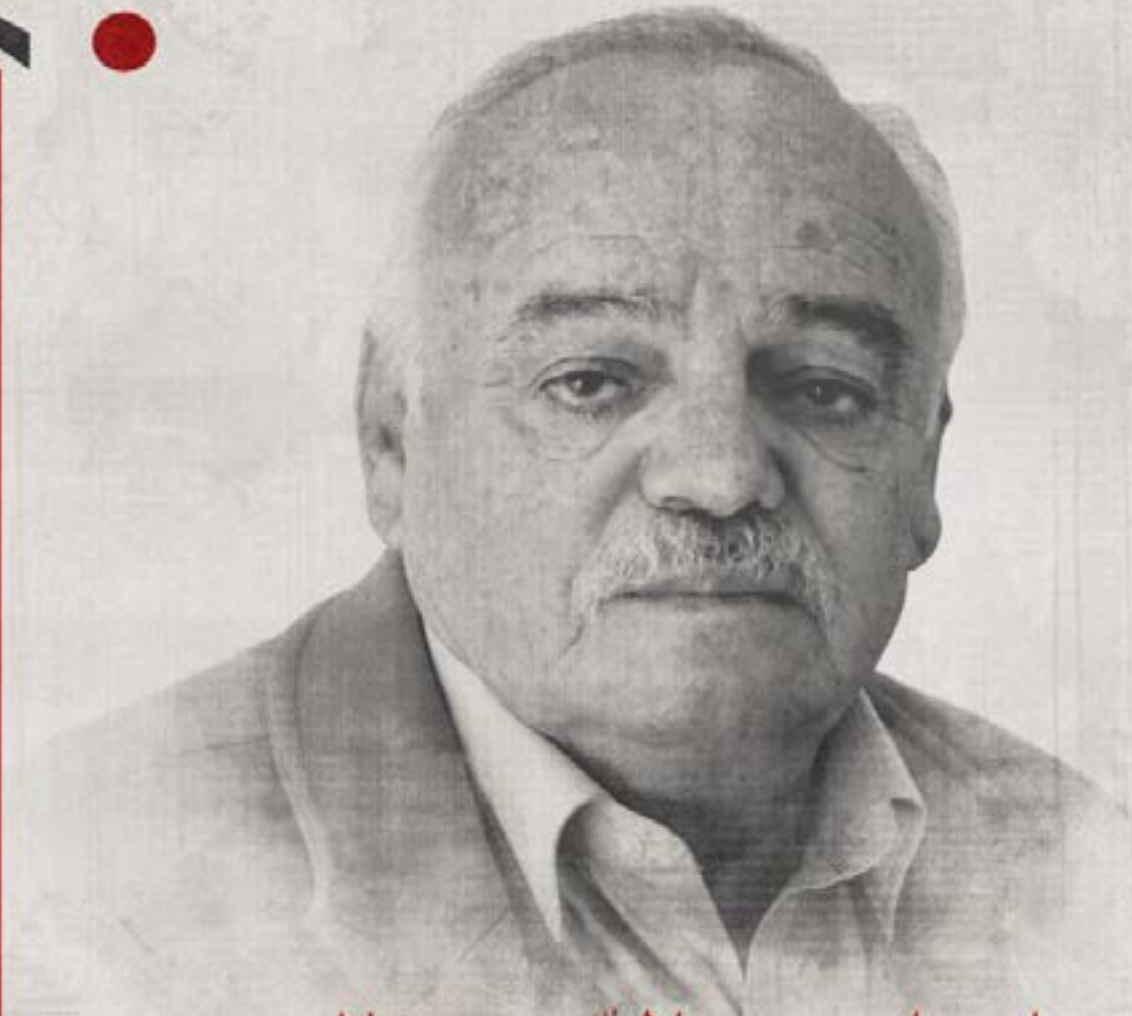

إسماعيل عبد السّميع الجنيدي

«أبو أمل»

من أحد أبرز قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وممثلها في تونس والذي ترجل يوم الأربعاء الموافق 2025/02/26 في تونس بعد حياة حافلة بالنضال والتضحية في سبيل الحرية والعودة والاستقلال

تحديات كبرى وعدوان مستمر
آلام وآمال

شارفت المرحلة الأولى من اتفاق وقف إطلاق النار على نهايتها، لتبدأ المفاوضات حول تفاصيل المرحلة الثانية. تميزت المرحلة الأولى بعودة أهالي شمال قطاع غزة إلى مناطقهم وأماكن سكنهم المدمرة بمشهد لا يتصوره العقل، عوده مكلومة ودامية حدد طبيعتها الانتصار المر فهو الوجود مقابل الفناء، وهو البقاء في مواجهة الاقتلاع والتهجير، فهو الثبات والحياة في مواجهة الانكسار والموت، هذه هي معاني الوطنية والانتماء، معاني الحق والعدل، معاني التضحية والفداء.

عبثاً حاول العدو الصهيوني قتل ومحو إرادة الصمود، وقهر الشعب الفلسطيني وأهلنا في قطاع غزة، وهزيمة المقاومة وحاضنتها الشعبية، لم يتصور هذا الكيان العنصري المصطنع حجم الالتفاف الجماهيري، ومشاهد التحدي والثقة، والظهور المنظم لشباب المقاومة الفلسطينية، وهم يختارون ويعدّون الساحات ومنصات عملية التسليم للأسرى الصهاينة للصليب الأحمر الدولي، التزاماً حضارياً بالاتفاق وعملية تبادل الأسرى. بينما ظهرت صورته الوحشية وهو يتلذذ في ارتكابه لآلاف المجازر والجرائم، ويتغنى بقدرته الوحشية على التدمير الشامل لكل مقومات الحياة بآلات وأسلحة الفتك والقتل الأمريكية، إنها النازية بعينها والفرط سادية، وهكذا تحول في أعين الغرب والمجتمع الدولي من «رمزاً للديمقراطية والحرية وسط شعوب الصحراء المتوحشة»، إلى مجرم حرب مطارد في كل المحاكم الدولية وفي معظم العواصم. تحطمت صورة هذا الكيان بإرادة الشعب وثباته، وصمود المقاومة وتحدياتها، وهكذا انتصر الدم على السيف.

في الوقت الذي تسطع فيه الحقيقة بأن الشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية ضحية الاحتلال والاغتصاب، وحروب الإبادة، والتطهير العرقي، والتمييز العنصري على مدى عشرات السنين، يطل الرئيس الأمريكي ترامب بحلة التاجر والمرابي اللعين، مدعياً قدرته وحرصه على إنهاء الحروب في المنطقة والعالم، ودعمه لإنجاز اتفاق وقف إطلاق النار بمراحله الثلاث، وإتمام عملية تبادل الأسرى، خاصة إطلاق سراح الأسرى الصهاينة، ومزدوجي الجنسية في ظل تنكره لحق الشعب الفلسطيني بالتمسك والعيش على أرضه التاريخية بحرية وكرامة، معلناً أحقية «إسرائيل» بالتوسع والدفاع عن نفسها أياً كانت الوسائل وطرق الإجرام والقتل. ولأن الكيان الصهيوني يمثل مرتكزاً أساسياً واستراتيجياً للأمن القومي الأمريكي في المنطقة والعالم، ومن باب الخوف على مستقبل وجوده، وإزالة كل الأخطار التي تتهدده يطرح مبادرته لحل الصراع «الفلسطيني الإسرائيلي» بنسختها الأسوأ، مما ورد في خطته الشهيرة، وما تلاها في اتفاقات أبراهام المشؤومة، حيث تتلخص فكرتها بتهجير الفلسطينيين إلى الدول العربية، على أن تكون البداية تهجير سكان قطاع غزة إلى مصر والأردن، وتأمين شروط الإقامة المناسبة عبر التبرعات ومساعدات تقدمها الدول العربية الغنية للدول المضيفة لتوفير الرعاية اللائقة.

لم ينتبه هذا الرئيس الأمريكي المهجر والمقامر إلى حقيقة تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه وكامل حقوقه، ومشهد عودة الفلسطينيين أبناء القطاع من الجنوب إلى الشمال رغم بيوتهم المدمرة، وأبنائهم الشهداء والجرحى، والمفقودين تحت الركام، مؤكدين عودتهم الكبرى إلى شمال الشمال، وإلى شرق الشرق، أي إلى كل فلسطين، ولم يتجهوا غرباً لا باتجاه مصر وسيناء، ولا باتجاه البحر.

إن كانت العذابات والآلام وفقدان مقومات الحياة دافعاً للهجرة، إلا أن تحدي مشروع التهجير الذي عجز عن تحقيقه الكيان الصهيوني بكل جبروته وفاشيته، بات دافعاً وطنياً إضافياً لمزيد من الثبات والتمسك بالأرض، وهذا ما أدركه الشعب الفلسطيني بعدم تكرار مأساة اللجوء التي أعقبت الكارثة الكبرى عام 1948، ونسجل هنا موقف الشعوب والدول العربية والمجتمع الدولي وكل أحرار العالم الداعم لحقوق الشعب الفلسطيني، والرافض للبلطجة الأمريكية، ويبقى الموقف الأوضح والأكثر جرأة لرفض مخطط التهجير وللعنجهية الصهيو- أمريكية برسم القمة العربية الطارئة التي دعت إليها جمهورية مصر العربية.

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (68) - (1542) - شباط (فبراير) 2025

الافتتاحية

• تحديات كبرى وعدوان مستمر 1

حوار العدد

• حوار مع الأسير المحرر وائل الجاغوب — حوار: محمد أبو شريفة 4

شؤون فلسطينية

• تحرير الأسرى مقدمة لتحرير فلسطين — أحمد أبو السعود 10
• اليوم التالي... فلسطيني بإمتياز في غزة — أحمد عويدات 11
• تطورات الوضع في غزة مرحلة أولى وتعقيدات الاحتلال بالمرحلة الثانية — علي بدوان 13
• في الهدف 14
• إعادة إعمار أم تطبيع وتطهير عرقي؟ — رضي الموسوي 15
• ملف: التهجير.. مخاطر وتحديات 17
• غزة والضفة في مواجهة التهجير 17
• غزة بين التهجير والصمود: الحلول الممكنة — لمى الشطلي 18
• في مواجهة التهجير في مواجهة السياق الأيديولوجي والتاريخي لمخطط التهجير — وفاء حميد 19
• كرونولوجيا التهجير والتوطين وآليات التصدي والمواجهة — عليان عليان 20
د. وائل الزريعي 22

شؤون عربية

• الأمين العام لحزب النهج الديمقراطي العمالي المغربي جمال براجع — حوار: محمد أبو شريفة 27
• السودان تحت الوصايا والانتداب الأممي — د. محمد حسب الرسول 30

شؤون دولية

• فلسطين تفرض نفسها على الانتخابات الأمريكية رغم كل محاولات الإقصاء (2/3) — د. رباب ابراهيم عبد الهادي 33
• عندما يهز العالم العصا في وجه ترامب؟! — محمد صوان 37
• أيرلندا وفلسطين: مواقف وتأريخ سياسي مشترك — كاظم الموسوي 39
• خبر وتعليق بين الجنون والواقع.. — محمد حسين 40
• الشرق الأوسط في أتون التغيير — علي زيدان 41

شؤون العدو

• أزمة الهويّة في الكيان الصّهيوني — د. سامي الشّيخ محمد 43
• ماذا ينتظر نتنياهو؟ — موسى جرادات 44
• بين الدعم والتراجع: كيف أضرّت مواقف ترامب باليمين الإسرائيلي ونتنياهو؟ — نبال عمر 45
• الولايات المتحدة وإسرائيل التاريخ المشبوه "الانصهار مع الشر" — د. محمد عياش 46

• دراسات الهدف: الاستيطان في الضّفّة الغربيّة هل هو عامل احتراب أم عامل لحمة؟ (2/1) — **د. انتصار الدّنّان** 44

• ترجمات الهدف: — **ترجمة: نور نوارة** 45

• تحقيق الهدف: ارتداد التحوّلات السورية على فلسطينيي سورية في تركيا.. — **إلهام الحكيم** 46

شؤون ثقافية

• المثقفون الوطنيون الفلسطينيون، والقائمون على الثقافة الفلسطينية.. صراع أم تجاذب؟ — بسّام عليّان 55
• في الحاجة إلى أدب فلسطيني جديد — أحمد علي هلال 56
• غاب مبدع الفانتازيا التاريخية» هاني السعدي — بسام سفر 57
• كتّاب غزة الشهداء (1) — د. ثائر يوسف عودة 59
• قيس الزبيدي... — موسى مراغة 61
• ورقة من غزة لغسان كنفاني — حليمة أبو ستة 63
• رسالة لسيدات الغد — د. نجلاء الخضراء 64
• حكاية تشبه كلّ الحكايات (2) — محمد بلال 65
• ليتنا لم نمت قبلكم — قاسم حداد 66
• تحت كلّ فضيحة فضيحة — عبد النور الهنداوي 66

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

حوار الهدف

الأسير المُحرّر

وائل الجاغوب

أجرى الحوار: محمد أبو شريفة مدير تحرير مجلة الهدف

هو نموذج المناضل المثقف المشتبك والذي عانق الحرية في صفقة طوفان الأحرار، مجلة الهدف وفي الأيام الأولى للحرية تحاور الرفيق المناضل وائل الجاغوب الذي قضى أكثر من عقدين في الأسر ضمن جولة أفق حول ظروف الاعتقال في سجون الاحتلال خاصة بعد السابع من أكتوبر والوقوف أمام تجربة الحركة الوطنية الأسيرة، ودور الأسرى في صياغة رؤية وطنية موحدة، ومآلات المشروع الوطني التحرري في ظل حرب الإبادة بالإضافة الى استخلاص الدروس من تجربة الأسر، ووصف مشاعر الساعات الأولى من الحرية.

ولد وائل نعيم أحمد الجاغوب، في 23 من مايو/أيار 1967، وتوفي والده عندما كان عمره 4 أعوام.

وفي 1992، اعتقله الجيش الإسرائيلي، وحكم عليه بالسجن 6 سنوات بسبب نشاطه المقاوم للاحتلال، ثم أطلقت سراحه في العام 1998.

وبعد عام من اندلاع انتفاضة الأقصى في 2000، اعتقله الجيش الإسرائيلي مرة أخرى، حيث تعرض لتحقيق قاس، وحُكم عليه بالسّجن مدى الحياة، بتهمة تنفيذ عمليات مسلحة ضد أهداف للجيش الإسرائيلي ومستوطنين في محافظة نابلس.

وخلال سنوات أسره، تعرض الجاغوب، للعزل الانفرادي مرات عديدة، بسبب تأثيره على المعتقلين وبث الوعي ونتيجة للعزل حُرم الجاغوب من الزيارة عدة سنوات. ولم يكن الجاغوب، أسيرا فاعلا على المستوى التنظيمي فحسب، بل على مستوى الأدب والمعرفة أيضا.

حيث أصدر خلال سنوات الأسر عدة كتب، وشغل الجاغوب، نائب مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في سجون الاحتلال.

وتم الافراج عنه ضمن اتفاق وقف إطلاق النار في غزة وتبادل الأسرى الذي دخل حيز التنفيذ في 19 يناير/ كانون الثاني الماضي حيث أفرجت سلطات الاحتلال عن 200 أسير فلسطيني بينهم الجاغوب، مقابل 4 مجندات إسرائيليات.

■ 1. هل تحدثنا عن تجربة الحركة الأسيرة في مواجهة الاحتلال؟

تجربة الحركة الأسيرة تجربة مميزة في مواجهه الاحتلال ولعلها من التجارب النضالية الهامة التي تشملها تجربة الحركة التحررية الوطنية الفلسطينية. وهذه التجربة تمتاز بأنها تتواجد أولا في واقع خاص، واقع المواجهة المباشرة اليومية مع المنظومة الاستعمارية وجها لوجه سواء بالشق المتعلق في المواجهة المباشرة والاشتباك المباشر في نقطة التحقيق أو نقطه الاعتقال داخل المعتقل. وتمتاز التجربة بأشكال مقاومتها اليومية الشاملة داخل الأسر بحيث أن الأسير الفلسطيني يواجه السجان ويحاول الأسير أن يمتلك ويسيطر على زمانه ويحاول أن يفرض واقعه وأن ينتج لحظته. حيث أن الأسير الفلسطيني يؤمن ويعي أن لحظته يجب أن يصنعها بنفسه دون انتظار وبالضرورة أن يكون مبادرا، وبالتالي تجربة الحركة الأسيرة هي تجربة مبادرة والقدرة على صناعة اللحظة والتصدي للمهمة وخلق واقعه بشكل آخر مختلف عما يسعى السجان إليه.

فالسجان يسعى إلى إيجاد واقع من أجل التجهيل ومن أجل كسر البعد المعنوي ومن أجل إعادة صياغة الوعي بحيث ينتج وعيا متأقلما، وبالمقابل الأسير يحاول أن يحافظ على إنسانيته أولا ويحاول أن يحافظ على قيمه ثانيا، ويحاول أن يحافظ على واقعه النضالي ثالثا، ويحافظ على وعيه رابعا وبالتالي فان نقطة الاشتباك تتم بين زمانين في واقع الاعتقال فهو واقع صغير ومحدود الحركة ويمثل نقطة اشتباك مركبة متداخلة لنقطة يقدم من خلالها الأسير العديد من التضحيات من أجل أن يكون منتصرا في هذه النقطة بحيث يدافع عن أبسط الأمور بشكل يومي في مواجهة السجان، وبالتالي فإن هناك ميزات عدة لتجربة الحركة الأسيرة ونضال الحركة الأسيرة ضمن خصوصية واقعها وبالتالي قراءتها بالضرورة أن تتم وفق قواعد تتعلق بخصوصية هذا الوضع. حيث لا يمكن قراءتها دون الحديث عن البرنامج أولا والذي يمتاز به الأسرى فهو برنامج ثقافي، برنامج إداري ،برنامج يومي، برنامج حياتي وبرنامج اجتماعي ينظم سلوك الأسرى أو مجتمع الأسرى داخل المعتقل ويحافظ على جهود العمل والفعل الجماعي بشكل منظم وبالتالي البرنامج هام جدا بالقراءة. والنقطة الثانية هي نقطة الوعي هي التي تحكم البرنامج وهو الوعي الثوري التغييري الذي يمتاز به الأسرى بشكل أساسي وهي

> **تجربة الحركة الأسيرة هي تجربة مبادرة والقدرة على صناعة اللحظة والتصدي للمهمة**

من أهم النقاط عندما نتناول الحديث عن الحركة الوطنية الأسيرة.

وفي الخلاصة، فإن تجربة الحركة الأسيرة هي تجربة مميزة ورائدة، ويمكن الاستفادة منها بشكل عالي جدا، وباعتقادي أن الاستفادة منها يكون من خلال المبادرة التي امتازت بها فهي لم تكن خاملة ولم تكن غير مبادرة وكان هناك حراك دائم ووعي دائم ولم يكن لديها أي التباس في تحديد من هو العدو، والحديث عن تجربة الحركة الأسيرة ومكوناتها ودورها أوسع من أن أشمله في عدة سطور أو عدة دقائق لأنها تجربة ترتبط بنضال الشعب الفلسطيني، وتمثل نقطة اشتباك متمايزة بتجربة حركة التحرر الوطني الفلسطيني.

■ 2. ماذا عن تجربة الاعتقال بعد 7 اكتوبر 2023؟

لعل الحديث عن تجربة الاعتقال ما بعد السابع من أكتوبر تمثل بشكل أو بآخر محطة متمايزة أخرى حيث تم إعلان الحرب والعدوان على الحركة الوطنية الأسيرة داخل السجون، وتم إعلان الحرب على الإنسان الفلسطيني القابع في المعتقل، وتم إعلان الحرب بشكل مباشر ومن اللحظة الأولى ومن الساعة الأولى كما تم إعلانه على كل أبناء شعبنا في كل مكان أولا في غزة وفي كل المواقع الأخرى.

هي حرب على الكل الفلسطيني لكن الحركة الأسيرة نالت نصيبا عاليا من هذه الحرب وأعادتها إلى نقطة الصفر بمعنى تجريد الأسرى وانتزاع كل إنجاز حققه الأسرى على مدار سنوات واستهداف الإنسان الفلسطيني. المسألة تتعدى شروط الحياة، ما تم بعد السابع من اكتوبر هو استهداف للمناضل الفلسطيني القابع داخل المعتقل من خلال عملية شاملة طالت كافة الجوانب من الحصار والتجويع من العزل والقطع عن العالم الخارجي بشكل دائم، من إنهاء وتقديم أي رعاية أو متابعة طبية بل على العكس محاولة تعميق الأمراض وخلق الظروف التي يمكن من خلالها أن تتهاوى هذه الأجساد بالمرض وإيقاف العلاج والأدوية اللازمة بالإضافة إلى الإعتداء بالضرب الدائم أو تكريس حالة من الخوف ما بين الأسرى ووصولا إلى حالات القتل والتي تجاوزت أكثر من 60 شهيدا في الحركة الأسيرة وبالتالي الحديث يدور عن استهداف شامل.

لقد تم اعتماد عدة سياسات قمعية ضد الأسرى ما بعد 7 اكتوبر وكانت مريرة وصعبة وقاسية طالت كل مكونات الأسرى سواء كانوا رجالا أو نساء، صغارا أو كبارا. لم يتم التمييز كانت التعامل مع الجميع بشكل وحشي وبمثابة جريمة حرب متكاملة الأركان.

وهذه الجريمة لا يمكن الحديث عنها فقط بمنظار القانون الدولي ولكن يمكن التحدي أنه بالقوانين التي وضعها المستجتمع الصهيوني نفسه تعد جريمة حرب تمت داخل المعتقل بحيث أنه أصبح لكل سجان قانون، ولكل سجن قانون فالسجان يمكن أن يعتدي عليك بالضرب ويمكن أن يقتلك دون أن يتم سؤاله أو محاسبته أو التوقف أمامه. والمسألة الأخرى التي كانت مهمة داخل المعتقل الصهيوني هي محاولة تجريد الأسير الفلسطيني من إنسانيته بحيث إفهام

السجان أننا « مخربين»، هذا الحديث لم يكن بشكل واضح قبل 7 أكتوبر.

ما بعد السابع من أكتوبر أصبح الحديث عن «مخرب» وبالتالي التجريد من بعدك الإنساني وإعادة إنشائك ك»مخرب» والسماح بقتلك وبالتالي نظرة السجان أنه يمكن أن يقتلك دون أن يكون له حتى أي أدنى تأنيب ضمير .

نتحدث عن ظروف صعبة جدا وخطيرة جدا، ومعاناة آلاف الأسرى ما تزال قائمة والخطر يهدد حياتهم ونحن يمكن أن نتابع حالات الاستشهاد والإصابات بحيث لم يخرج أسير فلسطيني دون كسور ودون اعتداءات ودون آثار نفسية مختلفة. وهنا نتساءل ما الهدفية من بعد 7 أكتوبر باعتماد هذه الإجراءات؟

أولا فقدان الأمل بشكل كامل متكامل وبالتالي الدخول في حالة يأس والثانية فقدان الثقة في المقاومة وخيار المقاومة، والثالثة فقدان الثقة في القيادة السياسية للمقاومة وهذا ما يمكن أن يدفع الأسير في مرحله ما أن يضع حدا لحياته وأن يحاول الانتحار وفق تجارب سابقة كانت موجودة في مناطق أخرى من العالم. تجربة الحركة الأسيرة لم تكن بهذا الشكل فالأسير الفلسطيني تمكن من الصمود والصبر واستطاع أن يواجه كما يجب حيث كان يدرك أن هذه الساحة إحدى ساحات المواجهة والمعركة، وبالتالي استطاع أن يصمد ما بعد السابع من أكتوبر لكن إجراءات ما بعد 7 أكتوبر بالضرورة أن يتم الوقوف أمامها وتسجيلها وتوثيقها وملاحقة كل من كان مسؤول عنها.

■ 3. كيف تقيم دور الأسرى في صياغة رؤية وطنية موحدة؟

باعتقادي أن للأسرى دورا هاما في صياغة الرؤية الوطنية الفلسطينية وما نحتاجه اليوم بشكل رئيسي هو الخطاب الوطني خطاب الهوية الوطنية وخطاب الثقافة الوطنية وخطاب الوحدة الوطنية.

وباعتقادي أن تكون حلقتنا المركزية اليوم هي الوحدة من أجل صد العدوان وهذا العنوان الرئيسي وهذا ما ينظم خطاب الأسرى وغالبية الأسرى المحررين يدركون أهمية الوحدة الوطنية ويعون أنها رافعة الانتصار. دون وحده وطنية لا يمكن أن نستطيع تحقيق أي إنجاز، ولا يمكن أن نستطيع أن نصد هذا العدوان ونتصدى له بكفاءة ودون ذلك سنبقى بحالة من التشتت والترهل والإرباك والإرتباك وبالتالي فإن هناك حاجة ملحة لإعادة صياغة الحالة الوطنية راهنا ضمن تشكيل قيادة وطنية مؤقتة للشعب الفلسطيني التي تنتظم على قاعدة هدفية واحدة هي صد العدوان. وأيضا تشكيل حكومة ائتلاف

> **تم اعتماد عدة سياسات قمعية ضد الأسرى ما بعد 7 اكتوبر وكانت مريرة وطالت كل مكونات الأسرى**

وطني متوافق عليها وطنيا بصيغة ما من أجل وحدة جغرافيا الوطن الضفة القدس وغزة، وأن تقوم على إعادة إعمار غزة، وأن تمثل حالة ميدانية يمكن الإرتهان والعمل عليها وبالتالي تعمل وفق أهداف محددة لنظم الحالة الداخلية وتعميق سيادة القانون في مواجهه الفساد، وبعد ذلك الترتيب والتحضير من أجل انتخابات فلسطينية لكل الشعب الفلسطيني بكل أماكن تواجده على طريقة إعادة ترتيب وإحياء منظمة التحرير الفلسطينية، وإعادة هيكلة المؤسسات بشكل صحيح كعنوان للشعب الفلسطيني وبوصف منظمة التحرير الشخصية الهامة التي يجب الحفاظ عليها وطنيا، وهذه المسالة هامة جدا وهي انجاز الوحدة الوطنية الآن بكل المكونات دون استثناء أحد .

■ 4. إلى أين ترى المشروع الوطني التحرري يسير وخاصة في ظل حرب الإبادة؟

إشكالية المشروع الوطني التحرري إشكاليات متعددة منها أولا الحديث عن القضية، فعندما نتحدث عن القضية الوطنية الفلسطينية نتحدث عن مجموعة مركبات، المركب الأول في القضية هو الإنسان وأن يكون كل الاهتمام والاستثمار بالإنسان الفلسطيني وكل الحفاظ والرعاية والتنمية هي للإنسان الفلسطيني. المركب الثاني هي الأرض ولا يمكن الحديث عن قضية دون الحديث عن علاقة هذا الإنسان بالأرض وعن جدلية هذه العلاقة فيما بين الإنسان والأرض، والمركب الثالث لهذه العلاقة هو الوعي والذاكرة، وتاليا نحن نتحدث عن ثلاث مركبات أساسية تمثل المرتكز الرئيسي للمشروع الوطني الفلسطيني الذي يعاني من أزمة عدم الإنجاز الذي لم يتحقق ولم يتم انجاز المهمة وهي مهمة التحرير. وأيضا هذا المشروع الوطني الفلسطيني عانى من أزمة الإنسان ودوره ومكانته وكيف نرى الفلسطيني داخل هذه المشروع التحرري؟ .

بإعادة صياغة برنامج التحرر الوطني الفلسطيني ومن خلال مشاركة الجميع بالحوار بحيث لا يمكن أن نعيد صياغة هذا البرنامج دون الوحدة الوطنية ووحدة الشعب الفلسطيني بكافة أماكنه على قاعدة وجود 15 مليون فلسطيني، والعمل على تقييم التجربة ضمن السياق التاريخي واستخلاص العبر والدروس، إن مشروعنا الآن في مأزق ويجب أن نعي هذا المأزق ونعي مفاعيله .

فيما يتعلق بالإبادة، إن المشروع الصهيوني وعلى مدار أكثر من 75 عاما يعمل من أجل التخلص من الشعب الفلسطيني وتفكيك الشعب الفلسطيني وهو مشروع تطهير عرقي وتهجير وهو مطروح الآن على الطاولة وبالتالي فإن خطر الإبادة يجب أن يحفزنا على المواجهة وعلى إعادة صياغة المشروع الوطني التحرري.

■ 5. كيف تفسر السلوك الإجرامي للكيان وانكشاف باطنه الوحشي؟

نحن نتحدث عن مشروع صهيوني يحمل كافة مواصفات المشاريع الاستعمارية التقليدية، يضاف له خصوصية ممارسته الوحشية وبالتالي ما تم من وحشية لا أعتقد إنه غريب

عن جوهر هذا المشروع، لأنه قام وما زال على قاعدة التخلص من الفلسطيني وإشكالية هذا المشروع إنه لم يستطع تحقيق هذه المهمة، لم يستطع تفكيك الفلسطيني، لم يستطع طرد الفلسطيني، لم يستطع إبادة الفلسطيني، الفلسطيني ما زال موجود على أرضه، يحافظ على ذاته وما زال متشبث بأرضه ويحافظ على ذاكرته ويناضل ويقاوم، وبالتالي المأزق الحقيقي للمشروع الصهيوني هو أنه لم يستطع أن يهزم هذا الفلسطيني لذلك يلجأ إلى الجريمة فهذا المشروع تأسس أصلا على الجريمة وقام أصلا على الجريمة، وبالتالي ليس هناك استغراب أو غرابة أو محاولة اندهاش من السلوك العدواني الذي تم وهذا الأمر بنيوي في تعامل هذا الكيان الصهيوني تجاه الشعب الفلسطيني، الجريمة لم تتوقف منذ العام 1948 وما قبل ذلك ولم تتوقف حتى يومنا هذا بحق الإنسان الفلسطيني الثابت على أرضه، هي جريمة مستمرة ومتكاملة.

■ 6. أين اليسار الفلسطيني من قراءة مجريات الأحداث في فلسطين ودول الإقليم، وما هو المطلوب من الجبهة أمام كل تلك التحديات؟

اليسار بتقديري الشخصي يعاني من أزمة وربما تكون هذه الأزمة الآن جدية وعميقة، وهي تحولت أيضا إلى مأزق، فاليسار الفلسطيني غادر مرحلة الأزمة الموضوعية، وأصبحت الأزمة بداخله بمعنى هناك ذاتية الأزمة لدى اليسار الفلسطيني التي أنتجت الحالة النخبوية اليسارية وأصبح وجودها مرهون بالأزمة، بمعنى استمرار الأزمة هو استمرار لهذه الحالة القيادية، بالتالي هذه الحالة القيادية أنتجت ثقافة الأزمة كما أنتجت ثقافة الفقر، وثقافة قلة الحيلة وأنتجت مسائل أخرى مختلفة، وبالتالي اليسار الفلسطيني يعاني من إشكاليات متعددة من الضرورة أن يتم الوقوف أمامها والحديث عنها لكن هل هناك أفق لليسار الفلسطيني؟ نعم، اليسار الفلسطيني ليس فقط قوة

سياسية، فهي حالة لها أبعادها الاجتماعية والقيمية والثقافية، ولها حيزاتها ومفاعليها المتعددة وهو يمثل تعبيرا عن إمكانيات وآمال ومستقبل، لكنه يحتاج إلى أن يعيد التفكير بشكل آخر، بحيث أننا نحتاج إلى يسار وطني فلسطيني ديمقراطي حقيقي، يمتلك برنامجا متعددا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ونفسيا ويمثل خيارا ويمكن أن يمثل حالة من الاختيار الشعبي، وبالتالي

> **أكثر حرية وجدتها أني استطعت ان أعانق أمي بعد كل هذه السنوات من الانقطاع**

لا يمكن أن يكون كذلك دون أن نحاول أن تتوجه بشكل جدي إلى الأجيال الشابة وإعطاءها الثقة، والمساحة وحرية التفكير والتعبير، والدور القيادي، ولا يمكن أن يكون دور لهذا اليسار دون أن يعمق مشاركة المرأة ويكون جديا في موضوع مشاركتها وحضورها والابتعاد عن التفكير في منطق «الغوتات»، وتاليا يقدم بدائل ويمثل حالة تمايز وحالة الاختلاف، هذا اليسار حتى الآن غير موجود، كيف يمكن أن نلعب دورا بتشكيل هذا اليسار؟ لا يمكن أن نلعب دورا بتشكيل هذا اليسار دون العمل على صعيد القواعد، ليس العمل على المستوى القيادي فقط أو النخب القيادية وبالضرورة أن نمتلك هذا الهدف، ونمتلك المشروع من أجل الوصول إليه من أجل تشكيل حالة يسارية في فلسطين، وهناك مقومات لهذه الحالة اليسارية التي يمكن أن تتشكل بمشاركة جمعية.

■ 7. على الصعيد الدولي، هناك توجهات عدوانية للإدارة الأمريكية وحلفائها ومن جهة أخرى، هناك محاولات جادة لبناء محاور وأقطاب لمواجهة الهجمة الأمريكية، ما هو المطلوب فلسطينياً؟

هذا السؤال الأهم، فلسطينيا الآن ليس الإشكالية ماذا يقول الرئيس الأمريكي أو الإسرائيلي أو ماذا تقول بعض الدول في المنطقة؟ الإشكالية الآن ماذا يقول الفلسطيني، نتحدث عن الفلسطيني الذي يجب أن يقرأ المتغيرات القائمة على المستوى الدولي وعلى المستوى الإقليمي، نتحدث عن إعادة ظهور اليمين الجديد مرة أخرى، واليوم الظاهرة الترامبية يمكن الحديث عنها والتي تتمسك بشكل أساسي بفكرة اقتصاد السوق الليبرالية بشكل رئيسي ومحاولة إعادة تنظيم وصياغة الدور الأمريكي على مستوى المنطقة، والتعامل مع هذا الدور على مستوى المنطقة، وإعادة صياغة العالم وفق المصالح الأمريكية، ووفق مصالح هذا الائتلاف حتى مع حلفائه يحاول إعادة صياغة هذه العلاقة، وعلى المستوى الإقليمي المقدم الآن هو محاولة ذبح الفلسطيني بشكل أو بآخر، لمصالح محددة إسرائيلية، ومصالح إقليمية، فما هو المطلوب منا كفلسطينيين؟ المطلوب أن نعلن عن البدء بالعمل بتشكيل جبهة مقاومة عربية وجبهة مقاومة إقليمية

من أجل محاولة التصدي لهذه المشاريع، وهناك مشروع خطير قادم يحاول إعادة صياغة وتشكيل دول المنطقة بما يخدم المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية وليس خارج هذا الإطار، وبالتالي هناك قوى إقليمية في المنطقة تنسجم وهذا التشكيل، فأنت المطلوب منك الآن أن تحاول صياغة ائتلافات أخرى.

■ 8. بعد التحرر من قيد 24 عام في الأسر، صف لنا الليلة الأولى من الحرية؟

الليلة الأولى في الحرية هي الدرس الأول في الحرية .. الحرية مفهوم شامل لا يمكن تجزئته أحيانا، لكن يمكن أن تحيا الحرية في التفاصيل ويمكن أن تعانقها بعد هذا الغياب الطويل، يمكن أن تجد الحرية في عناق والداك، وأكثر حرية وجدتها أني استطعت ان أعانق أمي بعد كل هذه

نحتاج إلى يسار وطني فلسطيني ديمقراطي حقيقي، يمتلك برنامجاً متعدداً سياسيا واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً

السنوات من الانقطاع، بعد هذا المنع، تلمست الحرية من خلال أبناء أشقائي وشقيقاتي، تلمست الحرية من خلال إعادة التواصل مع هذا المحيط الذي اقتلعت منه، تلمست الحرية من خلال قدرتك على أن تحيا تفاصيلك، وتسيطر على تفاصيلك اليومية بالتالي الحرية يمكن أن تحياها في تفاصيل مختلفة ويمكن أن تجد الحرية في عناوين مختلفة حتى الآن أنا أشعرها، وحتى الآن أنا أمارسها، والحرية الأساسية كيف أفهمها وأعيها، هي وعي الضرورة في نمط ما هو المطلوب، وبالتالي أنا أعي هذه الحرية على صعيد ما هو المطلوب مني، وكيف يجب عليّ أن أتحرك؟ وماذا علي أن أفعل؟ وما هو الدور المطلوب مني الآن؟ وكيف يمكن أن أقوم بهذا الدور؟ وبالتالي أرى الحرية بهذا الإطار.

■ 9. ما هو أهم درس استخلصته من تجربتك في الأسر؟

دروس التجربة في الأسر عديدة، منها تجربة الصبر والمبادرة وتعلمت من الأسر أن تكون مبادراً، وأن لا تنتظر أن تأتي اللحظة، أن لا تقبل إلا أن تكون استثنائياً، يجب أن تحاول صناعة اللحظة، ألا تقبل بالأمر الواقع أن تكون إنسانا يمتلك هدفا ويمتلك رؤية ويمتلك خطوات ومهام من أجل تحقيق هذا الهدف، بالتالي هناك خلاصات يمكن أن تتعلمها من الأسر منها الصبر والمبادرة، منها القدرة على بناء البرنامج، منها القدرة على تنظيم الحياة، ومنها الالتزام، كيف تكون إنسان ملتزم ومنها الانتماء والشعور بالآخرين، ومنها قدرتك على أن تصيغ نفسك وخطواتك، بالتالي هناك دروس متعددة يمكن الحديث عنها مطولا فيما يتعلق بتجربة الأسر، وما يمكن للإنسان أن يحمل من هذه التجربة الهامة، وهذه التجربة الغنية.

■ 10. أصدرت عدة كتب في سجون الاحتلال، هل سنقرأ إصدارا جديدا لك في الفترة القادمة، وإلى أي نوع من الكتابة ينحاز وائل الجاغوب، للأدب وفنونه أم للدراسات والفكر؟

بعد الاعتقال، صدر لي كتابين، «رسائل في التجربة الاعتقالية» و»أحلام أسيرة» وعدة دراسات وأبحاث ومقالات، ما سأنتجه في الفترة القادمة هو إنتاجين، إنتاج أول تم صياغته داخل الأسر، عن تجربة الحركة الأسيرة في المنظومة الاستعمارية بين الأعوام 2000 حتى عام 2020 إضافة إلى محاولة جمع بعض المقالات في كتاب وإصداره كاملا وسأحاول هذا العام إنجاز هذا الأمر، وأيضا سأكتب عن تجربتي في الحرية وتجربتي السياسية، لكن انشدادي الأساسي ليس أدبيا، إنما يتعلق في السياسية وبالفكر أكثر فأنا لست أديبا، أنا باحث في الشأن السياسي بشكل رئيسي، وباحث في الشأن الفلسطيني، والشأن المتعلق بالمستعمر الصهيوني، وبالتالي ميولي أكثر إلى هذا الاتجاه، وسأحاول قدر الإمكان أن يكون لي دورا في محاولة الإضافة في الثقافة الوطنية الفلسطينية وسأحاول قدر الإمكان أن أساهم بما أستطيع على هذا الصعيد.

بيان عسكري
صادر عن كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

«عهدًا على الأيامِ ألا تهزموا فالنّصرُ يَنبتُ حيثُ يَرويهِ الدّمُ»

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تنعي رفيقها المقاتل البطل الشهيد «رعد نضال عبد الله العمواسي»

بمزيد من الفخر والاعتزاز تنعي كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رفيقها المقاتل البطل الشهيد «رعد نضال عبدالله العمواسي / أبو الأمير»

والذي ارتقى شهيداً على طريق القدس وفلسطين، وجريحاً سابقاً خلال معارك الدفاع والتصدي عن شعبنا ضمن ملحمة السابع من أكتوبر، والتي لم تمنعه إصابته وجراحه من إكمال الطريق نحو الحرية والاستقلال ليعمدها بدمه بعد استهداف غادر من قبل مسيرة صهيونية له في حي البرازيل بمدينة رفح جنوبي القطاع الصامد، مسطرًا بدمه أروع معاني التضحية والفداء، ومدافعًا شرسًا عن شعبنا الفلسطيني والأمة العربية ومنتصرًا للمكلومين والمسحوقين من أبناء شعبنا الفلسطيني في وجه العدوان الصهيوني المستمر ضد وجودنا وحقنا في تحرير فلسطين من نهرها لبحرها.

لقد مثل رفيقنا «أبو الأمير» نموذجاً للرفيق الملتزم المقاوم لا المساوم المتقدم لصفوف المواجهة، وعلى الرغم من الألم الكبير بفقدان رفيقنا وكافة أبطالنا الذين لم يستكينوا يومًا، فإننا نؤكد على أن هذا المصاب لن يزيدنا إلا إصراراً وثباتاً بالاستمرار على نهج الشهداء بالنضال والقتال حتى أخر قطرة دم للتحرير الشامل والناجز ودحر الاحتلال عن كامل ترابنا الوطني الفلسطيني واستعادة شعبنا لكافة حقوقه المسلوبة والثأر لدماء شهدائنا وقادتنا.

يا جماهير شعبنا البطل .. يا أحرار أمتنا والعالم

نعاهدكم نحن في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى ونعاهد دماء شهدائنا وأبطالنا على امتداد ساحات القتال بأن نبقى الأوفياء لمن عبدّوا طريق الحرية بدمائهم ولم يرضوا بغير الطريق المستضيء بالدّم طريقًا للحرية والاستقلال.

- بطاقة عسكرية تعريفية بالرفيق الشهيد «رعد نضال عبد الله العمواسي / أبو الأمير»:
- وُلِد الرفيق الشهيد في 1996/07/17 في مدينة رفح جنوبي قطاع غزة، حيث تربى على مبادئ النضال والثورة.
- التحق في صفوف الجبهة وجناحها المقاتل صغيراً، مؤمناً بالكفاح المسلح سبيلاً للتحرير والعودة.
- تميز شهيدنا البطل بالشجاعة والمبادرة وتعلقه الشديد بفلسطين والبندقية وحلمه باسترداد حقوق شعبنا السليبة وتحرير فلسطين كل فلسطين.
- أصيب في وقت سابق خلال العدوان الصهيوني البربري على شعبنا خلال ملحمة السابع من أكتوبر.
- استشهد يوم الجمعة الموافق 2024/02/28 بعد استهداف غادر من قبل الطيران المسير الصهيوني له في حي البرازيل في مدينة رفح جنوبي القطاع، ملبياً نداء غزة والمقاومة متقدمًا الميدان إلى جانب رفاقه في المقاومة الفلسطينية، ومتسلحاً بعقيدته النضالية الراسخة وإيمانه بالنّصر الحتمي.

عهدنا ثأراً أبديًا لا يزول

المجد للشهداء والحرية للأسرى والشفاء للجرحى

وغدًا سينحسر الضباب عن التلال.. وإننا حتمًا لمنتصرون

بيان عسكري
صادر عن كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

«عهدًا على الأيامِ ألا تهزموا فالنَصرُ يَنبتُ حيثُ يَرويهِ الدّمُ»

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تنعي رفيقها المقاتل البطل الشهيد «شوكت عماد عبد العال»

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تنعي رفيقها المقاتل البطل الشهيد «شوكت عماد عبد العال»

بمزيد من الفخر والاعتزاز تنعي كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رفيقها المقاتل البطل الشهيد «شوكت عماد عبد العال / خليل»

والذي ارتقى شهيداً خلال تصديه البطولي مع رفاقه وإخوانه الأبطال للعدوان الصهيوني الغاشم على لبنان عند الحدود الفلسطينية - اللبنانية، مسطرًا بدمه أروع معاني التضحية والفداء، ومدافعًا شرسًا عن شعبنا الفلسطيني والأمة العربية ومنتصرًا للمكلومين والمسحوقين من أبناء شعبينا الفلسطيني واللبناني في وجه العدوان الصهيوني المستمر ضد وجودنا وحقنا في تحرير فلسطين من نهرها لبحرها وكافة الأراضي العربية المحتلة.

لقد مثل رفيقنا «خليل» نموذجاً للرفيق الملتزم المقاوم لا المساوم المتقدم لصفوف المواجهة، وعلى الرغم من الألم الكبير بفقدان رفيقنا وكافة أبطالنا الذين لم يستكينوا يومًا، فإننا نؤكد على أن هذا المصاب لن يزيدنا إلا إصراراً وثباتاً بالاستمرار على نهج الشهداء بالنضال والقتال حتى أخر قطرة دم للتحرير الشامل والناجز ودحر الاحتلال عن كامل ترابنا الوطني الفلسطيني واستعادة شعبنا لكافة حقوقه المسلوبة واستعادة الأراضي العربية المحتلة في لبنان والثأر لدماء شهدائنا وقادتنا.

يا جماهير شعبنا البطل.. يا أحرار أمتنا والعالم

نعاهدكم نحن في كتائب الشهيد أبو علي مصطفى ونعاهد دماء شهدائنا وأبطالنا على امتداد ساحات القتال بأن نبقى الأوفياء لمن عبدّوا طريق الحرية بدمائهم ولم يرضوا بغير الطريق المستضيء بالدّم طريقًا للحرية والاستقلال.

بطاقة عسكرية تعريفية بالرفيق الشهيد «شوكت عماد عبد العال / خليل»:

- وُلِد الرفيق الشهيد عام 2001 في مخيم نهر البارد، حيث تربى على مبادئ النضال والثورة، وتعود جذوره إلى قرية «سعسع» المهجرة عام 1948 شمال شرق مدينة صفد في فلسطين المحتلة.
- التحق في صفوف الجبهة وجناحها المقاتل صغيراً، مؤمناً بالكفاح المسلح سبيلاً للتحرير والعودة.
- تميز شهيدنا البطل بالشجاعة والمبادرة وتعلقه الشديد بفلسطين والبندقية وحلمه بالعودة لأراضينا المحتلة وتحريرها من الصهاينة المغتصبين.
- استشهد على أرض الجنوب اللبناني خلال تصديه للعدوان الصهيوني على لبنان ملبيًا نداء غزة والمقاومة متقدمًا الميدان إلى جانب رفاقه في المقاومة الفلسطينية واللبنانية، ومتسلحاً بعقيدته النضالية الراسخة وإيمانه بأن المعركة واحدة والمصير مشترك.

عهدنا ثأراً أبديًا لا يزول

المجد للشهداء والحرية للأسرى والشفاء للجرحى

وغدًا سينحسر الضباب عن التلال.. وإننا حتمًا لمنتصرون

تحرير الأسرى مقدمة لتحرير فلسطين

أحمد أبو السعود أسير محرر وعضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

سياسة الاحتلال هدفها تدمير الإنسان الفلسطيني ودفعه للهجرة عن وطنه، ولما فشلت تلك السياسة استخدموا سياسة القتل والإبعاد والاعتقال ومصادرة الأراضي وكل أمر يدفع الفلسطيني ليرحل أو يتم ترحيله عنوة. كل سياسات الاحتلال اتجاه شعبنا فشلت ولم تتمكن حكومات الاحتلال المتعاقبة منذ بن غوريون وحتى نتنياهو من كسر إرادة شعبنا أو دفعه للخنوع أو الاستسلام، فقاوم بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة ليقول للعالم نحن شعب لن نتخلى عن أرضنا ووطننا مهما كبرت وتعاظمت قوة العدو وداعميه، أو كبرت التضحيات. لقد أثبت أبناء شعبنا قدراتهم عبر الأجيال على مقارعة الاحتلال في معارك صغيرة وكبيرة وبطولات منظمة وارتجالية، فارتقى مئات آلاف الشهداء واعتقل أكثر من مليون فلسطيني إلى جانب المئات وربما الآلاف من أبناء أمتنا العربية وغير العربية.

وكلما تقدم عمر الاحتلال كثرت أعداد الأسرى في سجونه القميئة، حتى ضمت جدران السجون خلال معركة طوفان الأقصى عشرات الآلاف من الأسرى والمعتقلين، فما كانت عليه سياسة الاحتلال خلال المعركة، عكست جوهر الصهيونية وهو الإجرام بكل الأشكال، فأهم هدف رسموه قتل الأسير جسدياً ومعنوياً لذلك ارتقى شهداء من الأسرى خلال المعركة في السجون أكثر من خمسين شهيداً ومن المعتقلين من غزة أعداد لا حصر لها، ثم تمثل القتل المعنوي بمحاولة منع إمكانات الحياة فصادروا الملابس باستثناء ما يلبسه الأسير على جسده منذ السابع من أكتوبر ولغاية الآن، والحرمان من الطعام حتى فقد الأسرى أكثر من نصف أوزانهم، وتقليص كمية الماء إلى قنينة لأكثر من عشرة أسرى في الغرفة للشرب، وكمية محدودة خلال ساعة واحدة باليوم للحاجات الأخرى حتى أصابتهم الأمراض وأشهرها مرض الجرب والذي أدى لاستشهاد بعض الأسرى بسببه، ثم الضرب بلا حدود إلى حد القتل، فمعظم من استشهدوا ارتقوا جراء الضرب داخل السجون. إلى جانب سياسة العزل والإهانات والإذلال والشتائم، تحديد الحركة بساعة خلال اليوم، والازدحام في الغرف والزنازين. ومارس السجان كل ما حلم به من وسائل إجرامية المدعو (بن غفير) وزمرته تفننوا في تطبيقها حتى اللحظات الأخيرة من تحرير الأسير يمارسونها عليه، وقد أشار بعض المحررين عبر لقاءات فضائية إلى حجم الألم والقهر والإذلال والعناء من ممارسات السجانين، لكن هل فقد الأسرى ثقتهم بشعبهم أو بمقاومتهم؟ أبداً فقد خرجوا يمجدون المقاومة ويهتفون لها ومن كل الفصائل بدون استثناء، فهم جزء من المقاومة، لكل أسير مشوار في ميدان المواجهة مع الاحتلال قبل الأسر وبعده، وهذه دلالة أن شعبنا حي وسيبقى يقاوم حتى تحرير الوطن كاملاً.

الصورة المقابلة كيف خرج أسرى العدو من سجون المقاومة في غزة، لم تدلل سوى أن المقاومين احترموا وقدموا كل ما يمكنهم تقديمه رغم فداحة الظروف ليخرجوا بصورة حسنة وممتنين للمقاومة التي حافظت على حياتهم، ألا يعبر ذلك عن المستوى الإنساني والحضاري الذي تتبؤه المقاومة مقابل الوحشية والإجرام وانعدام الأخلاق والإنسانية لدى الاحتلال؟

فلا يوجد في التاريخ احتلال لديه صفات إنسانية، والاحتلال الصهيوني من أسوأ أشكال الاحتلالات، فجيش يجيز القتل لكل فلسطيني طفلاً أو امرأة أو شيخاً أو مدنياً ويدمر كل شيء، ويمارس السرقة، ويمارس جنوده الاغتصاب للرجال والنساء وقتل عشرات آلاف الأطفال لا يمكن أن يكون إلا مجرماً وتعبيراً عن كيان صهيوني عنصري مجرم، مستقبله مزبلة التاريخ مع كل داعميه والمدافعين عنه.

في المرحلة الأولى على طريق استكمال تحرير 396 أسيراً مؤبداً، ربما من يقرأ الرقم يراه مجرد رقم، لكن حقيقته 396 عائلة تم اعادتها للحياة و396 أماً وزوجة وأكثر من الأخوة والأخوات اعتقدوا أن ابنهم نهايته الاستشهاد، بل 396 إنهاء لمعانيات عاشوها طوال عشرات السنين، فأعيدوا إلى الحياة، بل أن الملايين من شعبنا وأحرار العالم غمرتهم السعادة والفرح بمشاهدة هؤلاء الأبطال يعانقون الحرية والباقي على الطريق في المراحل القادمة.

ما سمعه أبناء شعبنا والعالم من كلمات أطلقها بعض الأسرى فور تحريرهم تدلل أن هؤلاء المحررين سوف يقدمون إضافة نوعية للمقاومة والمعارك القادمة، فمع تجذر المقاومة وثبات شعبنا على الإمساك بحقوقه حتى الاستشهاد، ستستمر المقاومة حتى استئصال الكيان الصهيوني بحرب تراكم الانتصارات حتى تحين الضربة القاضية ويتم اقتلاعه إلى الأبد عن أرض فلسطين. وقد أثبتت عمليات تحرير الأسرى أن مساحة يشغلها المحررون سواء في ميدان المعركة أو مواقع القيادة والأمثلة لا تحصى أبرزهم القائد الشهيد يحيى السنوار، فمن تشرب الثقافة والفكر والبطولة وأحال السجن إلى مدرسة ثم جامعة وهزم السجان في كل معاركه داخل السجون سيبقى يناضل حتى الاستشهاد أو التحرير، فالأسرى أجيال تتوالى وتكبر ويكبر عطاؤها في مسيرة التحرير.

اليوم التالي... فلسطيني بامتياز في غزة

أحمد عويدات - كاتب فلسطيني السويد

يحدثونك عن اليوم التالي في غزة، فقل لهم إنه كاليوم الأول مع كثير من العزة والإباء والكرامة، ومع كثير من الفخر برجال صنعوا التاريخ وأمسكوا بناصيته، وقالوا كلمتهم فكان لهم ما شاؤوا وما شاء الخالق، نصرٌ لهم وهزيمةٌ للقتلة. اليوم التالي كان كاليوم الأول لغزة مع كثيرٍ من الألم والمعاناة والدمار وفقدان الأحبة، لكنه ممزوجٌ مع كثيرٍ من الفرح والابتهاج والاحتفال بما وعدت به المقاومة. اليوم التالي كان أقوى من اليوم الأول عنفواناً وحضوراً لأبطال المقاومة بزيّهم الميداني وسلاحهم الذي قهر ألوية ناحال وجفعاتي ونخبة جيش الغزاة. بَقيتْ غزة وبقيت المقاومة ورحل الكثير من القتلة والمجرمين ورحل معهم وزير الإبادة الجماعية وريث الجريمة بلينكن، وسيده الروبوت القاتل الصامت بايدن الذي حل مكانه في البيت الأسود رئيس الصفقات والاستثمارات وتاجر العقارات وكثير التصريحات الهجومية والقرارات العشوائية؛ المطوّر العقاري الذي يريد أن يشتري غزة التي لا تُباع ولا تُشترى إلا بالدماء الزكية. هذا القادم الجديد جاء هاذياً وحالماً يريد تشريد أهلها بانتزاعهم من أرضهم وتاريخهم وذكرياتهم، جاء طاغية استعمارية ناشراً تماثيله وحلمه المستحيل مع سيد الإجرام نتنياهو بالذكاء الاصطناعي، ولم يدرك ما يعنيه الوطن والأرض لأهلها. كان اليوم التالي لا كما كانوا يتخيلون ويشاؤون، كان يوم المقاومة بحضورها الزاخم وطلعتها القوية المرعبة، والتي عرّت وكشفت كذب الكاذبين، وأصابت ادعاءات قادة الإجرام بمقتلٍ على أنهم قضوا عليها وعلى قدراتها، وما بقي سوى أن ترفع راية بيضاء، ولكنها رفعت راية الأحرار، راية فلسطين الوطن والشعب، وزينت بحضورها ساحاتٍ وميادين كانت مقبرة لدبابات وآليات وجنود العدو وضباطه. لقد فاجأهم حضور المقاومة بسياراتهم البيضاء التي اجتاحوا بها مستوطنات غلاف غزة، جاؤوا على متنها وكأنهم قادمين من مراسم احتفالية، وليس من معركة لم تنقشع غبارها بعد، وكأنهم لم يخوضوا بها معارك البطولة في جباليا، وبيت لاهيا، وبيت حانون وحي الزيتون مؤخراً. كان اليوم التالي احتفاء الحاضنة الشعبية الصادق برجال المقاومة الميامين، احتفاء الأمهات بأبنائهم، احتفاء الجماهير برجالهم البررة.

يسألونك عن اليوم التالي قل لهم إنه يوم فلسطيني خالص عاد به الغزاويون إلى أماكنهم المدمرة ليشتموا رائحة الحرية من جديد، عادوا إلى بيوتهم التي حرموا منها 15 شهراً، عادوا من الموت إلى الحياة، وعادوا من رحلة النزوح المُذّل إلى رحلة الحياة الجديدة مع ألم فقد الأهل وفلذات الأكباد، عادوا رافعي الرؤوس، ونهضوا من بين الركام والأنقاض، وبعضهم حمل خيمته المتداعية الممزقة، ونصبها فوق ركام منزله الوطن وآخرون ناموا تحت سقفٍ متهاوٍ ونصف جدارٍ اتكىء عليه.

وهناك بعضٌ من نسوة غزة يساعدن أبنائهن برفع أنقاض بيوتهن المدمرة، والتي تفوح منها ذكرياتهم الجميلة يبحثن عما تبقى لهن من صورٍ وأثاثٍ حطمته الآلة الغازية، ولربما وجدن بعضاً من رفات من فقدن. في زاوية الشارع هناك مشهد آخر للحياة؛ حيث يرتع ويلعب مجموعة من الأطفال وتعلو قهقهاتهم وصخبهم، وكأنهم لم يعيشوا أيام الحرب الظالمة والقاهرة لكل المشاعر والأحاسيس إنهم يعودون إلى الحياة، وإن كانت ألعابهم قد حُطّمت وأحلامهم سُرقت ومقاعد دراستهم حُرقت ومدارسهم دُمّرت، وبعض أصدقائهم فُقدوا وما عادوا، لكن إرادة الحياة عندهم أكبر من كيد الأعداء وإجرامهم، وكأنهم يعدّون الأيام ليكبروا ويتصدروا مستقبل القضية والوطن.

في اليوم التالي عاد الفلسطينيون الرجال إلى أعمالهم ودارت عجلة الحياة اليومية كالمعتاد ها هم يتعاونون معا لإزالة آثار العدوان والإجرام، ويتعاونون مع رجال الأمن والمقاومة ورجال الدفاع المدني الأشاوس الذين يواصلون مهماتهم الإنسانية يبحثون عن رفات الشهداء بين الأنقاض، ويعيدون للحياة بعض جوانبها التي دمرها الاحتلال من ماء وكهرباء ومرافق خدمية أخرى. في اليوم التالي تقاطرت بعض شاحنات المساعدات في الدخول إلى الأماكن المنكوبة لتغيث الأهل من سياسة التجويع والتعطيش التي مارسها نتنياهو وقادة حربه عليهم، تقاطرت هذه الشاحنات بعدما مُنعت من الدخول لشهورٍ عديدة استكمالا للحصار والموت الذي عجزت الإنسانية عن إيقافه خضوعا للشروط الإسرائيلية الأميركية ولازال هؤلاء يعرقلون البرتوكول الانساني ويمنعون دخول البيوت المتنقلة إمعاناً بتفاقم معاناة السكان وفرض شروط جديدة على المقاومة. في اليوم التالي وأد الغزاويون ويلات النزوح ليطوفوا على أطلال منازلهم المدمّرة باحثين عن بقايا حصاد سنينهم الطويلة بشراً وحجراً وأملاكاً، ويُصرّون على الثبات في أرضهم ورفض التهجير بنوعيه الطوعي قبل القسري برغم كل هذا الدمار، ورغم كل أنواع الموت الذي يحيط بهم من كل جانب، ورغم كل الضغوط والصعوبات، ويتطلعون إلى مستقبلٍ جميلٍ هنا في غزة ينتظر أطفالهم. في اليوم التالي إسرائيلياً، غضب للجمهور الإسرائيلي من مشاهد الفرح والانفراج واحتضان المقاومة والتي ظهرت بأعداد كثيفة، وكأنها تقول نحن هنا على صدوركم باقون، لقد أزعجهم هذا الالتفاف الجماهيري حول المقاومة، والاعتزاز بها والاحتفاء بها بالزغاريد والهتافات، أغضبتهم عودة الغزيين إلى بيوتهم المدمرة في كل أنحاء غزة، في الوقت الذي لم يعودوا فيه إلى مستوطناتهم القريبة من غزة. أغضبهم هذا التنظيم المذهل الاستثنائي الذي تعجز عنه دول بعد حربٍ دامية استمرت 15 شهراً، أغضبهم هذا الترتيب والتنسيق، وهذا الحضور المؤسساتي المنظّم لدولة المقاومة الذي لم يترك شاردة أو واردة إلا وتم الإعداد لها، بما فيها هدايا إلى الأسرى التي تضمنت خارطة الوطن وشعار المقاومة، وقطعة الذهب لطفلة وُلدت بعد أسر والدها بأربعة أشهر. أغضبتهم مراسم تسليم الأسرى التي اتخذت من مراحلها بروتوكولاً رسمياً عبّر عن أخلاق المقاومة وعن إرثها الحضاري وعن احترامها لحقوق الإنسان لتُظهر فارق التّعامل مع أسرانا في سجون الاحتلال حتى لحظة إطلاق سراحهم، وقبلها رحلات التنزه على شاطىء بحر غزة. لقد أغضبهم جداً مشهد تقبيل الأسير الإسرائيلي لآسره من رجال القسام لأن هذا لا يحدث إلا في غزة. لذلك عبّر نتنياهو قادة الاحتلال عن غضبهم بل حقدهم وانتقامهم بتعليق إطلاق سراح الدفعة السابعة من الأسرى الفلسطينيين إلى إشعار آخر. لقد أغضبتهم صور الشهداء القادة وهم يبتسمون إلى الجماهير المحتشدة المحتفية بهم لنضالهم البطولي، وتحقيقهم الشهادة التي كانوا يتمنونها. لقد أغضبتهم صفقة التبادل التي يراها المتطرفون اليمنيون هزيمة لدولة الكيان وخطر على وجودها، كما عبر عن ذلك مهندس «خطة الجنرالات» غيورا آيلاند لصحيفة معاريف العبرية بقوله « إن إسرائيل فشلت فشلاً ذريعاً في حرب غزة فالضغط العسكري لن يؤدي إلى نتائج، لقد ربحت دولة غزة «. في اليوم التالي شهد جمهورهم الفشل الاستخباري الهائل لما أدلى به أسراهم من شهادات أولية بما شاهدوه وعاشوه وخاصة عن أماكن أسرهم على بعد أمتار قليلة من محور نيتساريم. في اليوم التالي ازدادت نقمة عائلات الأسرى الآخرين وغضبهم، وضرورة إنجاز كامل الصفقة لإنقاذ أبنائهم، ازدادوا غضبا ونقمة على حكومة نتنياهو وتحميله المسؤولية، بل المطالبة باستقالتهم.

لقد أزعجتهم مشاهد تحرير الأسرى الفلسطينيين، واعتبروا ذلك أمراً مُذلاً وخطأً كبيراً وأن هؤلاء يهددون أمنهم واستقرارهم، لقد أظهروا عصريتهم من خلال الملابس، والعبارات التي فرضوها على أسرارنا.

في اليوم التالي ستبقى مشاهد روح الروح والشهيد الساجد والمقاتل الأنيق وكلمة معلش، والفتاة هند، وعبارات من بقي من عائلة أبو نصر التي فقدت اكثر من 200 شهيد مازالوا تحت الأنقاض، كل هذه ستبقى خالدة في أذهان كل الأحرار الذين يعشقون الحرية والأوطان.

وهكذا سيبقى اليوم التالي فلسطيني الزي والإدارة والبندقية والهتاف والراية، وستبقى الأسماء فلسطينية، ويهودا والسامرة إلى اندثار شاء الكونغرس الأمريكي أم أبى، اليوم التالي سيبقى فلسطيني المستقبل والإرادة بحياة جديدة، لم ولن نرفع راية بيضاء.

تطورات الوضع في غزة
مرحلة أولى وتعقيدات الاحتلال بالمرحلة الثانية

علي بدوان كاتب سياسي فلسطيني - سورية

«استعصاءات الصفقة» والدولة العميقة

باتت «صفقة التبادل» في مرحلتها الثانية، تصطدم بجملة من العقبات المُصطنعة، الابتزازية من قبل حكومة كيان الاحتلال، حين باتت الأمور وكأنها «أحجية» تحتاج لتفكيك ألغازها وطلاسمها، أو كحكاية «إبريق الزيت».

فالمماطلة «الإسرائيلية»، واللعب بالمرحلة من قبل نتنياهو وحكومته اليمينة الفاشية، عملياً يُمثّل سيد الموقف الراهن بالنسبة للقطاع وما يُطرح بشأنه. فضلاً عن تخبط الإدارة الأمريكية بالنسبة لقطاع غزة، وما يروّج له من تهجير قسري لمواطني القطاع أصحاب الوطن الأصلانيين، وتحديداً من الرئيس دونالد ترامب صاحب التصريحات المتضاربة والمصاب بـــ «الهذيان السياسي» كما وصفته بعض المطبوعات الأمريكية مؤخراً، ومن خلفه «الدولة العميقة في الولايات المتحدة»، التي جاءت بالرئيس دونالد ترامب باعتباره رجل الـــ (البزنس) في الإدارة الأمريكية، ورجل تجارة العقارات وكارتلات الصناعة والتجارة والاقتصاد وتجارة السلاح وبالتالي أنتجته انتخابياً بالأصل مجموعة أصحاب القرار الماورائي في الولايات المتحدة.

اقتراح حل «مرحلي» تجريبي

لقد تفتقت عبقرية نتنياهو و(زبدة) اليمين المُتطرف والفاشي في بنية حكومته، بالحديث تارة عن اقتراح مُحدد بالنسبة للمرحلة الثانية من «صفقة التبادل» (حل مرحلي تجريبي)، وتارة عن تعديلها (أي المرحلة الثانية) وهكذا، لكن جوهر الأمر وبرعاية من أشرف على التفاهمات، فإن التفاهمات بوقف النار، وإدخال المساعدات، وفتح المعابر، و«صفقة التبادل»... إلخ. كلها رزمة واحدة موحّدة، وليست للتجزئة أو إعادة «التفاوض عليها»، فهي للتطبيق مُباشرة بآليات عمل من الدول التي رعت العملية برمتها ضمن رزمة الحل وهي مصر وقطر والولايات المتحدة وحتى فرنسا.

لذلك تم فلسطينياً، رفض اقتراح حكومة الاحتلال لما يُسمى «حلاً مرحلياً»: يقضي استمرار تبادل الأسرى بدون الانتقال العملي للمرحلة الثانية ومستتبعاتها، كما يأتي في ظل رفض نتنياهو الانسحاب من محور فيلادلفيا (محور صلاح الدين... الحدود المصرية الفلسطينية). فوفقاً للاتفاق، فإنه يتعيّن على جيش الاحتلال أن يبدأ بسحب قواته في محور فيلادلفيا، في اليوم الـ42 لبدء سريان الاتفاق، الذي يُصادف مطلع آذار/ مارس 2025 المقبل، وأن يستمر ذلك ثمانية أيام.

الرفض الفلسطيني لما يطرحه نتنياهو، يأتي باعتبار أن الاقتراح من حكومته ليس سوى «مطمطة» وتضييع وقت لزيادة معاناة الناس، ووضع العصي في دواليب العمل الجاد من أجل إعادة إعمار قطاع غزة، من قبل المتجمع الدولي، والعمل التدريجي على عودة الناس لحياتها الطبيعية خاصة بالنسبة للصحة والتعليم وغيرهما ومحاولة البدء ببناء البنى التحتية التي دمرها الاحتلال عن بكرة أبيها، خاصة مدارس وكالة (أونروا) والتي يجب أن تعود للعمل وفق قرار قيامها 302 لعام 1949 وليس وفق تعطيلات الاحتلال التي مَسّت عمل الوكالة في المناطق المحتلة عام 1967.

انتهاك يومي لوقف إطلاق النار

في هذا السياق، إنَّ «إسرائيل» تواصل يومياً انتهاك اتفاق وقف إطلاق النار في مناطق مختلفة من القطاع، من خلال إطلاق النار على المواطنين وأحياناً إطلاق القنابل المُسيّرة، واستخدام تكنولوجيا القتل في استهداف العامة، مما يرفع أعداد الشهداء دون توقف، وهو ما أشارت إليه المنظمات والهيئات والمؤسسات الدولية في رسائلها التي توزع بشكلٍ دائم على المؤسسات الدولية الرسمية وغير الرسمية، ومؤسسات المجتمع المدني.

كما في انتهاك البروتوكول الإنساني. على الأقل من ناحية إدخال الكرافانات والخيام والمساعدات الإغاثية. فحجم المساعدات التي دخلت القطاع منذ 19 كانون الثاني/يناير لم تتجاوز ثمانية آلاف و500 شاحنة من أصل 12 ألف شاحنة كان يُفترض دخولها ومازالت تنتظر الدخول إلى القطاع. كما كان «من المفترض إدخال 60 ألف كرفان و200 ألف خيمة». وكلها مؤقتة. إلى حين بدء الإعمار والعمل على إنجازه مرحلة وراء مرحلة.

شح مقومات الحياة التي تدخل للقطاع

إذاً، إنَّ مما فاقم الأزمة الإنسانية في غزة. ويترتب على المجتمع الدولي إلزام سلطات الاحتلال وجيشه، بتنفيذ البرتوكول الإنساني لاتفاق وقف إطلاق النار المتعلق بإدخال المساعدات الإغاثية،

منعاً لوقوع «كارثة إنسانية غير مسبوقة». خاصة «في ظل استمرار وتفاقم المعاناة والأزمة الإنسانية في قطاع غزة، والنقص الحاد في الغذاء والمياه الصالحة للشرب، ما تسبب بارتفاع معدلات سوء التغذية خاصة للأطفال، مع الخشية من نفاد المستلزمات الطبية الذي يهدد حياة آلاف المرضى. هذا رغم الاتفاقيات الواضحة التي نص عليها البروتوكول الإنساني الموقع ضمن اتفاق وقف إطلاق النار، فإن الاحتلال الإسرائيلي لم يلتزم بتعهداته، ولم ينفذ البنود التي وقع عليها».

القمة العربية، وماذا بعد..؟

إلى هنا، القمة العربية انتهت بأعمالها يوم 28 شباط/ فبراير. والورقة (الخطة المصرية) التي جرى تقديمها للقمة وحملها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لواشنطن وعرضها بلقاء الرئيس ترامب جيدة بشكلٍ عام، وتقطع الطريق على التهجير من القطاع وفقاً لإجماع العالم بأسره، بما فيه دول الاتحاد الأوروبي، التي أعلنت جميعها رفضها الكامل لتهجير الشعب الفلسطيني من قطاع غزة إلى أي مكان، مهما كان هذا المكان: سيناء، أو ريفييرا يجري إشادتها في غرينلاند، أو كندا، في أي مكان بالعالم بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها.

إلاَّ أنَّ رئيس «الحكومة الإسرائيلية» بنيامين نتنياهو، وخلال مشاوراته اليومية، رغم انفراده بالقرار كما هو معروف عنه، عقد لقاءات عمل أكثر من مرة خلال الأسابيع الأخيرة للمجلس الوزاري المُصغّر (الكابينيت) المشكّل من رؤساء الأجهزة الأمنية، وأفصح في تلك اللقاءات بقوله: «إسرائيل ستحصل على دعم أميركي كامل من أجل أن تُبيد حركة حماس ومن معها» ويقصد الجهاد والجبهة الشعبية وكتائب شهداء الأقصى بشكلٍ رئيسي، وأضاف قوله: و»أن تفعل ما تشاء في غزة»، حسبما نقل موقع «واللا» الإلكتروني عن مصدر إسرائيلي رفيع اليوم، يوم الأربعاء12 شباط/ فبراير 2025.

نتنياهو وخشية السقوط بالداخل

في كل مراحل العدوان والحرب المجنونة غير المسبوقة على شعبنا في قطاع غزة، كان هاجس البقاء في موقعه هاجساً يومياً، ومازال بالنسبة لنتياهو، الذي كان ومازال يتخوف من اليوم الأول للحرب الفاشية من أن وقف الحرب سيدفع رئيس «حزب الصهيونية الدينية» ووزير المالية اليهودي الأوكراني الأصل، بتسلئيل سموتريتش، إلى الانسحاب من الحكومة بسبب معارضته لوقف الحرب، ما يعني أن الحكومة لن تكون مدعومة بأغلبية في الكنيست، بعد انسحاب حزب «عوتسما يهوديت»، برئاسة اليهودي العرقي الأصل إيتمار بن غفير، وتزايد احتمالات سقوطها بشكلٍ كبير.

لذلك عمل ومازال نتنياهو بكل إمكانياته لترضية أحزاب حكومته اليمينية الفاشية : حزب الليكود، حزب الصهيونية الدينية، حزب القوة اليهودية، حزب شاس (سفارديم) وحزب يهوديت هتوراه (أشكناز)، لذلك استطاع نتنياهو أن يضمن جانب حكومته ويمنع سقوطها.

في الهدف

قال كهل فلسطيني: كيف سأُقتلع من هذه الأرض، هي ذاكرتي وذاكرة الآباء والأبناء والأحفاد، وهذه الشجرة التي أرخت ظلها على الركام، هي جدتي.

ولم يبق لامرأة وأبنائها الخمسة، سوى أن تقيم في مقبرة، علها تتحدّث إلى من رحل من عائلتها، عدنا لنبقى هنا، مثل جذوركم الراسخة في لحم التراب، الذي أصبح فضة أرواحكم، أعلم أنكم ترقدون الآن وأرواحكم ترقبنا من عل، لكننا هنا نتكئ على الجدران المهدمة، لأنها وطن، ولأنكم في انتظارنا جئنا إليكم فثمة اشتياق لا تحده اللغة.

وقال فتى غض البنية: مازلت أعاند الريح كي تثبت هذه الخيمة، هي ليست وطناً لكنها فوق وطن مزروعة كراية، وخفق قلوبنا النشيد.

وثمة طفلة لم تتجاوز السادسة من عمرها، تحاول اللهو بطائرة ورقية، وتهمس بين أقرانها: ماذا لو حملت سماء غزة المزيد من الطائرات الورقية الملونة، كي لا تغير الطائرات فتخيفنا، وتسرق أحلامنا في نوم هادئ، لكن مساءات غزة التي شهدت جموعاً كثيرة مشت على درب جلجلتها، كانت كالنشيد الواقف بين خفقتين، وكطائر الفينيق الذي يقوم من النار لتقوم البلاد فتمشي تحت ظله، وتنشد معه: غزة بوابة فلسطين، بوابة عودتنا إلى الأرض الممتدة هناك، والمشتعلة تحت أقدام الغزاة وما تفتقت مخيلاتهم عن ضروب اقتلاع وتشريد وتهجير، لكن الفلسطيني هو الوطن أينما حل، يا لهذه الفلسطين الممهورة بدم الأقاح ودموع السنابل وخفقات البيلسان، فعند جداولها وأنهارها وبحرها يتوضأ الصبح ليتم صلاة الحنين وبسملة الرجوع، والمكوث في شرفة قمرية غزاوية بامتياز.

إعادة إعمار أم تطبيع وتطهير عرقي؟

رضي الموسوي - كاتب صحفي من البحرين

لم يسدل الستار بعد على حرب الإبادة الجماعية التي تنفذها قوات الاحتلال الصهيوني في قطاع غزة، حتى سارعت بعض الجهات إلدولية إلى طرح مسألة إعادة إعمار القطاع الذي يعتبر واحدا من أكبر مناطق العالم تدميراً بفعل العدوان الوحشي الذي خلف ركاماً من عشرات ملايين الاطنان هي ما تبقى من البنية التحتية التي طالتها قنابل وصواريخ جيش الاحتلال الصهيوني خلال 15 شهراً. كان تدميراً ممنهجاً على مقاسات التطهير العرقي والتهجير وفرض المعادلات السياسية التي تعقبه.

كان حجم التدمير مهولا وكارثيا، إذ تشير تقديرات البنك الدولي بأن إعادة إعمار قطاع غزة يحتاج إلى 53 مليار دولار، منها أكثر من 15 مليار دولار لقطاع الإسكان، ثم قطاع الصحة بأكثر من 7 مليارات دولار، فقطاع التجارة والصناعة بحوالي 7 مليارات دولار، فضلا عن القطاعات الأخرى مثل الزراعة بـ4.2 مليار دولار، والحماية الاجتماعية بـمثلها، والتعليم 3.8 مليار دولار، والنقل 2.9 مليار دولار، والمياه والصرف الصحي 2.7 مليار دولار، وقطاعات أخرى بنحو 3 مليارات دولار، يضاف لها رفع انقاظ 42 مليون طن من الركام تقدر كلفة إزالتها بـ1.2 مليار دولار.

الفرضية التي تطرحها المؤسسات الدولية تتمثل في من سيقوم بعملية إعادة الاعمار ومن سيمول هذا المبلغ الفلكي، وأية شروط سيشترطها الممولون لإعادة الاعمار على الشعب الفلسطيني؟

لكن، وبالتزامن مع هذا الطرح ثمة مشروع آخر جوهره التهجير والتطهير العرقي والتطبيع، وقد فشل الاحتلال في تحقيقه، رغم الدعم الامريكي المطلق على كافة الأصعدة، حيث أعلن الرئيس الامريكي دونالد ترامب قبل أيام من دخوله البيت الأبيض، عن نيته ممارسة التطهير العرقي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والبالغ عددهم نحو 2.3 مليون نسمة عبر نقلهم إلى مصر والأردن وربما إلى دول أخرى، في تماه قل نظيره مع الطروحات العنصرية الصهيونية الأكثر تطرفا ونازية، كتصريحات وزير المالية الصهيوني بتسلئيل سيموتريش الذي أكد مرارا على موقفه تجاه أهل غزة والضفة الغربية ومنها تصريحه نهاية يناير/كانون الثاني، الذي قال فيه أنه يعمل مع رئيس حكومة الكيان بنيامين نتنياهو على «خطة عمل لتنفيذ رؤية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، بشأن تهجير الفلسطينيين في قطاع غزة إلى مصر والأردن».

يسعى ترامب لتحويل جزء من الوطن الفلسطيني (غزة) إلى صفقة عقارية رابحة، يحوّل بموجبها سواحل غزة إلى «ريفييرا» الشرق، ويولد من خلالها آلاف فرص العمل للصهاينة والمهاجرين الجدد المحتمل جلبهم إلى غزة بعد توطين الفلسطينيين في مصر والأردن، وفق الخطة الشيطانية، رغم أن الفلسطينيين متمسكون بأرضهم رغم تدمير نحو 90 بالمئة من بنية القطاع التحتية والتي شملت المباني السكنية والحكومية والمدارس والجامعات والمستشفيات والصرف الصحي والكهرباء والماء ومراكز الإيواء والطرق. هذا الرئيس واجه رفضا مطلقا من الشعب الفلسطيني وقواه الحية، ومعارضات قوية من أقرب حلفاءه، كالقاهرة وعمّان والرياض التي نالها قسطا من تهديدات نتنياهو مفادها بإرسال الفلسطينيين للسعودية ليقيموا عليها دولتهم!!. كانت عاصفة من المعارضة لهرطقات ترامب، الذي يسعى لإستكمال عملية التطبيع التي بداها في ولايته الأولى وقد حدد الهدف بالسعودية.

بين خطط إعادة الإعمار وبين التطبيع والتطهير العرقي، تبرز آراء كثيرة منها مواقف الاتحاد الأوروبي الذي يعتبر أكبر المانحين للفلسطينيين، فقد اقترحت كل من المانيا وفرنسا وبريطانيا مبادرة لإعادة الاعمار تحمل في طياتها نزع سلاح المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة ومنع إعادة تسليحها، وعودة السلطة الفلسطينية بلا أنياب إلى القطاع. هذا الرأي يتقاطع مع وجهة نظر بعض الدول العربية المتحالفة مع واشنطن والدول الغربية، حيث بدأت ورشة المقترحات بهذا الخصوص لتأمين مكاسب للجانب الصهيوني بعد أن عجز عنها في حرب إبادته وعدوانه الذي لا يزال مستمرا منذ 18 شهراً.

التوجه السياسي الذي يضغط من أجل تحقيقه المانحون لإعادة الإعمار محفوف بالألغام والمطبات الكثيرة التي من شأنها منح اليد الطولى للكيان الصهيوني وجعله مقررا لكل التطورات الراهنة. وهذا ما يرفضه الجانب الفلسطيني الذي قدم تضحيات جسام قل نظيرها. فبالاضافة الى الدمار الشامل، هناك نحو 50 ألف شهيدا وآلاف المفقودين وأكثر من 100 ألف جريح، فضلا عن مئات آلاف النازحين ومئات الأسرى.

إن التطهير العرقي هو صلب الموضوع بالنسبة للإدارة الأمريكية والكيان والدول الداعمة لهما، وليس إعادة الإعمار التي هي حق يراد به باطل. حق للشعب الفلسطيني ويتحمل مسؤوليتها الإحتلال كاملة، خصوصا بعد قرار محكمة العدل الدولية باعتبار جرائم الاحتلال تطهير عرقي بامتياز، وقرار المحكمة الأممية بأن رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو ومساعديه ارتكبوا جرائم حرب لا تسقط بالتقادم، هو قرار يتوجب تفعيله في العمل السياسي والديبلوماسي العربي. وهي باطل لأنها تريد تمرير مشاريع سياسية تعبد الطريق للتطهير العرقي خدمة للكيان في تنفيذ قانون الدولة القومية، الذي يستهدف كل الفلسطينيين في كل المناطق بما فيها أراضي الـ48.

تأصل التطهير العرقي

التطهير العرقي ليس وليد اللحظة الراهنة، بل يمتد إلى ما قبل النكبة، حيث نظّر قادة الحركة الصهيونية له مبكرا.

وقد نوه رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي حاييم وايزمن في خطاب له إلى أصل التطهير كفكرة صهيونية تعبر عن ماهية هذه الحركة وعنصريتها، فقال: « في مراحلها المبكرة كانت الصهيونية، كما تصورها روادها، حركة تعتمد كليا على عوامل ميكانيكية: ثمة بلد صدف أن اسمه فلسطين، وهو بلد بلا شعب، وثمة من ناحية أخرى (شعب يهودي) وهو لا يملك بلدا، إذن لا يبقى سوى وضع الفص في الخاتم وجمع الشعب والأرض». وفي العام 1938، وقبل قرار التقسيم بإحدى عشر عاما، عبّر ديفيد بن غوريون، أحد مؤسسي الكيان، أمام قيادة الوكالة اليهودية، عن نيّته في «إزالة التقسيم العربي-اليهودي والاستيلاء على كلّ فلسطين بعد أن تقوى شوكة اليهود بتأسيس وطن لهم». اما مدير الأراضي والتحريج في الصندوق اليهودي يوسف فاتيس، الذي كان أحد منظري ترحيل السكان فقد كتب في مذكراته سنة 1941: «أرض إسرائيل ليست صغيرة على الإطلاق، لو تم إزالة العرب ووسعت حدودها قليلاً إلى الشمال وصولا إلى نهر الليطاني، وإلى الشرق بما في ذلك مرتفعات الجولان.. مع نقل العرب إلى شمال سوريا والعراق..اليوم ليس لدينا بديل آخر..لن نعيش هنا مع العرب». وفي اليوم التالي لقرار التقسيم، أي في 30 نوفمبر 1947، صرّح مناحيم بيغن، الذي كان في ذلك الحين أحد زعماء المعارضة في الحركة الصهيونية وقائد في إحدى عصاباته، عن بطلان شرعية التقسيم، وقال: «أن كل أرض الميعاد والتي تشمل كامل فلسطين الإنتدابية بما في ذلك شرق الأردن) التي تعني الأردن في الوقت الراهن)، هي ملك لليهود وستبقى كذلك إلى الأبد».

وإذا كانت هذه استراتيجية قادة الحركة الصهيونية في السيطرة على فلسطين واستيطانها، فأن تصريحات قياداته في الوقت الراهن تشكل استمرارا لهذه الاستراتيجية. يؤكد وزير المالية سيموتريش على توسيع التطهير العرقي ليشمل الضفة الغربية، فقال في منتصف فبراير الماضي «إن عام 2025 سيكون أول عام منذ 1967 يتم فيه هدم أكثر مما يبني الفلسطينيون»، وتعهد بالمضي قدما في تكثيف عمليات الهدم. وأكد أيضا «أن الحكومة الإسرائيلية ستواصل تعزيز عمليات الهدم ومنع البناء الفلسطيني في المناطق الخاضعة لسيطرة إسرائيل، وأن ميزانية 2025 ستشمل زيادة كبيرة في الموارد المخصصة لذلك». وذهب سيموتريش بعيدا عندما شدد على أن «السيطرة على الأرض هي جوهر الصراع، ومن يسيطر على الأرض يحدد مستقبلها».

وتأتي تصريحات ترامب لتكمل صورة مخطط التطهير العرقي بكافة السبل. عندما سألته قناة فوكس نيوز الامريكية، عما إذا سيكون للفلسطينيين حق في العودة وفق خطته، فأجاب قاطعا: «لا، لن يكونوا، لأنهم سيحصلون على مساكن أفضل بكثير (..) أنا أتحدث عن بناء مكان دائم لهم». وفي اليوم الذي التقى الملك الأردني شدد ترامب على أنه «ستكون غزة لنا، لا مبرر للشراء. لا يوجد شيء للشراء، إنها غزة، إنها منطقة مزقتها الحرب. سنأخذها، سنحتفظ بها، وسنعتني بها»..هكذا!!

التناغم بين الادارة الأمريكية والصهيونية في قضية التطهير العرقي وإعادة إعمار غزة خلق إرباكا في اوساط النظام الرسمي العربي، الذي لم يتمكن من عقد قمة طارئة إلا بعد أكثر من شهر لهذه التصريحات المجنونة لترامب. وهذا الأخير كان يعيّر مصر والأردن بالمساعدات التي تقدمها واشنطن لهما، دون أن يشير أنها ثمنا لاتفاقيات التطبيع مع الكيان. وهي في مجملها لا تشكل إلا جزءا يسيرا من المساعدات التي تقدمها واشنطن للكيان الصهيوني.

يضرب ترامب على وتر المساعدات المالية الحساس، وهي مساعدات تقدم سنويا الى 189 دولة. في العام 2023، حصل الكيان على مساعدات امريكية بلغت 3.3 مليارات دولارن بخلاف الدعم اللامحدود بعد طوفان 7 أكتوبر، بينما حصلت الأردن على 1.7 مليار دولار ومصر 1.5 مليار دولار.

في تقارير نشرت في فبراير/شباط الماضي، ومنها تقرير لـ»الجزيرة نت»، ووفق وزارة الخارجية الأميركية، بلغت المساعدات الأميركية المقدمة لمصر منذ عام 1978(عام اتفاقية كامب ديفيد) وحتى عام 2022 أكثر من 50 مليار دولار في شكل مساعدات عسكرية، بالإضافة إلى 30 مليار دولار من المساعدات الاقتصادية.

أما بالنسبة للأردن، فقدمت الولايات المتحدة مساعدات بقيمة 1.7 مليار دولار في عام 2023، وفقا لبيانات المساعدات الخارجية الأميركية التابعة لوزارة الخارجية الأميركية.

وفي السنوات الـ15 الماضية، تضاعفت المساعدات الأميركية السنوية للأردن ثلاث مرات، وبلغ إجمالي المساعدات الثنائية (الخاضعة لإشراف وزارتي الخارجية والدفاع الأميركيتين) حتى العام 2020 ما يقرب من 26.4 مليار دولار. وفي سبتمبر/ايلول 2022، وقّعت الولايات المتحدة والأردن مذكرة التفاهم الرابعة لتنظيم المساعدات التي تمتد لسبع سنوات (من السنة المالية 2023 إلى 2029)، وتتضمن تقديم 1.45 مليار دولار سنويا من المساعدات الإقتصادية والعسكرية. ومن المتوقع أن يرفع مجلس النواب الأمريكي مخصصات الأردن إلى 2.1 مليار دولار، وهو أعلى مستوى تم تسجيله.

إن الضغط الذي تتعرض له البلدان العربية يهدف إلى إجبار الدول العربية غير المطبعة مع الكيان على التطبيع معه وتحميل دول الخليج العربي كلفة إعادة الإعمار وفق الشروط الأمريكية والصهيونية، وهذا امتحان للنظام الرسمي العربي على قدرته في إعادة صياغة علاقته مع القضية الفلسطينية لتكون القضية المركزية للأمة ووالتاكيد على أن تحقيق العدالة لفلسطين وشعبها هو مصلحة عربية عليا وليس ترفا ولا منّة، بقدر ما هو واجب وأمن قومي بالدرجة الأولى.

المطلوب أن يقدم النظام الرسمي العربي على خطوة استراتيجية تُغيّر المعادلات وتعيد إعمار قطاع غزة ليبقى فلسطينيا وليس تابعا لعقارات ترامب وإدارته. لقد قال الشعب الفلسطيني ومقاومته الكلمة الفصل..فهل تفعلها الأمة؟

ملف:

التهجير.. مخاطر وتحديات

مقدمة

بدأت مأساة تهجير الشعب الفلسطيني منذ نكبة العام 1948 بإنشاء الكيان الصهيوني الوظيفي المزعوم على أرض فلسطين التاريخية وقتل الآلاف وتهجير أكثر من 750 ألف فلسطيني واستمرت سياسة التهجير القسري عبر مصادرة الأراضي، وهدم المنازل، وبناء المستوطنات غير القانونية، وفي نكسة العام 1967، احتلت إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة مما أدى إلى موجة جديدة من التهجير.

ووفقًا لتقارير الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان، فإن أكثر من 5.9 مليون لاجئ فلسطيني مسجلين لدى وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، يعيشون في مخيمات اللجوء في الضفة الغربية، قطاع غزة، الأردن، لبنان، وسوريا. وفي الضفة الغربية وحدها، تم هدم أكثر من 50,000 منزل فلسطيني منذ العام 1967، مما أدى إلى تشريد عشرات الآلاف من العائلات.

أما في قطاع غزة، الذي يُعد من أكثر المناطق كثافة سكانية في العالم، يعيش أكثر من 2 مليون فلسطيني تحت حصار خانق منذ العام 2007، حيث تُمنع حرية الحركة، ويُحرم السكان من أبسط حقوقهم الإنسانية. وقد أدت الحروب المتكررة على القطاع إلى تدمير البنية التحتية، وتشريد مئات الآلاف من السكان. ففي الحرب العدوانية عام 2014، تم تشريد أكثر من 500,000 فلسطيني، ودُمرت آلاف المنازل بشكل كلي أو جزئي بسبب القصف الإسرائيلي العشوائي والممنهج وآخرها العدوان الإسرائيلي وحرب الإبادة الجماعية التي مورست على الشعب الفلسطيني في القطاع على مدار 15 شهراً ألقت فيها قوات الاحتلال أكثر من 86 ألف طن من المتفجرات على القطاع ودمّرت ما يقرب من 69% من مباني القطاع وبلغت حصيلة الضحايا أكثر من 47.000 شهيد و110.000 جريح ونزح حوالي 90% من سكان غزة من منازلهم وذلك بحسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

وفي القدس الشرقية، تم إصدار أكثر من 20,000 أمر هدم للمنازل الفلسطينية منذ العام 1967، مما يهدد بتهجير عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون في المدينة. وتشير التقديرات إلى أن أكثر من 100,000 فلسطيني في القدس الشرقية معرضون لخطر التهجير بسبب سياسات الهدم ومصادرة الأراضي. بالإضافة إلى ذلك، يتم تقييد حصول الفلسطينيين على تصاريح البناء، مما يجبرهم على البناء دون ترخيص، وهو ما يُستخدم لاحقاً كمبرر لهدم منازلهم حيث تشير تقارير منظمة «بتسيلم» الإسرائيلية لحقوق الإنسان إلى أن سياسة التهجير القسري للفلسطينيين تُعد جزءاً من استراتيجية إسرائيلية ممنهجة تهدف إلى تغيير التركيبة الديموغرافية للأراضي المحتلة. فمنذ العام 1967، تم بناء أكثر من 280 مستوطنة إسرائيلية في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية، وهي مستوطنات تعتبرها الأمم المتحدة والمجتمع الدولي غير قانونية بموجب القانون الدولي.

وبحسب مركز المعلومات الفلسطيني – (معطى)- فقد تم تهجير أكثر من 20 ألف فلسطيني من مخيم جنين بما يعادل 90% من سكان المخيم في المواجهات الأخيرة مع قوات الاحتلال، وأكثر من 10500 مهجر من مخيم طولكرم أي ما يعادل 85% من سكان المخيم أما في طوباس فهناك أكثر من 4000 مهجر من بلدة طمون و400 مهجر من مخيم الفارعة.

وتشير منظمة اليونيسف إلى أن أكثر من 50% من الأطفال الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة يعانون من اضطرابات نفسية بسبب العنف المستمر والنزوح وأصداء الحروب. كما أن معدلات البطالة في قطاع غزة تصل إلى 47%، وهي من أعلى النسب في العالم.

وفي ظل التصعيد العسكري والسياسي تزداد المخاوف من سيناريو تهجير قطاع غزة وتسريبات عن خطة أمريكية-إسرائيلية تهدف إلى إفراغ القطاع وإعادة تشكيله ديموغرافياً، ولخطورة هذه المخططات تعرض الهدف مجموعة من وجهات النظر في هذا الملف.

غزة بين التهجير والصمود: الحلول الممكنة

لمى الشطلي كاتبة صحفية فلسطينية سورية

بعد عام ونيف على حرب الإبادة الوحشية يُواجه سكان غزة حرباً أكثر تعقيداً، حربٌ على البقاء والهوية في ظل مخططات التهجير والتهميش. الغزي اليوم عالقٌ بين حاضرٍ دموي ومستقبل ضبابي يكافح من أجل البقاء على أرضه، في مواجهة مشاريع التهجير التي تهدد وجوده. لكن في خضم هذه المأساة، يبقى التساؤل الأهم: كيف يمكن للفلسطيني في غزة أن يكون فاعلاً في تقرير مصيره، بدلاً من أن يكون مجرد متلقٍّ للأحداث؟

ما بين الشعارات والحلول

الإنسان الفلسطيني والغزّي تحديداً لم يعد بحاجة إلى خطابات واجتماعات ومؤتمرات بقدر حاجته إلى حلول فعلية على الأرض، وأكاد أجزم بأن حلمه الأكبر مستقبل يصنعه بيديه بخياره من منطق أن يكون هو قوة الفعل لا من يُمارس عليه هذه القوة، ومن حقه أن يطمح بتربية الأجيال القادمة بكامل الحرية والأمان تحت غطاء سياسي سليم يضمن بيئة اقتصادية واجتماعية تمنحه القدرة على البقاء، ولا يمكن أبداً تجاهل أن الغزيّ، الذي يعاني من فقدان أبسط حقوقه كالمأوى والعمل، يواجه معادلة معقدة بين الصمود في وجه مخطط التهجير وبين البحث عن حياة كريمة، وهو ما يجعل الحكم عليه لمجرد التفكير في المغادرة ضرباً من التجنّي. فبدلاً من مطالبة الناس بالصمود دون تقديم أي حلول حقيقية، يجب التفكير في كيفية خلق بيئة تدعم البقاء وتمنح الفلسطيني في غزة أسباباً حقيقية للتمسك بوطنه..

غزة ومعركة الهوية

ما يحدث في غزة اليوم ليس معركة عسكرية فحسب بل معركة على الهوية الوطنية الفلسطينية، فالذي عجز الاحتلال عن تحقيقه بالسلاح يحاول الآن تحقيقه بفرض مخطط تهجير قسري على سكان القطاع، فكيف باستطاعة الغزي اليوم أن يزيل ركام المعركة مُتصدياً لأي محاولة تستهدف وجوده المادي؟ ماذا عن طرح السؤال الأهم ما هي الخطوات التي يمكن أن يتم اتخذها لإعادة الثقة وتهيئة محيط يعزز من البقاء، خاصةً أن مواجهة هكذا مخطط يتطلب بناء اجتماعي معزز بقاعدة سياسية متماسكة تضمن تحقيق الأهداف والمصالح السياسية والاقتصادية للمواطن الغزي، أي أن الحل لموضوع التهجير يبدأ من الفلسطيني أولاً ومن بيئته الداخلية وليس بالحديث عن حلول يلعب بها الآخر دوراً فاصلاً أو جوهرياً.

إعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني

البدء من موقف سياسي موحد وجامع لكل أطياف الشعب الفلسطيني لا يؤدي بنا إلا إلى خيار واحد «إعادة الاعتبار الحقيقي لمنظمة التحرير الفلسطينية» فهي الوحيدة القادرة على إحداث بناء اجتماعي جامع لكل فلسطين وليس لغزة فحسب، وهذا يتطلب أن تترفع الفصائل عن حالة الأنا المستأثرة بالقرار إلى الشعب الذي بيده كلّ القرار، فهل الحديث عن انضمام حركة حماس والجهاد تحت عباءة المنظمة يبدو جائزاً في هذا السياق! ولعلّ الانضمام والوحدة الفصائلية لا تكفي وحدها بل العمل على تجديد الإطار العملي والفعلي لمنظمة التحرير بما يتماشى مع تهديدات المرحلة واستعادة دورها التحرري بطريقة متجددة، فكما شهد فعل المقاومة الفلسطينية تغيراً متصاعداً يمكننا الاستناد عليه لبناء منهج فكري محدّث لمنظمة التحرير التي أصبحت الكيان الوحيد الذي باستطاعته حماية الإنسان الفلسطيني وحقوقه المشروعة، أما الاستمرار في النهج القائم على هيمنة فصيل معين سواء هنا أوهناك، هو خطأ لا يمكن تبريره، فلربما نكون اليوم في ساحة تجاذبات لكسب تأييد أكبر من القاعدة الشعبية، لكن حتماً الغد لا يحمل الضمانات الكافية وخير دليل على ذلك مخطط التهجير الأمريكي الصهيوني.

معالجة الأزمة الاقتصادية وإعادة الإعمار

لا يمكن الحديث عن الصمود دون معالجة الأزمة الاقتصادية في غزة. يجب التوقف عن الاعتماد الكلي على المساعدات الخارجية، والبدء في بناء اقتصاد فلسطيني مستقل قائم على مشاريع تنموية حقيقية تعزز من قدرة السكان على الاستمرار. إعادة إعمار غزة ليست مجرد ضرورة إنسانية، بل هي خطوة استراتيجية لضمان عدم تحول التهجير إلى خيار إجباري للكثيرين.

الحلول الممكنة

ليس المطلوب اليوم مواجهة مشروع التهجير بشكل منفصل عن الرؤية الأوسع للقضية الفلسطينية، فالمسألة الفلسطينية باتت بحاجة لحلول جوهرية متكاملة على المدى البعيد وليس لمعالجة تهديدات مرحلية وهذا يتطلب:

1. إصلاح منظمة التحرير لتكون ممثلاً حقيقياً لكل الفلسطينيين، وليس لفصيل معين دون آخر.
2. إعادة بناء الثقة في المشروع الوطني عبر إنهاء الانقسام السياسي ووضع استراتيجية موحدة للمقاومة والتنمية.
3. العمل الجاد لإنشاء بنية اقتصادية تتبنى مشاريع تنموية بدلاً من الاعتماد على المساعدات الخارجية المشروطة.
٤. تفعيل دور المجتمع المدني والشباب في رسم مستقبل غزة، وتحريرهم من الصراعات السياسية. بالإضافة لدعم المبادرات الشعبية والتنموية.

ختاماً

غزة التي انطلق منها طوفان الأقصى والتي حملت بمعنها التاريخي العزة والمنعة والقوة، ستصمد في وجه كل المؤامرات والحروب كما فعلت دوماً. إن مواجهة التهجير لا تبدأ فقط برفضه، بل ببناء نموذج وطني قادر على حماية الفلسطيني في أرضه، ومنحه أسباب البقاء. فهل نكون على قدر هذه المسؤولية؟

في مواجهة التهجير

وفاء حميد - صحفية فلسطينية - سورية

بعد اتفاق وقف إطلاق النار في قطاع غزة، أعلن الرئيس ترامب خطته القاضية بتهجير سكان القطاع، والاستيلاء عليه وتحويله إلى ريفيرا الشرق، وإلزام كل من مصر والأردن باستقبال المهجرين من أهل غزة.

وقد عبر الأردن عن رفضه الشديد خشية على أمنه القومي خاصة في ظل دعوات متكررة من قيادات الكيان الصهيوني المتعاقبة بضرورة إنشاء دولة فلسطينية في شرق النهر «الأردن» وهذا يعني في حال وافق الأردن على مشروع كهذا سيفتح شهية قادة الكيان إلى تهجير سكان الضفة الفلسطينية.

أما الموقف المصري الذي لا يختلف عن موقف الأردن في رفضه القاطع لأي عملية تهجير لأنه يعتقد أن مشروعاً مثل هذا في حال الموافقة عليه سيرمي القضية في الحضن المصري، من ناحية أخرى يخشى النظام المصري من ردة فعل الشارع المصري الرافض وبشدة لمشروع كهذا.

إن مخطط التهجير بدأ منذ سبعينيات القرن الماضي، واستمر بأشكال وصيغ متعددة لكن صمود الشعب الفلسطيني أفشل كل هذه المخططات. في أثناء العدوان على غزة والمستمر منذ خمسة عشرة شهراً، عاد مشروع التهجير إلى الواجهة منذ الأيام الأولى للحرب، وبقي هذا المخطط في صلب الإستراتيجية السياسية والعسكرية للاحتلال والهاجس الديمغرافي، فنجد أن الشعب الفلسطيني يقف أمام تطورات متسارعة، بين دعوات ترامب للسيطرة على غزة، والتطورات الميدانية تحضيراً لضم الضفة إلى إسرائيل.

لقد قام الفكر الصهيوني على مبدأ أن أرض فلسطين بلا شعب، وسيسكنها شعب بلا أرض، ولكي تصبح هذه الفكرة صالحة للتنفيذ لا بد أن تصبح الأرض فعلاً بلا شعب فلسطيني.

وإن موضوع التهجير القسري للفلسطينيين من ديارهم ووطنهم ليس بجديد منذ عام 1948 حتى اليوم؛ وغالباً ما تصدر دعوات التهجير الذي اقترب إلى ثمانية عقود تقريباً من سياسيين إسرائيليين، سواء من دولة الكيان أو دول أخرى، إما بدافع أمني أو سياسي، فمنذ عام 1948 للاحتلال الصهيوني لأراضي فلسطين تم تهجير /750,000/ فلسطيني من ديارهم نتيجة لعمليات عسكرية ارتكبتها العصابات الصهيونية، ومنذ ذلك التاريخ والموقف الفلسطيني والدولي رافض للتهجير، أصدرت الأمم المتحدة القرار /194/ الذي يؤكد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم ولم ينفذ حتى الآن.

وفي حرب /1967/ عندما احتل الكيان الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية، تم تهجير /24/ ألف فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الأردن، ونحو/11/ ألفاً من قطاع غزة إلى مصر، كما ظهرت دعوات بعض السياسيين في الانتفاضة الأولى/1978-1983/ لتهجير الفلسطينيين من الضفة وقطاع غزة. ومن أبرز الداعين إلى ذلك السياسي الإسرائيلي رحبعام زئيفي الذي اقترح ترحيل الفلسطينيين إلى دول عربية لكنها منيت بالرفض والانتقام الواسع من المجتمع الدولي والدول العربية...

لكن هذا الهاجس لدى الاحتلال لن يتحقق لأسباب عديدة:

- مقاومة الأهالي وصمودهم بأرضهم.
- عدم وجود تأييد دولي على سياسة التهجير.
- عدم نجاح المخطط الإستراتيجي لدى الاحتلال في دمج أهالي /48/.

وأخيراً زيادة معدل نسبة النمو الفلسطيني بالنسبة للمستوطنين وفقاً لأرقام دائرة الإحصاءات الفلسطينية. وهذا وضع حذر منه ساسة وباحثون إسرائيليون، ووصفوه بأنه «قنبلة ديمغرافية» ينبغي التخلص منها بأي وسيلة.

وهذا ما نجده في أوقات الحرب تعمد الكيان إلى ارتكاب المجازر والترويع، ونشر الإشاعات لدفع الفلسطينيين إلى الفرار من بيوتهم ومدنهم وقراهم، كما حدث في مجازر دير ياسين وقبية والدوايمة عام /1948/.

وفي أوقات السلم، اعتمدت وسائل كثيرة منها، التضييق الأمني والاقتصادي والمعيشي، من خلال تقييد الخدمات الصحية والتعليمية، وتقييد حركة الفلسطينيين من خلال مئات الحواجز التي أقامتها بين مدن وقرى الضفة الغربية، والسيطرة على الموارد الطبيعية ومنعهم من استغلالها.

إضافة إلى فرض العقوبات الجماعية، والغرامات المرتفعة، وعدم الاعتراف بمواطن البدو وتهجيرهم منها، وإقرار قانون أملاك الغائبين الذي مكن سلطات الاحتلال من وضع يدها على أملاك المهجرين.

رأى قادة الاحتلال في عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، إحداث تغيير إستراتيجي في وضع القطاع، وذلك بخلق منطقة عازلة داخله، أو احتلال شماله بالكامل وتفريغ سكانه، أو تهجير أهالي القطاع، أو نسبة كبيرة منهم، إلى خارج فلسطين، طوعاً أو كرهاً، براً أو بحراً.

وفي الحرب الجارية على القطاع، اعتمد جيش الاحتلال سياسة الترويع من خلال تشديد الحصار ليصبح حصاراً شاملاً، أوقف بموجبه الماء والغذاء والوقود والكهرباء، إضافة إلى القصف الهادف إلى إيقاع أعداد كبيرة من القتلى ونطاق واسع من الدمار، بما يشمل تقويض المرافق المدنية، وكل ما يلزم لاستمرار الحياة، كالمستشفيات والمدارس والمساجد، مع إبداء أصناف الوحشية في اعتقال الفلسطينيين. ومن أهداف هذا السلوك دفع أهل القطاع إلى الهجرة، وهذا استنساخ أكثر إجراماً وقسوة لنموذجي التهجير في /1948/ و/1967/.

كما استخدم الاحتلال أوامر الإخلاء المتدرجة لبعض مناطق القطاع بما يؤول إلى تجميعهم على الحدود مع مصر كمقدمة لتهجيرهم. وعلى الصعيد السياسي، طرحت حكومة الاحتلال التهجير حلاً للصراع ومنذ بدايات الحرب، يتم العمل إسرائيلياً على تجريم عموم أهالي القطاع لتبرير قتلهم وتهجيرهم، أو الترويج بأن من ترغب إسرائيل في تهجيرهم من مؤيدي حركة حماس كما جاء في تصريحات وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموترتيش..

وتقف المنطقة هنا أمام تحديات جديدة، فهل ينجح ترامب في تنفيذ تصريحاته؟ وما هو دور المنطقة العربية في مواجهة هذا التخطيط؟

في مواجهة السياق الأيديولوجي والتاريخي لمخطط التهجير الصهيو - أميركي منذ النكبة وحتى طوفان الأقصى

عليان عليان - باحث وكاتب سياسي الأردن

جذور مخطط تهجير الشعب الفلسطيني من قطاع غزة ومن الضفة الغربية ومن عموم فلسطين بعد معركة طوفان الأقصى، هي حجر الأساس في المشروع الصهيوني وما أعلن عنه نتنياهو وسيموريتش وبن غفير، وارد في كل أدبيات الحركة الصهيونية بتياراتها المختلفة، ابتداء من طروحات مؤسس الحركة ثيودور هرتزل، وفي طروحات الصهيونية الليبرالية بزعامة حاييم وايزمان، والصهيونية العمالية بزعامة ديفيد بن غوريون، والصهيونية المحافظة بزعامة فلاديمير جابو تنسكي، والصهيونية الدينية، وما نجم عن هذه التيارات من تشكيلات صهيونية حزبية مثل حزب العمل وحيروت والليكود وكاديما والمفدال وشاس والمركز والقوة اليهودية والعظمة الصهيونية ألخ مع ضرورة الإشارة إلى أن الأحزاب العلمانية الصهيونية وظفت الطروحات التلمودية والتوراتية الزائفة في خدمة مخطط تهجير الشعب الفلسطيني والسيطرة على كامل فلسطين التاريخية.

طروحات التهجير لعرابي الحركة الصهيونية

ونستحضر هنا- على سبيل المثال لا الحصر- مقولات كل من ثيودور هرتزل وفلاديمير جابوتنسكي وديفيد بن غورون، ويوسف فاتيس، بشأن تهجير الشعب الفلسطيني من وطنه التاريخي.

من جانبه حدد هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل بسويسرا عام 1897 ضرورة إزالة سكان فلسطين بالشروط التالية:

طرد السكان الفلسطينيين عبر الحدود، وتوفير فرص العمل لهم في بلدان العبور، مع حرمانهم من أي عمل في بلدنا ويجب أن يتم نزع الملكية منهم».

أما جابونتسكي- زعيم الصهيونية المحافظة – فقد أطلق عام 1923 إبان الانتداب البريطاني لفلسطين، أيديولوجية الجدار الحديدي، وكتب «الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يوافق بموجبها العرب على دولة يهودية في فلسطين، هي القوة التي تسحقهم وتذعنهم».

أما ديفيد بن غوريون- زعيم لصهيونية العمالية- رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين، وبعد ذلك أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني، كتب في رسالة عام 1937 إلى ابنه: «يجب أن نطرد العرب ونأخذ مكانهم».

وكتب يوسف فايتس، الذي كان مسؤولاً كبير في الصندوق الوطني اليهود، ومن من أقطاب الصهيونية العمالية في مذكراته عام 1940 « الحل الوحيد هو أرض (إسرائيل) الخالية من العرب، لا يوجد مجال هنا للتسوية، يجب نقلهم جميعاً، لا يمكن أن تبقى قرية واحدة، ولا قبيلة واحدة».

مخطط التهجير من مطلع الخمسينيات وحتى مطلع الألفية الراهنة

سبق مخطط التهجير الأمريكي والصهيوني، سلسلة مخططات بعد نكبة 1948 التي تم خلالها تهجير (850) ألف نسمة من أصل مليون فلسطيني، على يد العصابات اليهودية وهدم 520 قرية، من خلال خطتي دالت ونحشون التي نفذتها عصابات الإجرام الصهيونية مثل «الهاجانا وشتيرن واتسل ولحي» التي ارتكبت العديد من المجازر بحق أبناء الشعب الفلسطيني.

ومن أبرز المخططات التي طرحت بعد النكبة، مخطط تهجير أبناء قطاع غزة إلى سيناء الذي طرحه الأمريكي «بلاند فورد» مدير عام الأونروا عام 1953، بدعم من الرئيس الأمريكي «دوايت أيزنهاور»، وخطط التوطين منذ مطلع الخمسينات وحتى مطلع الستينات وأبرزها : مشاريع (الأونروا) للتوطين 1952-1954 / مشاريع دالاس 1953، 1956 / مشاريع جونستون 1955، 1961/ مشروع ايدن 1955 / مشروع أيزنهاور 1957، 1958/ مشروع الرئيس جون كنيدي عام 1957/ مشروع الأمين العام للأمم المتحدة «همرشولد» 1959/ مشروع الرئيس بيل كلينتون عام 2000م....يضاف إلى ذلك المشاريع الاسرائيلية مثل : مشروع ليفي أشكول 1965 / مشروع إيجال آلون 1968 / مشروع شلومو جازيت 1994.

وقد فشلت هذه المشاريع جميعها، جراء رفض الشعب الفلسطيني لها، حيث لعبت الثورة الفلسطينية بعد عام 1967 دوراً رئيساً في افشالها، من خلال سلسلة قرارات صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث اعتبرت الجمعية العامة في قرارها رقم 2535 في ديسمبر (كانون أول) 1969 «أن مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم الوطنية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان «.... وقد جرى التأكيد على هذه الحقوق في قرارات لاحقة نذكر منها : القرار 2628 في تشرين الثاني 1970/ القرار 2627 في كانون أول 1970 / القرار 2787 في كانون أول 1971 / القرار 2949

في كانون أول 1971 / القرار 3089 في كانون أول 1973، وقرار الأمم المتحدة الشهير رقم 3236 عام 1974الذي أكد على حق الفلسطينيين غير القابل للتصرف في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم الذين شردوا منها واقتلعوا منها والمطالبة بإعادتهم.

مشاريع التهجير عام 2010

ومن أبرز المشاريع التي طرحت منذ مطلع الألفية الراهنة :

-1 قرار الترانسفير الصهيوني 2010 :وقد تمثل في الأمرين العسكريين الإسرائيليين، اللذان أصدرهما القائد العسكري الاسرائيلي اللواء غادي شامني، واللذان يحملان رقم 1649 ورقم 1650، واللذان يقضيان بترحيل عشرات الآلاف من الفلسطينيين، من الضفة الغربية والقدس، جرى توقيعهما مبكراً في تشرين أول 2009،

-2 مشروع جيورا آيلاند سنة 2010: مشروع جيورا آيلاند الذي ترأس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي؛ وحمل مشروعه عنوان "البدائل الإقليمية لفكرة دولتين لشعبين"، ونشر أوراقه مركز بيغن – السادات للدراسات الاستراتيجية، والذي يستهدف تهجير أبناء قطاع غزة إلى سيناء عبر مقايضة أراضي في سيناء مع أراضي في النقب.

مخططات التهجير الصهيو أميركية بعد معركة طوفان الأقصى

لقد فشلت كافة مخططات التهجير السابقة، جراء رفض الشعب الفلسطيني لها وجراء انتفاضات وهبات شعبنا ومن ضمنها انتفاضة الأقصى، وجاءت معركة طوفان الأقصى التاريخية في السابع من أكتوبر2023، والحرب العدوانية على قطاع غزة التي تلتها على مدى خمسة عشر شهراً، لتهز أركان الكيان الصهيوني، ولتطرح سؤال الوجود في الكيان لأول مرة، ولتعمق أزماته على مختلف الصعد، ولتصعد من هجرة اليهود من داخل فلسطين المحتلة إلى الخارج، والتي وصلت إلى حدود (800) ألف يهودي منذ معركة الطوفان.

وفي مواجهة هذا الخطر الوجودي للكيان الصهيوني، برزت مشاريع التهجير الصهيوأمريكية مجدداُ وأبرزها : مخطط ترامب، ومخطط ضم الضفة الغربية وتهجير أبنائها، حيث برز هذا المخططان بعد انكسار العدوان الصهيو أميركي على قطاع غزة رغم استشهاد وإصابة ما يزيد عن (160) ألف فلسطيني في قطاع غزة، وانكسار خطة الجنرالات في شمال قطاع غزة على وجه التحديد، التي استهدفت تهجير أبناء شمال القطاع كمقدمة لتهجير كافة الفلسطينيين منه.

-1 خطة ترامب :

وهي الخطة التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في الرابع من فبراير (شباط) الماضي أثناء لقائه مع نتنياهو، التي تقضي بامتلاكه لقطاع غزة وتحويلها إلى ريفيرا الشرق الأوسط، بعد تهجير أبنائها إلى الأردن ومصر وبلدان أخرى، وعدم السماح لهم بالعودة إليها لاحقاً.

لقد كشفت الإمبريالية الأمريكية عن وجهها الأكثر بشاعة، بطرحها هذه الخطة الاستعمارية

كما أن ترامب بهذا المخطط المجنون، الذي أثلج صدور غلاة اليمين الصهيوني، وتماهى به بالكامل مع مخطط زعيم الصهيونية الدينية، «بتسلئيل سموتريش» وزعيم القوة اليهودية « «إيتمار بن غفير» تجاوز النهج الإمبريالي للدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر، وتماهى مع النهج الصهيوني في الاستعمار الإجلائي الإحلالي.

ورغم تراجع ترامب عن هذا المخطط بزعم أنه مجرد « توصية- اقتراح»، وذلك لامتصاص الرفض الدولي له والرفض الفلسطيني الجذري له، وجراء الرفض الرسمي الأردني والمصري له، لكنه عاد ليؤكد على المشروع من خلال تصريح مبعوث الرئيس ترامب إلى الشرق الأوسط «ستيف ويتكوف»، بأنه سيحضر إلى المنطقة ومعه مجموعة من المطورين العقاريين لبحث كيفية إعادة بناء القطاع وفق خطة ترامب.

-2 خطة ضم الضفة الغربية

خطة ضم الضفة الغربية وتهجير الشعب الفلسطيني، المثبتة في برنامج حكومة الائتلاف اليميني بزعامة نتنياهو عام 2022، التي أخذت طريقها للتطبيق الأولي بتاريخ 28 أغسطس/آب 2024، في الهجوم على مدن جنين وطولكرم وطوباس وبلدات شمالي الضفة الغربية المحتلة، واستهداف المقاومين فيها، وصفتها حكومة العدو، بأنها الأوسع منذ عملية «السور الواقي» عام 2002، وأطلق عليها العدو اسم « مخيمات صيفية»، وأطلقت عليها المقاومة الفلسطينية اسم «رعب المخيمات»، حيث تصدى رجال المقاومة لقوات الاحتلال بكل جرأة وألحقوا بها خسائر كبيرة، واستشهد خلالها عدد كبير من المقاتلين الفلسطينيين من بينم قائد كتيبة طولكرم « أبو شجاع»، ولجأ العدو في هذه المعركة إلى تجريف مساحات واسعة من البنية التحتية في هذه المخيمات.

وقد كشف وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك «يسرائيل كاتس» عن أهداف العدوان على المخيمات بزعمه « أن مخيمات اللاجئين هي بؤر للشر، لا تخضع لسيطرة السلطة الفلسطينية وإنما تخضع لإيران، ويجب إخلاء مخيم جنين اللاجئين وبقية المخيمات من المدنيين والتعامل معها كما التعامل مع قطاع غزة».

وجاءت عملية الأسوار الحديدية العدوانية في (21) كانون ثاني (يناير) الماضي والمستمرة حتى الآن، والتي تشارك فيها الوحدات الخاصة والشاباك وحرس الحدود، والقوات المدرعة والطائرات الحربية والمسيرة- والتي يتصدى لها المقاومون من مختلف الكتائب - لتبني على عدوان « مخيمات صيفية» باتجاه تهجير اللاجئين الفلسطينيين، حيث عمدت قوات الاحتلال إلى تهجير ما يزيد عن (40) ألف من سكان مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس والفارعة إلى بلدات فلسطينية مجاورة، وهدم مباني المخيمات بشكل شبه كامل، كما شملت العملية مدن طولكرم طوباس وطمون وقباطية ونابلس.

والأمور تتطور باتجاه تدمير كافة

مخيمات اللاجئين في الضفة، بعد إلغاء حكومة العدو دور وكالة الغوث، والتضييق على المدن والقرى الفلسطينية، بنصب البوابات أمامها، وبزيادة عدد الحواجز العسكرية التي تجاوزت (900) حاجزاً، كخطوات تمهيدية لدفع المواطنين للهجرة من الوطن، لكن المعطيات على الأرض تؤكد أن هذه المخططات الصهيونية ستفشل جراء تطور المقاومة في الضفة، وجراء مقدمات اندلاع انتفاضة جديدة ضد الاحتلال وضد تغول السلطة على المقاومة، باستمرارها في نهج التنسيق الأمني المذل.

في مواجهة خطط التهجير...ما العمل ؟

مقاومة خطط التهجير -في التقدير الموضوعي- تقتضي مواقف وإجراءات عملية على نحو:

-1 تشكيل قيادة موحدة للمقاومة في الضفة الغربية، واستثمار اللحظة السياسية الراهنة لإشعال انتفاضة جماهيرية، لا سيما وأن مبرراتها باتت متوفرة.

-2 عقد مؤتمر وطني فلسطيني من كافة الفصائل ومن قوى المجتمع المدني، لتوحيد الموقف الفلسطيني على خطة موحدة، في مواجهة خطة ترامب في غزة وخطة ضم الضفة وتهجير أبنائها.

-3 مطالبة الدول العربية باتخاذ موقف حاسم في القمة العربية من قضية التهجير وفق الخطة المصرية لإعادة بناء وتأهيل قطاع غزة، والتصدي لمخططات التهجير لكل من مصر والأردن وأن لا تمس قرارات القمة نهج المقاومة في الضفة والقطاع.

-4 توفير شبكة أمن من قبل الدول النفطية لكل من مصر والأردن لإفشال الضغوط الاقتصادية والمالية الأمريكية عليهما، الهادفة إلى قبولهما بخطط التهجير.

-5 استثمار الموقف الدولي الرافض بقوة لمشروع التهجير باتجاه تشكيل جبهة دولية لمواجهة وإفشال خطة ترامب في غزة، وإفشال مشروع ضم الضفة وتهجير أبنائها.

كرونولوجيا التهجير والتوطين وآليات التصدي والمواجهة

د. وائل الزريعي - مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

يعتبر التهجير للشعوب الأصلية فكرة ملازمة لمراحل الاستعمار المبكر، والتوسع الامبريالي الأوروبي، حيث اعتبر المستكشف الأوروبي أن وجود السكان الأصليين على الأرض هو عائق في وجه الاستغلال الاقتصادي للموارد في المستعمرات الجديدة، وقد لعبت النظريات الفكرية العنصرية في القرن الثامن عشر عن تفوق العرق الأبيض والتفوق الثقافي والجغرافي، دورا أساسيا في تغذية هذه الروح العدوانية لدى المستعمر الأوروبي، واعتباره الشعوب الأصلية عقبة في طريق نشر الحضارة والمدنية الأوروبية.

عبر تاريخ الاستعمار الغربي مثل التهجير أحد الحلول للسيطرة، على مقدرات الشعوب، وفرض الهيمنة من خلال إفراغ الأراضي من السكان الأصليين باستعمال كافة أشكال التهجير القسري منها والطوعي، بهدف خلق بناء اجتماعي واقتصادي جديد تابع، أو لتعزيز استيطان القوات الغازية في أراضي الغير، فإفراغ الحيز المكاني من الكتلة السكانية الموجودة هو الحل الأنسب الذي يراه المستعمر لإعادة توزيع ثروات السكان الأصليين على المستوطنين الجدد. الأكيد أن هذه الجرائم قد تركت ندوب في تاريخ العديد من الشعوب التي تعرضت لهذه المآسي، فإلى جانب الأبعاد الجسدي نتج عن التهجير تدمير النسيج الاجتماعي والثقافي للسكان الأصليين، كما تسبب الأبعاد والنفي في محو الذاكرة والهوية الثقافية للعديد من الشعوب في آسيا وإفريقيا والأمركيتين.

لقد استخدم الاستعمار الغربي التهجير كآلية أساسية في السيطرة على مقدرات الشعوب، سوآءا باستخدام القوة المسلحة أو عبر سياسات وقوانين تدفع بالسكان الأصليين لمغادرة أراضيهم لفائدة المستعمر، وشهد تاريخ الإنسانية العديد

من جرائم التهجير التي ارتكبت في حق السكان الأصليين، ومنها حروب الإبادة التي شنها المستوطنون في الأمريكيتين ضد الشعوب الأصلية من الهنود الحمر، باستخدام كافة وسائل القتل والتنكيل، وحتى استخدام الأسلحة البيولوجية، كما عرفت شعوب منطقتنا العربية هذا النمط، من الجرائم بالأخص من قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر والذي تقاطع في كثير من رؤيته مع الاحتلال الصهيوني في طبيعتهما الاستيطانية الإحلالية. فوفقا للمصادر التاريخية ولأرشيف فرنسا الاستعمارية كانت فكرة تهجير ونفي بعض سكان الجزائر إلى مناطق أخرى من العالم، مثل كاليدونيا الجديدة في المحيط الهادئ جزءا من رؤية الإدارة الاستعمارية الفرنسية، للتعامل مع سكان الجزائر، بهدف بسط السيطرة وإعادة توزيع السكان بما يخدم استمرار الاستعمار الاستيطاني، فاعتمدت فرنسا الاستعمارية على نفي ونقل السكان الأصليين كأداة لتأديب ما وصفته الإدارة الاستعمارية للجزائر بالجماعات المتمردة، كما استخدم التهجير الممنهج لكبح وإضعاف أي مقاومة للإدارة الفرنسية، وطبقت الفكرة لتقليل تمركز السكان في مناطق محددة لضمان الاستقرار الاقتصادي للاستعمار الفرنسي. مما كان له العديد من النتائج السلبية الاجتماعية والثقافية، من تفكيك للروابط الاجتماعية، ومحو للهوية الثقافية لمن تم تهجيرهم إلى بلدان بعيدة ومختلفة ثقافيا عن الوطن الأم.

كرونولوجيا التهجير والترانسفير

منذ النكبة يتعرض الشعب الفلسطيني للمشروع تلو المشروع من الحركة الصهيونية والإمبريالية العالمية لنهب أرضه وطمس هويته، فخلال النكبة قامت العصابات الصهيونية (الهاغاناه، الإرجون، شتيرن) بتنفيذ عمليات تطهير عرقي ممنهجة ضد الفلسطينيين. حيث تم تهجير أكثر من 750 ألف فلسطيني من أراضيهم بعد ارتكاب عشرات المجازر، مثل دير ياسين، والطنطورة، والدوايمة. كما تم تدمير أكثر من 500 قرية فلسطينية ومنع سكانها من العودة، في عام 1967باحتلال الكيان الصهيوني للضفة الغربية، والقدس الشرقية، وقطاع غزة، والجولان وسيناء، تم تهجير أكثر من 300 ألف فلسطيني، بينهم 130 ألفاً من القدس والضفة لتستمر سياسات الطرد وهدم المنازل في مناطق مثل الخليل، سلوان، الشيخ جراح، كما تعرض بدو النقب لمخططات تهجير متتالية، آخرها مخطط برافر الذي أقره الاحتلال عام2013 لتهجير عشرات القرى الفلسطينية من بدو النقب، لتتوالى إلى يومنا هذا عمليات الهدم للقرى الغير معترف بها من الاحتلال مثل أم العراقيب والخان الأحمر، بهدف حيازة أكبر مساحة من الأرض وتجميع السكان فيما سماه الاحتلال بلديات التركيز. منذ النكبة يرافق عمليات القتل والهدم والإبادة، منظومة قانونية استيطانية تسن القوانين بما يخدم نزع الأرض من الفلسطينيين وتمكين سلطات الاحتلال والمستوطنين من ما تطوله أيديهم. فالتخلص من الوجود الفلسطيني هو لبنة أساسية في المشروع الصهيوني الاستيطاني الإحلالي، والمشترك بين جميع مخططات والمشاريع التي طرحت للتعامل مع الوجود الفلسطيني من مشروع بن غوريون عام 1948 ثم مقترحاته عام 1956 إلى مشروع ليفي اشكول، ويغئال آلون، وصولا إلى وثيقة جنيف هو تصدير المشكلة الى الدول العربية المحيطة.

المخططات الغربية للتهجير والتوطين

على مدار العقود الماضية، كان للدول الغربية دور المتآمر في مشاريع التهجير المختلفة ضد الشعب الفلسطيني، فقد طرحت العديد من المشاريع والمخططات الدولية بهدف تهجير وإعادة توطين الفلسطينيين في منافيهم، كبديل عن حقهم في العودة إلى وطنهم، خدمة للمشروع الصهيوني. ومن بين أهم هذه المشاريع:

مشروع ماك غي لعام 1949 نسبة إلى مستشار وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط ماك غي، والذي تعتبر خطته من أقدم المشاريع لتوطين اللاجئين الفلسطينيين، عبر إنشاء وكالة تتكون من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، بهدف إنشاء مشاريع تنموية وإعادة مئة ألف لاجئ إلى الأراضي المحتلة، مع توطين باقي اللاجئين الفلسطينيين في دول أخرى.

كما أرسلت الامم المتحدة في نفس العام بعثة غوردن كلاب بهدف دراسة الأوضاع الاقتصادية للدول العربية، بهدف توطين اللاجئين الفلسطينيين فيها، على أن يؤسس صندوق بما يقارب 50 مليون دولار، تقوم الولايات المتحدة بتمويل 70 بالمئة منه لإنجاز مشاريع تنموية في تلك الدول.

ثم مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين في سيناء (1950 - 1955) والذي قدم بدعم بريطاني وأمريكي، كمقترح لنقل اللاجئين من قطاع غزة إلى مناطق في شمال سيناء، ومنحهم أراضي للسكن والاستصلاح الزراعي، وهو ما قوبل برفض واسع من الشعب الفلسطيني والدول العربية. ثم مشروع جون بلاندفورد المفوض السابق للأمم المتحدة سنة 1951 والذي اقترح تخصيص ميزانية ضخمة تقارب 250 مليون دولار لدمج اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية، وتبع ذلك عدة مشاريع بهدف واحد وهو إفراغ فلسطين من السكان الأصليين كمشروع المبعوث الأمريكي جونستون1955 – 1953)) لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الأردن وسوريا، وربط ذلك بمشاريع تنموية لاستغلال موارد المياه وتطوير المشاريع الزراعية، وهو ما عرف بمشروع الإنماء الموحد لموارد مياه نهر الأردن. بالإضافة لخطط مشابهة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الأردن.

عام 1954 أرسلت الولايات المتحدة بعثة استقصاء مكونة من النائبين سميث وبروتي، وكانت توصية البعثة هي ممارسة الضغط على الدول العربية لاستيعاب اللاجئين الفلسطينيين، وأن تقوم الولايات المتحدة بتقديم معونات للدول التي تقبل التوطين ومنح اللاجئين الفلسطينيين حق المواطنة. وكان لبريطانيا رؤيتها للتعامل مع قضية اللاجئين الفلسطينيين، حيث أعدت وزارة الخارجية البريطانية سنة 1955 تقريرا مفصلا يتضمن عددا من مشاريع التوطين في العراق، بالتنسيق

مع السفارة البريطانية في بغداد وقسم التطوير في المكتب البريطاني في الشرق الأوسط في بيروت والأونروا وبقية السفارات البريطانية في المنطقة.و كان المنتظر من المشروع هو موافقة العراق على استيعاب مليون لاجئ فلسطيني على مدى عشرين سنة. كما قام عضو الكونغرس الأميركي هيوبرت همفري بدراسة توثيقية سنة 1957، من خلال زيارته لعدد من مخيمات اللاجئين، حيث أوصت الدراسة بالشروع في تسهيل إعادة توطين اللاجئين في بعض الدول العربية. وراهنت على أن الجيل الجديد من اللاجئين سيفقد انتماءه بمرور الوقت في حالة توفير مشاريع اقتصادية مناسبة. بعد اجتياح لبنان عام 1982برزت خطة جديدة لترحيل اللاجئين الفلسطينيين من لبنان، وكانت الوجهة هذه المرة إلى دول مثل كندا واستراليا. وفي عام 1993 اقترح الدبلوماسي الكندي مارك بيرون توطين اللاجئين الفلسطينيين في دول الجوار فيما عرف بمشروع مارك بيرون. عام 1997 قدمت المحامية الأمريكية دونا آزرت أمام الكونغرس دراسة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في أماكن تواجدهم، مع توطين 75 ألف فلسطيني في لبنان.

كما اقترح الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، عام 2000 رؤيته للتعامل مع قضية اللاجئين الفلسطينيين، من خلال توطينهم في أماكن اقامتهم في الخارج، وأن يتم توطين الباقي في دولة فلسطينية جديدة في الأراضي التي يتم تبادلها مع دولة الاحتلال.

على نفس النهج التآمري على الحق الفلسطيني سارت صفقة القرن (2019 - 2020)، والتي تبناها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خلال ولايته الأولى بهدف القضاء على حق العودة، مع منح الفلسطينيين تعويضات مالية وهو ما قوبل بالرفض دوما فلسطينيا وعربيا.

تهجير سكان قطاع غزة الجديد القديم

إن مشاريع التجهير لسكان قطاع غزة ليست بالجديدة،، وسبق أن طُرحت عدة

مشاريع تهدف إلى تهجير سكانه ولعل أبرزها مشروع إعادة التوطين في شمال سيناء، ثم خطة موشيه ديان وليفي اشكول بعد احتلال قطاع غزة عام 1967 والتي طرحت بهدف التخلص من أكبر عدد من سكان القطاع، ووفق مصادر الاحتلال نفسه فقد طرحت الفكرة للتطبيق بأكثر من وسيلة منها إفقار القطاع لخلق أزمة إنسانية تشجع السكان على الهجرة، مع التحرك بشكل سري في عدة دول لفتح ممرات للهجرة الطوعية، تحت مسمى الهجرة الهادئة، حيث كان المقترح توجيه المهاجرين إلى دول الخليج العربي والأردن.

فطالما اعتبر قطاع غزة هاجس للاحتلال الصهيوني ومشاريعه التوسعية، بسبب المشكل الديموغرافي وتحول القطاع لبؤرة للعمل المقاوم أصبحت تتبلور مع الوقت لتصبح قاعدة لاستهداف الاحتلال. لذلك استخدم الاحتلال الحروب المتتالية على قطاع غزة كذريعة، لتدمير كل الظروف التي تسمح للسكان بالبقاء على قيد الحياة، واستخدم الحصار الخانق على القطاع كأحد الأدوات الأساسية لتهجير السكان، وهو ما دفع للأسف بموجات من الهجرة وسط الشباب بحثا عن حياة أفضل.

فمنذ فرض الحصار على قطاع غزة عام 2007، شهدت القطاع زيادة ملحوظة في أعداد المهاجرين الباحثين عن فرص عمل خارج القطاع، حيث بلغ اجمالي المهاجرين في الفترة من 2007 الى 2021 ما يقارب 70000 شخص، هذا الرقم يشير فقط للمغادرين عبر معبر رفح الحدودي، لكن هناك أيضا محاولات الهجرة الغير شرعية والتي سجلت حوالي 380 حالة وفاة وفقدان خلال محاولات الهجرة. الرابط بين محاولات الهجرة عبر معبر رفح أو بشكل غير شرعي، هو تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية لسكان القطاع في ظل الحصار الخانق، مع ارتفاع معدلات الفقر والبطالة.

آخر مشاريع التواطؤ ضد الشعب الفلسطيني وقضيته، ما خرج به الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، في عهدته الثانية، تحت شعار تحويل قطاع غزة إلى ريفييرا الشرق الأوسط، حيث أصبح إفراغ القطاع من سكانه مطلب ملح بعد فشل الاحتلال في تصفية المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وما كان الاحتلال ليفشل لولا صمود الحاضنة الشعبية وإصطفافها خلف مقاومتها. وهو ما دفع للتفكير بتهجير سكان القطاع نحو الأردن ومصر، بل إن هناك تصورات أخرى طرحت لتهجير سكان القطاع إلى ليبيا والمغرب بعد الرفض الذي تلقاه المقترح الأول.

تحديات مواجهة مشاريع التهجير والتوطين

المشترك بين كل المشاريع المطروحة لتهجير سكان فلسطين هو التخلص، من الضغط الديموغرافي الذي يمثله الإنسان الفلسطيني المتشبث بأرضه على الكيان الصهيوني، والذي يدركه الاحتلال من خلال دراساته أن معركة الديموغرافيا محسومة فلسطينيا، وأنه لا مكان للصهاينة

وسط بحر من الفلسطينيين، فالمشترك بين كل المشاريع هو إخراج الفلسطيني خارج فلسطين التاريخية، أيا كان المسار تفاوضيا أو عسكريا، جميع خطط التهجير تقوم على إبعاد الفلسطيني نحو دول الجوار، كما أن فشل جميع الخطط كان على صخرة التمسك الفلسطيني بالأرض، ورفض دول الجوار العربي للتهجير، لكن المتغير الحالي هو تمدد المشروع الصهيوني في المنطقة العربية من خلال اتفاقيات التطبيع في المنطقة شرقا وغربا، بالإضافة إلى تغير مركز ثقل القرار السياسي العربي، في ظل تحديات اقتصادية واجتماعية تمر بها العديد من الدول العربية، وهو ما ستستخدمه القوى الإمبريالية للضغط على الدول العربية للإذعان، فالجدير بالذكر أن مخططات التهجير القديمة شهدت تواطؤ من بعض الدول العربية والتي أبدت استعدادها للقبول باستقبال وتوطين الفلسطينيين، كما أن قطاع غزة المكلوم سيكون عرضة لمساومات كبيرة خلال فترة الإعمار، فما تحدث عنه ترامب عن التنازل عن مخططه لتوطين سكان قطاع غزة في سيناء والأردن، لا يعني الإستغناء عن الخطة ولكن إعادة إنتاجها بوسائل أخرى كالتجويع وإبقاء القطاع المدمر على حاله بتواطؤ ربما عربي، وبالمقابل فتح نوافذ للهجرة الطوعية من القطاع لدول أخرى مستنسخا خطة موشي ديان وليفي اشكول للهجرة الهادئة، وهو ما كان يحدث بشكل أو بآخر في ظل الحصار الذي كان ومازال يتعرض له القطاع.

آليات التصدي والمواجهة

التصدي لمحاولات التهجير القسرية والطوعية يتطلب الاشتغال على عدة محاور دوليا وإقليميا، مع اتباع نهج شامل ومتكامل يجمع بين الإجراءات القانونية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية. فلعل أبرز ما يميز المشهد السياسي العالمي حاليا هو عودة الظاهرة الترامبية، التي لا يمكن اختصارها في شخص الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب، وإن كان يمثل الواجهة الأساسية لها بما تمثله من صلف، وتطرف، وعنصرية. فما وصم هذه الإدارة خلال المرحلة الأولى، من حكم دونالد ترامب هو محاولة فرض الأمر الواقع على الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته، دون إكتراث بالمجتمع الدولي، فكان نقل السفارة الأمريكية للقدس، والضغط على الدول العربية لاستنزافها ماديا وطاقويا، والدفع بها للإنخراط في معسكر التطبيع. الولاية الثانية لدونالد ترامب، لن تختلف عن الأولى، لكنها ستكون أكثر تطرفا، وعنصرية، في محاولة لفرض الهيمنة الأمريكية على العالم، في مواجهة بروز قوى دولية جديدة، بالأخص الصين، فمقترح ريفييرا الشرق الأوسط ليس ببعيد، عن هذا الصراع الدولي المعقد والذي يدور حول سلاسل التوريد والهيمنة الاقتصادية والسيطرة على الطرق والممرات التجارية البحرية. كما أن مشروع قناة بن غوريون هو جزء من المخطط الأمريكي الصهيوني، لإعادة توجيه التجارة البحرية، لذلك ينظر ترامب لقطاع غزة وسكانه باعتباره عائق في وجه هذا المشروع. وتصريح ترامب بإطلاق يد الاحتلال لتهجير سكان الضفة الغربية مؤشر على طبيعة المرحلة القادمة، لذلك يجب التحرك دوليا، للعمل على محاصرة فكرة التهجير عبر الضغط السياسي والدبلوماسي لحشد الرآي العام الدولي ضد الفكرة، أما إعلاميا فهناك ضرورة للتحرك إعلاميا لمواجهة خطاب الإدارة الأمريكية الذي يروج للتهجير كإخلاء إنساني لحل قضية إنسانية في قطاع غزة الذي أصبح غير صالح للحياة، متجاهلا القضية الأساسية وهي وجود احتلال يمارس جرائمه ضد سكان أعزل في أرض محاصرة، كما يجب فضح جميع الأطراف الدولية التي قد تساهم ماديا أو ماليا في دعم فكرة التهجير.

على الصعيد القانوني يجب التلويح بورقة القانون الدولي والذي يجرم التهجير ويعتبره جريمة ضد الإنسانية، فالقانون الدولي يرفض التهجير القسري بشكل قاطع، بنص المادة 49 لاتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 والتي تحظر النقل الإجباري للسكان من الأراضي المحتلة، كما تشير المادة 147 للتهجير القسري باعتباره جريمة حرب، وتجرّم المادة 8 (2) (ب) (8) في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (روما 1998) التهجير غير القانوني، وتعتبر المادة 7 (1) (د) التهجير القسري جريمة ضد الإنسانية. أيضا على المستوى الدولي يجب تحميل الأطراف الدولية مسؤوليتها تجاه الوضع الإنساني المنهك في قطاع غزة، والضغط باتجاه ضرورة الإسراع في إدخال المساعدات ومواد الإعمار لتخفيف من الأوضاع المزرية التي يعيشها سكان القطاع بعد الحرب. أما عربيا، فما يحتاج أن يرسخ في أذهان الحكومات والشعوب هو أن وجود الاحتلال الصهيوني، لا يهدد فقط الشعب الفلسطيني، ولكنه مهدد للأمن القومي العربي، ولا يوجد من هو في أمان من مخططات الاحتلال. جميع مخططات التهجير التي حيكت منذ احتلال فلسطين أسقطت بتمسك الشعب الفلسطيني بحقوقه، وصلابة الموقف العربي من قضية التهجير، وهو ما يجب أن يكون العنوان الذي يدافع عنه الجميع في مواجهة المخططات القادمة، عبر إحياء قومية المواجهة مع الاحتلال وحلفائه. أما فلسطينيا فهناك ضرورة للتفكير والعمل على تحصين البنية الاجتماعية لمواجهة مخططات التهجير القادمة والتي ستأخذ شكل الإغراءات والفرص، في مقابل الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة، بالأخص في قطاع غزة، لذلك فهناك ضرورة لأن تلعب المؤسسات الإجتماعية والإقتصادية دورا أكبر في توفير الدعم لسكان القطاع، مما يعزز ثباتهم على الأرض، بدون ذلك فالطريق مفتوح أمام الهجرة الهادئة، أما عن القوى السياسية الفلسطينية فلقد فتحت معركة طوفان الأقصى أفقا جديدا في مسار القضية الفلسطينية، وهو ما يجب أن يدركه الكل الفلسطيني، أن القضية الفلسطينية قد عادت لواجهة الأحداث بعد نسيان، وأن الرأي العام العالمي أصبح أكثر إدراكا لعذابات الشعب الفلسطيني، وبما أن مشروع التهجير لم يعد يقتصر على قطاع غزة، حيث أطلق الاحتلال العنان لقواته لإفراغ مدن ومخيمات الضفة الغربية من السكان، وذلك بغطاء أمريكي واضح. فما تنتظره الجماهير الفلسطينية من القوى السياسية أن تكون على قدر التحدي والتحلي بالمسئولية الوطنية، فوحدة الموقف هي أقل ما يمكن يقدم لأرواح الشهداء.

كتيب الشهيد أبو عيد علي مصطفى

الشهيد الرفيق المقاتل

شوكت عماد عبد العال

«خليل»

والذي استشهد خلال معارك التصدي للعدوان الصهيوني في
جنوب لبنان دفاعاً عن شعبينا الفلسطيني واللبناني

حـــوار مـــع

الأمين العام لحزب النهج الديمقراطي العمالي المغربي

جمال براجع

أجرى الحوار: محمد أبو شريفة مدير تحرير مجلة الهدف

حزب النهج الديمقراطي العمالي (النهج الديمقراطي سابقاً) هو حزب سياسي مغربي يساري معارض، تأسس في العام 1995 على أيدي مجموعة من المناضلين المنتمين للمنظمة الماركسية – اللينينية المغربية «إلى الأمام» والمتعاطفين معها، ويشكل استمرارا لها على المستوى السياسي والفكري. ويتبنى النهج الديمقراطي العمالي الماركسية-اللينينية. ومن أبرز أهدافه المساهمة في إنجاز مهام التحرر الوطني والديمقراطية وبناء الاشتراكية كنظام يقضي على الرأسمالية واستغلال الإنسان للإنسان. وكان من أبرز المكونات السياسية في حركة 20 فبراير 2011 ومختلف الحراكات الشعبية. وفي المؤتمر الوطني الخامس للحزب الذي انعقد في الرباط في يوليو 2022 أعلن عن تأسيس حزب الطبقة العاملة وعموم الكادحين وغير اسمه إلى حزب «النهج الديمقراطي العمالي» معبرا عن طموح الطليعة العمالية في تصدر معركة التغيير الوطني الديمقراطي الشعبي. وقد تسلم على إثره جمال براجع مشعل قيادة «حزب النهج الديمقراطي العمالي» وهو ثالث أمين عام للنهج بعد عبد الله الحريف والمصطفى براهمة.

وأجرت مجلة الهدف حواراً معه تطرق فيه إلى موقف الشعب المغربي من التصدي لدعوات التطبيع، كما أوضح رؤية النهج الديمقراطي حول المستجدات الحاصلة بعد السابع من أكتوبر 2023 على الساحة الفلسطينية والإقليمية والعالمية.

■ 1 - كيف تقرؤون مسارات القضية الفلسطينية على ضوء التطورات المستجدة في العالم والمنطقة؟

عملت القوى الإمبريالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، في إطار مخططها الاستعماري «الشرق الأوسط الجديد» وملحقاته من «صفقة القرن» واتفاقات «أبرهام» على تصفية القضية الفلسطينية بتهجير الشعب الفلسطيني وإزاحة القضية من جدول الأعمال على الصعيد العالمي كقضية تحرر وطني وتحويلها إلى مجرد قضية «إنسانية» للاجئين يحتاجون إلى المساعدة والعناية والإدماج في بلدان اللجوء. وفي المقابل يتم إدماج الكيان الصهيوني في المنطقة وتشكيل «حلف عربي-إسرائيلي» تحت قيادة الكيان لمواجهة إيران وحلفائها في المنطقة بعد تعميم التطبيع على باقي الأنظمة وأساساً السعودية. كل ذلك بهدف نقل مركز الثقل العسكري الأمريكي إلى الشرق الأقصى للتفرغ لمحاصرة الصين التي تشكل العدو الرئيسي للولايات المتحدة التي بدأت تفقد الريادة على الصعيد العالمي في ظل التحولات الجيوستراتيجية التي يشهدها العالم نحو التعددية القطبية. إلا أن الرياح تجري أحياناً بما لا تشتهيه السفن كما يقال.

فالمقاومة الفلسطينية الموحدة بتفجيرها لملحمة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023 قد أحبطت هذا المخطط، وفرضت معادلة جديدة للصراع في منطقة الشرق الأوسط ضد التحالف الإمبريالي الصهيوني الرجعي بتأكيدها على أن القضية الفلسطينية عصية على التصفية ما دام هناك شعب مقاوم مؤمن ومتشبث بأرضه ومستعد للتضحية بالغالي والنفيس من أجلها، وأنه لا سلام ولا أمن في المنطقة، بل وفي العالم، بدون حل قضيته حلاً عادلاً ودائماً يضمن له حقه الشرعي في تقرير مصيره وتحرير بلاده من الوجود الصهيوني.

إن طوفان الأقصى قد أعاد القضية الفلسطينية إلى مكانها الطبيعي في مقدمة القضايا الدولية، وفضح هشاشة وضعف الكيان الصهيوني، وأثبت بوضوح أن هذا الكيان لن يستطيع الاستمرار في الوجود، ولو ليوم واحد، بدون دعم الدول الإمبريالية. كما عرى نفاق هذه الدول، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، وفضح حقيقتها كدول راعية للإرهاب والإجرام الصهيوني في حق الشعب الفلسطيني، ومشاركة في حرب الإبادة الجماعية التي يتعرض لها، وأن ادعاءاتها بشأن حقوق الإنسان والديمقراطية مجرد ادعاءات كاذبة وزائفة للتغطية على حقيقتها الاستعمارية العنصرية. كما عرى مدى تخاذل وخيانة وتواطؤ الأنظمة العربية الرجعية، وخصوصاً المطبعة مع الكيان، وعجز وصمت المنتظم الدولي وعلى رأسه هيئة الأمم المتحدة. وفي نفس الآن أيقظ الضمير الشعبي العالمي الذي هب لنصرة الشعب الفلسطيني ضد حرب الإبادة، وبشكل غير مسبوق، وخصوصاً وسط شعوب الدول الإمبريالية. دون نسيان الدور الكبير الذي لعبته بعض الدول الوطنية، وعلى رأسها جمهورية جنوب أفريقيا، التي وقفت إلى جانب الشعب الفلسطيني وجرت قادة الكيان، لأول مرة، إلى المحكمة الجنائية الدولية رغم كل الضغوطات والترهيب الذي تعرضت لها.

إن هذا المسار الذي فتحته المقاومة الفلسطينية وما حققته من مكاسب هامة في مواجهة حرب الإبادة، بفضل وحدتها وصمودها الأسطوري والتفاف الشعب الفلسطيني حولها، وإسناد قوى محور المقاومة في لبنان واليمن والعراق وسوريا وإيران، قد فرض على العدو توقيع اتفاق وقف إطلاق النار من دون تحقيق أهدافه في القضاء على المقاومة واسترجاع الأسرى وتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة. وهو ما يعد هزيمة إستراتيجية للعدو الصهيوني وانتصاراً تاريخياً للمقاومة.

في رأيي يجب تعزيز هذا المسار بمزيد من الصمود والوحدة الوطنية على الصعيد الداخلي واستثمار المكتسبات المحققة على الصعيد العالمي بما يقوي ويرسخ القضية الفلسطينية كقضية تحرر وطني لشعب مستعمر ومهجر من أرضه، وبما يعمق عزلة الكيان الصهيوني، وداعميه الإمبرياليين، ككيان استعماري عنصري يجب التحرر منه ليس فقط لصالح الشعب الفلسطيني بل للبشرية جمعاء. وأعتقد أن التحولات الجيوستراتيجية التي يشهدها العالم، والتي من معالمها التعددية القطبية التي ستكون في مصلحة الشعوب ومنها الشعب الفلسطيني، إذا ما تم استثمارها بالشكل الأفضل من طرف حركة التحرر الوطني الفلسطيني وكل القوى التحررية والثورية المساندة لها.

■ 2 - بعد أكثر من 471 يوماً من حرب الإبادة البشرية على قطاع غزة، استطاعت المقاومة فرض شروطها على العدو الصهيوني ضمن إبرام صفقة على عدة مراحل تشمل وقف العدوان وتبادل الأسرى. كيف ترى مآلات هذا الاتفاق؟

كما قلت سابقاً، لقد هزمت المقاومة العدو الصهيوني المدعوم من طرف القوى الإمبريالية، وأنهكت جيشه واقتصاده ومجتمعه الذي انفجرت وسطه التناقضات بشكل غير مسبوق، وفرضت عليه توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بشروطها من دون تحقيق أهدافه من حرب الإبادة الجماعية. وحتى الإمبريالية الأمريكية أدركت عجزه وتدخلت لإنقاذه وإخراجه من المستنقع الذي أغرق نفسه فيه. لكن هذا الاتفاق، الذي سيتم عبر مراحل، يبقى هشاً ويحمل في طياته عناصر نسفه من طرف الكيان الذي سيحاول البحث عن مبررات لاستمرار الحرب بغية تحويل الهزيمة إلى نصر وخصوصاً مع صعود «ترامب» للرئاسة الأمريكية وتصريحاته بتهجير سكان غزة إلى مصر والأردن ودول أخرى، والتي تندرج ضمن مؤامرة «صفقة القرن»، وتمكين الكيان من مزيد من الأسلحة الفتاكة بما فيها القنابل الضخمة، وانعكاسات التحولات في المنطقة بعد سقوط النظام في سوريا على محور المقاومة وخاصة في لبنان وفلسطين. بالإضافة إلى ما يتردد من وجود مخطط لفرض إدارة مصرية على القطاع لسحب البساط من المقاومة والقضاء عليها بتجريدها من السلاح كبديل لتهجير الفلسطينيين نحو سيناء والذي سيهز أركان النظام المصري في حالة تطبيقه.

لكني أعتقد أن صمود الشعب الفلسطيني ووحدة قواه الوطنية ومقاومته، وقدرة هذه الأخيرة على استثمار المكتسبات المحققة، واستمرار هبات الشعوب عبر العالم وفي منطقتنا لدعم الشعب الفلسطيني، وفعالية إسناد القوى الوطنية التحررية والثورية في المنطقة والعالم للمقاومة وللقضية الفلسطينية، كل ذلك قادر على إجبار العدو على الالتزام باحترام الاتفاق بجميع مراحله ووقف الحرب بشكل نهائي والدخول في مرحلة إعادة الإعمار تحت الإشراف الفلسطيني بعيداً عن الأجندات الأجنبية.

■ 3 - تواجه المنطقة مخاطر وتحديات جسيمة تتمركز في بعض دول الطوق بحيث تتقاطع مع توجهات دولية تتسم بتصاعد الصراع، كيف تقيمون هذه المخاطر وتداعياتها على عموم المنطقة؟

لقد شكلت منطقة الشرق الأوسط،

تاريخياً، ساحة صراع مصالح وأطماع بين الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بحكم ثرواتها الطاقية والمعدنية الهائلة والمتنوعة وموقعها الإستراتيجي. مما يجعل هذه الدول، وأساساً الولايات المتحدة، تحرص على فرض استمرار هيمنتها على المنطقة بكل الوسائل من تدخلات عسكرية وإثارة الصراعات الطائفية والمذهبية وزرع الحركات الإرهابية لتفتيت وتمزيق الدول وإضعافها وحصار الدول الوطنية في المنطقة كسوريا وإيران بسبب الدفاع عن قرارها الوطني المستقل واصطفافها ودعمها للمقاومة الفلسطينية واللبنانية. في مقابل ذلك تقوم بتسليح ودعم أداتها وقاعدتها الأمامية في المنطقة أي الكيان الصهيوني بكافة وسائل التفوق العسكري والاقتصادي والتكنولوجي.

وقد ازدادت الغطرسة الإمبريالية الأمريكية مع إدراكها المخاطر التي أصبحت تهدد مصالحها وهيمنتها على المنطقة من جراء الاختراقات الاقتصادية والسياسية والديبلوماسية للقوى الصاعدة في المنطقة وفي مقدمتها الصين في سياق التحولات الجيوستراتيجية التي يشهدها العالم، وفي ظل الأزمة الاقتصادية العميقة التي تعرفها المنظومة الرأسمالية الغربية وما تثيره من تناقضات وسطها والتي ستجعلها أكثر شراسة وعنفاً خاصة مع صعود الحركات اليمينية الفاشية للسلطة كما هو الشأن في الولايات المتحدة.

إن مواجهة الغطرسة الإمبريالية الصهيونية تفرض على القوى الوطنية والديمقراطية والثورية العمل على توحيد صفوفها وتنسيق جهودها وتوحيد شعوبها وتنظيمها لخوض الصراع لتحقيق مهام التحرر الوطني والديمقراطية، ودعم مقاومة شعوب المنطقة وفي مقدمتها المقاومة الفلسطينية من أجل تحرير واستقلال فلسطين.

■ 4 - تزداد التكهنات والتوقعات حول «اليوم التالي» لطوفان الأقصى.. البعض يرجح اندلاع حرب إقليمية واسعة، والبعض الآخر يرى إمكانية الالتزام باتفاقية إعلان وقف إطلاق النار.. كيف تفسر ذلك؟

في اعتقادي من الصعب الحديث الآن عن اندلاع حرب إقليمية واسعة وخاصة بعد الضربات التي تعرض لها محور المقاومة في سوريا ولبنان وما أحدثته من تحولات على مستوى الحكم في سوريا ولبنان، والإنهاك العسكري والاقتصادي والنفسي المجتمعي غير المسبوق الذي تعرض له الكيان الصهيوني والذي أثبت أن هذا الكيان الذي لم يستطع الصمود أمام المقاومة لفترة عام ونصف لا يمكنه الصمود في حرب أطول وأوسع. هذا بالإضافة إلى أن التدخل العسكري الأمريكي المباشر ليس من أولويات الرئيس الأمريكي ترامب الذي يركز، ضمن سياسته البراغماتية، على معالجة الأزمة الاقتصادية والمجتمعية العميقة لبلاده والتخفيف من الوجود العسكري الأمريكي في الخارج والتركيز على الابتزاز والحرب الاقتصادية ضد الدول المنافسة بالدرجة الأولى دون استبعاد التدخل العسكري في نهاية المطاف.

وفي هذا السياق يأتي قرار ترامب فتح المفاوضات مع روسيا لوقف الحرب في أوكرانيا وابتزازه لهذه الأخيرة بالحصول على نصف معادنها النادرة، وأيضاً ابتزازه لحلفائه الأوروبيين بالرفع من نسبة مساهمتهم في الميزانية العسكرية لحلف الناتو، وتصريحاته الاستعراضية حول تهجير فلسطينيي غزة إلى مصر والأردن في إطار ابتزاز حكام هذين البلدين لتوريطهما أكثر في تصفية القضية الفلسطينية، مما يرجح كفة استمرار وقف إطلاق النار مع استعمال العدو الصهيوني كل الحيل والتكتيكات لإفراغه من مضمونه وجعله قناة للقضاء على المقاومة عبر فرض إدارة غير فلسطينية (دولية أو عربية) تكون من مهامها نزع سلاح المقاومة وتفكيك تنظيماتها وعزلها عن حاضنتها الشعبية وفتح المجال للهجرة الطوعية أمام الفلسطينيين. هذا بالإضافة إلى تصعيد حربه الوحشية على الضفة الغربية وترسيخ احتلاله لأجزاء من لبنان وسوريا.

■ 5 - يبدو أن الهيمنة الأميركية على المنطقة تأخذ أطواراً جديدة؟ ما مدى تحقق ذلك؟ وهل نحن مقبلون على عالم متعدد الأقطاب؟

كان اندلاع الأزمة المالية والاقتصادية سنة 2008 إيذاناً بدخول العالم مرحلة جديدة تنهي مع النظام العالمي ذي القطب الواحد الذي تشكل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي وتفتح الآفاق لتشكل عالم جديد متعدد الأقطاب بعد ظهور قوى دولية صاعدة تقودها الصين وروسيا والتي ستشكل لاحقاً مجموعة «بريكس». وقد رافقت هذا التحول صراعات ومنافسات قوية حول الأسواق ومناطق النفوذ في العالم من نتائجها تراجع هيمنة القوى الإمبريالية التقليدية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية في العديد من مناطق العالم وخصوصاً في أفريقيا وأمريكا اللاتينية لصالح القوى الصاعدة مما سمح للعديد من الدول من استرجاع سيادتها وقرارها الوطني المستقل.

إن اتجاه العالم نحو التعددية القطبية لا يسير طبعاً في اتجاه خطي تصاعدي، بل يخضع في سيرورته لتحولات ومؤثرات تزيد من تعقيده وخصوصاً المرتبطة بردود أفعال الدول الإمبريالية المهددة بهذا التحول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي لن تدخر جهداً من أجل استمرار هيمنتها بما في ذلك جر العالم للحروب.

إن الإمبريالية الأمريكية لن تتخلى بسهولة عن منطقة الشرق الأوسط. لأن فقدانها يعني التسريع الدراماتيكي لخسارة ريادتها للعالم الرأسمالي لصالح الصين كقوة عظمى صاعدة، لذلك فهي تعمل جاهدة على تكريس وجودها في المنطقة عبر تكريس تفوق أداتها الوظيفية أي الكيان الصهيوني وتكريس تحكمها في الأنظمة العربية الرجعية عبر مزيد من الإخضاع والترهيب والابتزاز والتهديد، ومنع إيران من امتلاك السلاح النووي لأن في ذلك تغييراً جذرياً لموازين القوة في المنطقة.

فمسار التاريخ قد يتعطل لكنه لا يتوقف. فهيمنة الإمبريالية الأمريكية الصهيونية على المنطقة لن تدوم إلى الأبد. فالشعوب وحركاتها الوطنية التحررية بدأت تنتفض ضد هذه الهيمنة. والمقاومة قد تجذرت عميقاً وأثبتت أنها قادرة على تغيير معادلات الصراع لصالح قضايا التحرر الوطني، ليس فقط على صعيد المنطقة بل على الصعيد العالمي. صحيح أن هناك نكسات مثل ما حدث في سوريا قد تؤثر على مجريات الصراع لكن النصر في النهاية سيكون لصالح الشعوب.

■ 6 - إن الموقف الأصيل للشعب المغربي هو دعم فلسطين ومناهضة التطبيع، كيف تقيم دور النهج الديمقراطي العمالي وبقية الأحزاب الثورية المغربية في التصدي للدعوات إلى التطبيع مع العدو الإسرائيلي؟

يعتبر الشعب المغربي وقواه الديمقراطية والثورية القضية الفلسطينية قضية وطنية. فهي حاضرة في وجدانه وعقله ونضاله من أجل التحرر الوطني الديمقراطي. من هنا يأتي دعمه وإسناده للشعب الفلسطيني بكافة الوسائل والأشكال من أجل حقه في تقرير مصيره وعودة اللاجئين وبناء دولته الديمقراطية على كامل فلسطين وعاصمتها القدس بما في ذلك مشاركة وانضمام الكثير من الشباب المغربي لفصائل المقاومة الفلسطينية وخاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واستشهاد الكثير منهم في ساحات المعارك فداء لفلسطين.

وقد ازاد حضور القضية الفلسطينية في نضال الشعب المغربي وقواه المناضلة مع إقدام النظام المغربي على توقيع اتفاقية التطبيع مع العدو الصهيوني في 10 دجنبر 2020، والتي تعتبر خيانة ووصمة عار على جبين هذا النظام وطعنة غادرة للقضية الفلسطينية.

وقد لعب حزب النهج الديمقراطي العمالي، وقبله النهج الديمقراطي ومنظمة «إلى الأمام» الماركسية اللينينية، التي تعتبر امتداداً فكرياً وسياسياً لها، دوراً أساسياً في دعم وإسناد كفاح الشعب الفلسطيني والتعريف بقضيته في جميع الأوساط العمالية والجماهيرية والطلابية... وفي مواجهة التطبيع مع الكيان الصهيوني، سواء في مرحلته السرية أو الرسمية، بمختلف الأشكال والأنشطة السياسية والإشعاعية والنضالية الميدانية. كما ساهم في إنشاء الكثير من الآليات التنظيمية لدعم الشعب الفلسطيني، ومن أبرزها الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع التي تم تأسيسها سنة 2021 من طرف 15 منظمة سياسية ونقابية وحقوقية.

فمنذ تأسيسها تقوم هذه الجبهة بدور كبير في تأطير نضالات الشعب المغربي الداعمة للقضية الفلسطينية والمناهضة للتطبيع من مسيرات ومظاهرات شعبية وندوات وأنشطة إشعاعية جماهيرية ومهنية وغيرها. وقد حافظت الجبهة على زخم الإسناد والدعم للقضية، بل وتصاعد هذا الزخم في جميع مناطق المغرب بعد انطلاق ملحمة طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023.

ورغم كل هذه النضالات والفعاليات فإن النظام المغربي لا زال متمادياً في سياسته التطبيعية ضداً على إرادة وموقف الشعب المغربي، بل أخذ يوسعها لتشمل مختلف الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، مستفيداً من اختلال موازين القوى لصالحه، مما يشكل خطراً داهماً ليس فقط على القضية الفلسطينية، بل على مصالح ومستقبل الشعب المغربي وأمن وسيادة المغرب والأمن والاستقرار في المنطقة المغاربية ككل.

انطلاقاً من إدراكها لهذا الخطر فإن الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع بكل مكوناتها مصممة العزم على تصعيد النضال بكل الوسائل الممكنة لإسقاط التطبيع وحشد المزيد من الدعم والإسناد للشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة.

■ 7 - ما هو تقديركم لدور القوى العربية التقدمية والديمقراطية وعموم القوى المناضلة في تصدر المشهد السياسي والاجتماعي العام وعلاقة هذه القوى مع حركات التضامن الأممية والعالمية التي ساندت غزة في وجه حرب الإبادة البشرية؟ وماهي رسالتكم إلى هذه القوى؟

من خلال متابعتي لتفاعل وردود الأفعال في الساحة العربية والمغاربية منذ طوفان الأقصى وما تلاها من حرب الإبادة الجماعية الصهيونية الإمبريالية لاحظت أن ردود الفعل لم تكن في المستوى المطلوب لتشكل الضغط المطلوب لفرض الإرادة الشعبية على الأنظمة الحاكمة حتى تتخذ مواقف صارمة ومؤثرة لوقف حرب الإبادة الصهيونية. كما لاحظت تفاوتاً كبيراً على مستوى التضامن والإسناد الميداني بين شعوب المنطقة. وهذا لا يعني أن الشعوب التي لم تخرج للشوارع، أو التي كان رد فعلها دون المستوى، لم تتأثر وتتأسى بهول الحرب الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني، بل إن ظروف الاستبداد والقمع السياسي هي التي حالت دون ذلك، بالإضافة إلى ضعف القوى الديمقراطية والثورية.

في مقابل ذلك لاحظنا الهبة الشعبية المناصرة للشعب الفلسطيني في كل من أمريكا الشمالية وأوروبا خصوصاً في أوساط الشباب والطلبة حيث تحولت الجامعات الأمريكية والأوروبية إلى منصات نضالية تضامنية بامتياز لم يشهد لها التاريخ مثيلاً منذ الحرب الإمبريالية في فيتنام.

إن هذا الواقع يفرض علينا كقوى وطنية وتقدمية وثورية في منطقتنا وعبر العالم تنسيق جهودنا وتوحيد نضالنا وتنظيم وتعبئة الشعوب والطبقات العاملة لمواجهة التحالف الإمبريالي الصهيوني الرجعي. وهنا أتوجه للقوى الماركسية الثورية بأن تلعب دورها الأساسي في بناء الجبهة العالمية لمواجهة الإمبريالية وفي مقدمتها الأمريكية باعتبارها الأكثر شراسة وخطراً على البشرية ككل.

السودان تحت الوصايا والانتداب الأممي

د. محمد حسب الرسول - عضو الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، كاتب وباحث في القضايا الإقليمية - السودان

لم يتوقّف التدخل الخارجي لكنه ظل حاضراً يمسك بتلابيب السودان وقراره الوطني بشكل كبير ومخيف. وفي خطوة تمثل أبلغ درجات الخطر على السودان في حاضره ومستقبله، قال عرفان صديق السفير البريطاني في الخرطوم، إنه أعد رسالة وقعها رئيس وزراء الفترة الانتقالية عبد الله حمدوك، موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة، يطلب فيها تشكيل بعثة أممية تعيد تشكيل حاضر السودان وتصنع مستقبله على نحو جديد على الصعيد الاجتماعي والثقافي والسياسي والدستوري، وتفكك مؤسسات الدولة وتعيد بناءها على أسس جديدة بعيداً عن الموروث والثوابت الوطنية والقيمية والحضارية للسودان.

قام رئيس الوزراء بإرسال هذه الرسالة سراً إلى الأمين العام للأمم المتحدة من دون علم مجلس السيادة الذي يشكل العسكريون نحو نصف عدد أعضائه، واستجاب مجلس الأمن لطلب رئيس الوزراء، وأنشأ البعثة، وعيّن الصهيوني الألماني فولكر بيرتس رئيساً لها، وهو الذي رافق حقبة هدم الدولة العراقية حين كان أحد مساعدي الحاكم الأميركي للعراق بول بريمر، كما واكب مشروع تدمير الدولة السورية في النصف الأول من سنوات الأزمة فيها ضمن الفريق الأممي هناك.

تضمّنت رسالة رئيس الوزراء عبد الله حمدوك إلى الأمين العام (الرسالة التي أعدها السفير البريطاني) النطاق الجغرافي لعمل البعثة وحدده بكل جغرافيا السودان، وحدد نطاقها الزمني، فجعل أمدها يمتد حتى عام 2030، كما حددت الرسالة طبيعتها ومهامها - وفق نصها- على ما يلي:

- تأليف بعثة سياسية خاصة للسودان تضم عنصراً قوياً، وتشمل ولايتها الجغرافية كامل أراضي السودان، ويمتد نطاقها الزمني حتى يحقق السودان أهداف التنمية المستدامة بحلول 2030، على أن تكون ذات نهج مبتكر ومنسق، وأن يتسم بالمرونة والسلاسة، وينبغي استخدام عناصر أساسية واتباع نهج نموذجي، وأن يوسع فريق هذه البعثة عملياته من حيث الحجم والنطاق ليكون على مستوى الغرض المنشود، وأن يكون وجود الأمم المتحدة في السودان متكاملاً ومتوائماً من الناحية الإستراتيجية، وتحت قيادة واحدة، وأن يجري الأمين العام إصلاحات لركائز البعثة.

- أن يكون من مهمات البعثة: دعم تنفيذ الإعلان الدستوري (الدستور الانتقالي)، والرصد المنتظم لتنفيذ نقاطها المرجعية الرئيسة؛ الاضطلاع بعمليات الإصلاح القانوني والقضائي؛ وإصلاح قطاع الأمن (الجيش، والشرطة، والأمن)؛ وإصلاح الخدمة المدنية؛ ووضع الدستور الدائم؛ ودعم جهود السلام، ودعم إعادة المشردين داخلياً واللاجئين إلى أوطانهم وإعادة دمجهم.

استجاب الأمين العام للأمم المتحدة لطلب رئيس الوزراء الانتقالي، وبموجب ذلك أنشأ مجلس الأمن الدولي في 4 حزيران/يونيو 2020، بالقرار الرقم 2524،أنشأ بعثة سياسية أممية للسودان حملت الاسم المختصر «يونتامس»، وقد قابل تحالف الحرية والتغيير هذه الاستجابة بحفاوة بالغة، لأن هذه البعثة في نظره ستحقق أهدافاً كبيرة، من بينها تقليم أظفار المؤسسة العسكرية، وصناعة معادلة جديدة لمصلحة رئيس الحكومة وحاضنته السياسية، برغم المخاطر الكبيرة التي ستترتب على وجود هذه البعثة وأهدافها ودورها من مخاطر كبيرة

تستهدف سيادة البلد واستقلاله.

اختار الأمين العام للأمم المتحدة الألماني فولكر بيرتس الذي عمل مع بول بريمر في العراق إبان الاحتلال الأميركي له، ثم عمل مستشاراً لمبعوث الأمين العام للأمم المتّحدة لسورية خلال الحقبة 2015 - 2018، كما عمل أستاذاً في جامعة هومبولت في برلين، وأستاذاً مساعداً في الجامعة الأميركية في بيروت (1991 - 1993)، وترأس مجموعة أبحاث الشرق الأوسط وإفريقيا حتى نيسان/أبريل 2005، وعمل مديراً للمعهد الألماني للسياسة الدولية والأمن، وله كتاب بعنوان نهاية الشرق الأوسط الذي نعرفه.

ولعل في السيرة الذاتية لرئيس البعثة الأممية بخبراته في العراق وسورية وخبراته الأخرى عنواناً لطبيعة المهمة التي اختير لها في مهمته الجديدة في السودان. باشر فولكر بيرتس عمله في السودان، وصادر القرار الوطني بشكل كامل تقريباً، وأصبح حاكماً عاماً للسودان يأمر فيُطاع. وقد تسبب بذلك في نشوب الحرب التي يشهدها السودان حالياً.

يتضح من طبيعة البعثة التي جاء تفصيلها في رسالة رئيس الوزراء أنّها بعثة سياسية وشاملة من حيث التكوين، وأن لها قيادة واحدة تجتمع تحت إمرتها كل المؤسسات الأممية، وأن نطاق ولايتها يشمل كل السودان، وأن أجلها الزمني يمتد عشر سنوات هي عدد سنوات المرحلة الانتقالية المقترحة من تحالف الحرية والتغيير الذي كان حاكماً في السنوات من 2019 إلى 2021، وأن الرسالة منحت الأمين العام للأمم المتحدة تفويضاً لتطوير البعثة تحت مسمى الإصلاح بما يجعلها مفتوحة الأهداف والوسائل والآليات.

كما أن البند الأول في مهمات هذه البعثة الوارد تحت صيغة دعم تنفيذ الإعلان الدستوري وضع البعثة في مرتبة أعلى من كل مؤسسات المرحلة الانتقالية، وخصوصاً مجلسي السيادة والوزراء، إذ منح هذا البند الحق للبعثة في مراقبة أداء المجلسين، وممارسة عمليات المتابعة والتقييم لأعمالهما، وتصويب تلك الأعمال من موقع الوصاية المسنودة بقرار أممي.

بالنظر إلى مهمات البعثة، وفق رسالة عبد الله حمدوك التي اعتمدها القرار الأممي المنشئ للبعثة، فإنّ تلك المهمات تُمكن البعثة، وبصورة كاملة، من ممارسة الوصاية والانتداب على السودان، وهو ما ثبت إلى حد كبير خلال مدة عملها، ومن خلال ممارساتها العملية.

كما أن مهمات البعثة تشمل مباشرةً إعادة هندسة أوضاع الدولة تحت مظلة إصلاح مؤسساتها التي وردت ضمن المهمات، وهو الذي تمت ترجمته عملياً من خلال تفكيك بعض مؤسسات الدولة، وإضعاف المؤسسات التي لم يشملها التفكيك، ومن خلال عمليات الإحلال والإبدال التي شملت كوادرها، إذ شهدت حقبة حكومة عبد الله حمدوك الأولى والثانية فصل وتشريد آلاف الكفاءات الوطنية التي تمرست في العمل، وتشبعت بقيَمه وتقاليده، واكتسبت وراكمت عبر عقود من الزمن خبرات كبيرة تم استبدالها بأصحاب الولاء السياسي وببعض الذين جاء بهم التغيير من خارج الحدود.

لم تكن مهمات البعثة التي جاءت في رسالة رئيس الوزراء وتضمنها قرار مجلس الأمن الذي أنشأها، مصوبة فقط نحو إعادة تكوين مؤسسات الدولة على نحو جديد يخدم هدف صناعة حاضر جديد للدولة السودانية تحت قيادة البعثة الأممية من خلال عمليات التفكيك والتركيب التي استهدفت المؤسسات، إنما مكّنت هذه المهمات البعثة أيضاً من صناعة مستقبل السودان عبر وضع الدستور الدائم للبلاد وسن قوانين جديدة بعيداً من الإرادة الوطنية، وبمنأى عن تطلعات المواطنين ووجدانهم وهويتهم التاريخية والحضارية، علماً أن للسودان خبرات وتجارب دستورية غنية جداً استفاد منها الإقليم بأسره، إذ كتب بعض الخبراء السودانيين كل الدساتير التي حكمت بلادهم منذ عام 1953 وحتى دستور 2005 الذي تم تعليق العمل به في 11 نيسان/أبريل 2019، وأن بعض خبرائه كتبوا دساتير دول عربية وآسيوية، وأن القانونيين من أبنائه أسسوا عدداً من المنظومات العدلية، وصاغوا قوانين دول كثيرة، ولا سيما في دول الخليج، وأن أساتذة القانون السودانيين درّسوا في جامعات كثيرة في محيط السودان العربي والإفريقي، وتخرجت على أيديهم أعداد كبيرة من دارسي القانون.

إنّ التدخل الخارجي في الشأن السوداني خلال هذه المرحلة الانتقالية أفضى إلى تحويل طبيعة الصراع السياسي في السودان إلى صراع بين مشروع الاستقلال الوطني ومشروع الهيمنة الغربية على البلاد، التي أعادها إلى مرحلة ما قبل الأول من كانون الثاني/يناير 1956؛ تاريخ استقلال السودان، الأمر الذي أدركه المجتمع وبدأ بحشد طاقاته لمقابلة هذا التحدي الذي استجد.

إنّ «الاستعمار»، كما هو عهده وتاريخه، ليس حريصاً على الديمقراطية في «مستعمراته». وقد طفق عبر تاريخه الطويل ينصب الحكام ويفرض الأنظمة، متجاوزاً حق الشعوب في اختيار حكامها وفي بناء نظم الحكم، ضارباً بعرض الحائط حقوقها المشروعة في الحكم الديمقراطي الذي يتأسس على الانتخاب والاختيار الحر الذي يؤسس في الآن عينه لتداول سلمي للسلطة، لذلك تعمدت البعثة الأممية ومن ورائها الدول الغربية إطالة أمد الفترة الانتقالية والحؤول دون إجراء انتخابات تعيد السلطة إلى الشعب وتحقق التحول الديموقراطي.

وقد عرف «الاستعمار» عبر تاريخه بفرض قيادات مصنوعة على شعوبها خلال الحقبة الكولونيالية. وبرغم النتائج السالبة لهذا السلوك، فإنه لم يدرك بعد خطل ذلك الصنيع، ويريد أن يستمر في استدامة ذلك النموذج في غير قُطر، وقد عمل ولا يزال منذ بداية المرحلة الانتقالية وحتى الآن على فرض قيادة وتنصيب حكام يخدمون مصالحه، ويخاطبون أجندته، ويخطبون وده، ويستوي في ذلك عنده المدني والعسكري حين يتوافر الولاء، وهو ما أطال أمد المرحلة الانتقالية، وأضعف الدولة، وقسم المجتمع، وجعل الاستحقاق الانتخابي استحقاقاً صعب المنال.

فلسطين تفرض نفسها على الانتخابات الأمريكية رغم كل محاولات الإقصاء (3-2)

فلسطين من الهامش إلى المركز: تراكم نوعي ضد العنصرية والصهيونية من جيسي جاكسون 1984 إلى شيكاغو 2024

د. رباب ابراهيم عبد الهادي
المديرة التأسيسية للبرنامج الأكاديمي لدراسات الجاليات العربية والمسلمة في المهجر

تتناول هذه الدراسة من شقين ننشر شقها الأول في هذا العدد والق الثاني في العدد القادم تحليلاً نقديا لمجريات الانتخابات الأمريكية الرئاسية في نوفمبر\تشرين الثاني الماضي والتي فاز فيها دونالد ترامب على مرشحة الحزب الديمقراطي كامالا هاريس.

تجادل الناقدة الأمريكية السوداء الراحلة بل هوكس bell hooks في كتابها «من الهامش إلى المركز» بأنه لا يمكن أخذ النظرية النسوية على محمل الجد إن لم تتضمن تجارب النساء اللواتي يعشن على هامش المجتمع. يمكننا مقاربة هذا التنظير النسوي النقدي الأسود تجاه النظرية النسوية الأمريكية التي هيمن عليها تاريخياً رأس المال وسيادة البياض والإستعلاء الاستعماري من ناحية بالإنتخابات الأمريكية من ناحية أخرى بطرح السؤال نفسه: كيف يمكن الثقة بمرشحيي الحزبين المهيمنين الذين لا يدرجون قضايا وطموحات وهموم الشعب؟ وهنا نذكر بأن استطلاعات الرأي الأمريكية كشفت أن العلاقة عكسية ما بين تصاعد التضامن مع الشعب الفلسطيني وصغر عمر المشاركين ولا بد من التأكيد هنا أن هذه الملاحظة لا تؤيد التمييز العمري أو ما أصبح «موضة» مؤخراً في أوساط الحركات الاجتماعية حيث يقودها حماسها لدور فئة الشباب بالمبالغة في اختزال أدوار الأجيال الماضية وإنما بسبب خصوصية العوامل التاريخية في الولايات المتحدة حيث ولد الجيل الجديد بعد سن قوانين الحقوق المدنية التي لم تعد تجعل من انتخاب رجل أسود رئيسا في البيت الأبيض أمراً غريباً وغير مستحيل فترابط تراكم الوعي حول عنصرية وشراسة الاستعمار عبر العقود وينطبق هذا الأمر أيضاً على كافة فئات الشعب بما فيهم اليهود الشبان. وأكدت استطلاعات الرأي أيضاً أن التضامن مع الشعب الفلسطيني ارتفع بعد طوفان الأقصى وبداية الإبادة الجماعية الصهيونية، بينما أدان الأكبر سناً المقاومة الفلسطينية وخطف المدنيين بينما أصر الأصغر عمراً على الوقوف بجانب حق الشعب الفلسطيني بممارسة كافة أشكال المقاومة. وتجدر الإشارة إلى أن الجدل حول من هو مدني ومن هو عسكري لم يتم نقاشه قط بشكل واسع ومستمر في أوساط الرأي العام الأمريكي. ولهذا فإن السردية الصهيونية السائدة والتي تتطابق مع التحليل الإمبريالي والليبرالي ما زالت مهيمنة على الوعي الأمريكي وينطبق ذلك على أي قضية ظلم وعدالة وليس

على قضية فلسطين بالذات. فإن البشر يستهلكون ويعيدون إنتاج الأفكار السائدة إن لم يتحداها أحد أو على الأقل يثير تساؤلات حولها يتحدى هيمنتها. ولكن تفكيكها يتطلب إما حدثا نوعياً يخلخل الوضع القائم كما فعل طوفان الأقصى أو تغييراً نوعياً تدريجاً تراكمياً بين مجموعة من المفكرين والمثقفين النقديين. وهذا جزء من المعركة الفكرية التي تهم فلسطين والشعوب الأخرى والتي تندرج على قائمة المهمات الفكرية على طريق التحرير والتي كانت سائدة حتى اتفاقية أوسلو حيث تعمق وتغلغل رفض الكفاح المسلح كفكر وليس فقط كتطبيقاً لأمر الذي أضحى موضة قلبها طوفان الأقصى على رأسها..

ويمكننا القول الآن بأن هناك نقلة نوعية لم نشهدها في تاريخ الولايات المتحدة أو تاريخ النضال الفلسطيني في تاريخ أمريكا الشمالية (باستثناء حملة القس الأسود المناضل جيسي جاكسون الثانية عام 1988 والتي صوت له 6.9 مليون صوت) فقد كان القس جيسي جاكسون قد رشح نفسه للرئاسة الأمريكية لأول مرة عام 1984. ولم يكن يخوض الانتخابات وحده واتحد حوله تحالف الرينبو (أو القوس) من مختلف الأمم والإثنيات والقوميات والأنواع والنقابات وحركات المرأة وغيرها. وجاء جاكسون حاملاً معه إرث حركة الحقوق المدنية السوداء حيث كان مقرباً من د. القس مارتن لوثر كينج وشارك معه في التظاهرات والإضرابات والاعتصامات فكان جزءاً لا يتجزأ من الحركات الإجتماعية الشعبية التي تتحلى بالمصداقية والشرعية في دعم الفقراء والبائسين ورشح جاكسون نفسه لقيادة هذا البلد. ولم يتخلى عن فلسطين ويبعدها خارج مركز اهتمام تحالف الرينبو فوجدت الجالية الفلسطينية المستهدفة من العنصريين الصهاينة والبيض تحالف الرينبو ظهراً لها وبعد استهدافه عام 1984 رشّح نفسه مرة ثانية في انتخابات 11 أكتوبر 1987 ونضجت الحملة بعد انطلاقة انتفاضة الحجارة بعد أقل من شهرين وخلالها حصل على تأييد كبير وفعلا نفذ تعهده فطرح الدولة الفلسطينية المستقلة على أجندة الحزب الديمقراطي في مؤتمره الرئيسي في أتلانتا بولاية جورجيا في شهر أيلول\يوليو وقد سافر مجموعة من النشطاء الفلسطينيين من منظمات مختلفة كاتحاد جمعيات المرأة واتحاد الطلبة ولجنة التضامن لرفع صوت فلسطين عالياً والمشاركة في نشاطات تحالف الرينبو الذي اعتبرنا أنفسنا جزاً منه. وشهدنا آنذاك تأييد 93% من مندوبي الحزب إدراج بند الدولة المستقلة على برنامج الحزب الانتخابي الرسمي. إلاّ أن صفقة عقدت وراء الكواليس ما بين حملة مرشح الحزب الديمقراطي والتر مونديل ومجموعة من قيادات حملة جاكسون من بينهم عرب أميركيين وألغت تقديم هذا البند على هذا الأساس.

وبعد عشر سنوات من حملة جاكسون الأولى بلغت التراكمات درجة الغليان خلال حرب الإبادة الصهيونية فلم تعد فلسطين مسألة هامشية تخضع لخيار هذا المرشح أو ذاك. واستهدف الحراك الفلسطيني والتضامني حملتي بايدن وهاريس بالذات لأن التصويت لترامب لم يكن وارداً بالنسبة لمن حملوا برنامج العدالة للجميع وإنما أضحت المهمة إما الضغط على بايدن وهاريس بعده بتغيير مواقفهم الممولة والداعمة للإبادة أو فضحهم أمام الناخبين حتى يضغطوا عليهم أيضاً. وكانت الأولوية للخيار الأول لأن الهدف لم يكن كسب مناظرة وإنما وقف شلال الدم في غزة. فقام المتظاهرون بمقاطعة خطاباتهم واختراق حفلات تبرعاتهم الإنتخابية وهذا ما حصل مراراً وتكراراً مع بايدن حتى عندما ظن أنه تمكن من الهروب من المحتجين والإختفاء وراء القيادات التاريخية لحركة الحقوق المدنية السوداء. وظهر هنا عمق وعي حراك الفلسطينيين والسود وحلفائهم حيث أكدوا على ربط النضال ضد العنصرية ورفضوا استثنائية فلسطين وتجزئة العدالة بل بالعكس فقد احترموا الكنائس السوداء العريقة بالجنوب الأمريكي عندما زارها بايدن في الوقت الذي لم يتوقفوا بتسميته بالمجرم بايدن #GenocideJoe كونه المسؤول عن صياغة وتنفيذ سياساته الإجرامية وإرسال أدوات القتل اللامحدودة إلى إسرائيل.

وما زاد الطين بلة كان الأسلوب المتعالي والعنصري الذي تعاملت به حملته الانتخابية مع الجاليات العربية والمسلمة. فبدلاً أن يدعو بايدن إلى اجتماعات رسمية ودورية مع ممثلين وممثلات حقيقيين للجاليات العربية والمسلمة والفلسطينية تماماً كما يتصرفون تجاه قيادات (وقواعد) الجاليات والفئات الاجتماعية والعرقية والدينية الأخرى فقد استخفت الحكومة الأمريكية كعادتها وعينت من يحضر ومن لا يحضر مستخدمة الأسلوب الإستعماري «فرق تسد» حتى في تعاملها مع أعضاء الحزب الديمقراطي العرب والمسلمين. وبدلا من نقاش البرنامج

السياسي الإنتخابي للحزب للدلالة على احترام آراء هذه الجاليات فقد أرسلت حملة بايدن الإنتخابية مبعوثين من جامعي أموال التبرعات بدلاً من القيادة السياسية وكأن العرب والمسلمين «بالجيبة» بدون الإكتراث للاحتجاجات الواسع ضد السياسة الأمريكية المشاركة في حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة.

ويبدو أن كل هذه الاحتجاجات التي بدأت وسائل الإعلام الأمريكية الرئيسية تغطيتها لم تؤثر على تغيير الحزب الديمقراطي وغطرسته العنصرية الاستعمارية وهذا ليس جديداً أيضاً وإنما الجديد أن تبادر مجموعة بتشكيل حملة واسعة في الانتخابات التمهيدية لاختيار مرشح الحزب لرئاسة الولايات المتحدة (قبيل استبدال بايدن بهاريس) باسم Uncommitted» أو «غير ملتزم\مة» بأي من مرشحي الحزب الديمقراطي للرئاسة 22. ومثلت هذه الحملة تحالف واسع من أعضاء الحزب الديمقراطي التقدميين المعارضين للسياسة الأمريكية الداعمة للعدوان الصهيوني ومنهم العرب والمسلمين السود واللاتينيين والآسيويين واليهود المعادين للصهيونية ونشطاء النقابات العمالية التقدمية والبيئة والمثقفين وغيرهم وأسسوا هذه الحملة بقيادة فعالة (وليست رمزية ولا شكلية) من العرب الأمريكيين بقيادة ولاية ميشغان.

وإذا كان الحزب الديمقراطي ما زال متوهماً بأن العرب والمسلمون سيصوتون له في آخر لحظة لإفشال ترمب الفاشي فإن نتائج الانتخابات التمهيدية وحصول «غير ملتزم\مة» على أعداد هائلة من الأصوات وخصوصاً في ولايات ميتشغان ويسكونسن هزت القيادة التقليدية الديمقراطية وطرحت أمامها تحديا لم يكن له سابقة في تاريخ الانتخابات الأمريكية. وكان النواب السود والمسلمين ورشيدة طليب النائبة الفلسطينية الوحيدة في الكونغرس يواجهون معركة شبيهة وإن كانت الأسباب مغايرة فهم من القلة الذين يصوتون بشكل معاكس للنواب الآخرين الملتزمين بمواقف اللوبي الصهيوني مما جعلهم عرضة للهجمات والدعايات الكاذبة وحتى التهديد بالقتل والاعتداء الجسدي.

وقد كان أحد الدوافع المباشرة لتأسيس حملة «غير ملتزم\مة» «Uncommitted» هو الأسلوب الإستعلائي والعنصري الذي اتبعه بايدن بإرسال ممثلين عن حملته الإنتخابية لجمع التبرعات من العرب والمسلمين فقط وكأن أصواتهم مضمونة «بالجيبة» والذين اعتبروه إهانة عنصرية. ورغم هذه الإهانة فإن القيادات تخطت مشاعرها من أجل غزة ولكن بايدن الذي تبجح بالتزامه بالصهيونية (وقال إنه لو لم تكن هناك إسرائيل لقمت بتأسيسها) رفض الاستجابة لأي من مطالبهم وخصوصاً التوقف عن تزويد اسرائيل بالأسلحة فكان رد قيادات ونشطاء الجالية برفض اللقاء بممثليه من الإدارة الحاكمة الذين حاولوا تصحيح سطحي لتصرفاته بدون تغيير سياساته ومواقفه تجاه غزة وفلسطين ولكن المسؤولين العرب والمتضامنين معهم من النقابيين وغيرهم قاطعوا الاجتماع ومنهم وكان في مقدمتهم رئيس بلدية ديربورن اللبناني الأصل، ورئيس بلدية هامترامك اليمني الأصل.

وكذلك واجهت حملة كامالا هاريس تحديات من الناخبين العرب الأمريكيين الذين شعروا أيضاً بالتهميش بسبب مواقفها وخاصة الدعم الأمريكي الأعمى لإسرائيل. ورغم أن هذا الموقف يعكس نمطاً تاريخياً من انتخابات الرئاسة لكن العديد من العرب الأمريكيين تأملوا بأن تتصرف هاريس بشكل مختلف عن بايدن بسبب التحالفات الفلسطينية السوداء وتطور مواقف الحركة النقابية العمالية الأمريكية (التي لم تلتزم مواقفها التاريخية بالدعم الأعمى للحزب الديمقراطي تجاه فلسطين ودعم الدولة للاحتياجات الاجتماعية والإقتصادية) ولكن هاريس رفضت استخدام سلطتها لوقف الإبادة الجماعية الفلسطينية وظهر ذلك في مناطق مثل ديربورن بولاية ميشيغان.

وقد تعرت علاقة النفوذ الصهيوني في السياسة الأمريكية في ضوء صعود حركات التضامن مع فلسطين وبروز أصوات معارضة في صفوف الحزب الديمقراطي. ففي مؤتمر الحزب الديمقراطي في شيكاغو، تجسد هذا الصراع بين القوى التقليدية الداعمة لإسرائيل والمسيطرة على قيادة الحزب والناشطين في مجال حقوق الإنسان الذين طالبوا بتغيير سياسة الحزب تجاه غزة كذلك أثارت تطورات حرب الإبادة في غزة تساؤلات حول الأساليب التي تستخدمها القوى السلطوية الكبرى في مؤتمر الحزب الديمقراطي في شيكاغو لإخماد الأصوات المعارضة وحماية المصالح الإسرائيلية.

فقد كانت لجنة تنظيم المؤتمر الذي أشرفت عليها قيادة الحزب قد تعاقدت مع شركات «أمنية» واستخبارية لفرض حصار محكم لمنع أي محاولة التشويش على مراسيم المؤتمر-التي ذكرتنا بأساليب الاستخبارات الصهيونية والحكومات القمعية. ولكن هذه الإجراءات الأمنية لم تنجح بمنع فضح تواطؤها الدموي مع مجازر الاحتلال في غزة. فقد نجح محتجون متضامنون مع الشعب الفلسطيني استطاعوا رفع أصواتهم عالياً داخل صالة المؤتمر والأغلب أنهم كانوا مندوبون أو مراقبون رسميون لأن حضور المؤتمر لم يكن مفتوحاً لمن يرغب أمام ملايين من مشاهدي البث التلفزيوني الحي قبل أن تتمكن قيادة الحزب الديمقراطي بإطفاء الأضواء في القاعة وقطع البث التلفزيوني بسرعة فائقة.

ومن خارج صالة المؤتمر لم تتمكن هاريس كذلك من حجب أصداء احتجاجات آلاف المتظاهرين في حملة منظمة من المنظمات التضامنية التي تمثل القوى الشعبية اعتلوا ناقلات الركاب لمسافات طويلة حيث سافر بعضهم لمدة تزيد عن 31 ساعة ونظموا المظاهرات اليومية طوال أيام المؤتمر. التي فشلت وسائل الإعلام الكبرى المهيمنة وحتى المؤيدة منها للاحتلال التعتيم عليها. فاضطرت لنقل الأصوات المطالبة بالوقف الفوري لإطلاق النار ووقف تصدير كافة أشكال الأسلحة الأمريكية إلى قوات الاحتلال الصهيوني في غزة وصرف أموال دافعي الضرائب على حاجات العدالة الاجتماعية بدلاً من مضاعفة أرباح شركات صناعات الحرب والقتل الأمريكية والصهيونية.

ورافق هذه التحركات الشعبية في الشارع والاحتجاجية داخل صالة المؤتمر حركة رسمية طعنت في ادعاء حملة هاريس في الإجماع الديمقراطي حولها وادعائها بتمثيل كافة التيارات

في الحزب والالتزام بمعاده العنصرية خلافاً لترمب وحملته. وتجلى هذا في إصرار هاريس على إسكات أفواه مندوبي الحزب المعتمدين من حملة «غير ملتزم\مة» uncommitted بعقد ندوة خلال برنامج المؤتمر الرسمي سواهم سواء التيارات والاتجاهات الأخرى داخل الحزب. وينتمي لهذه الحملة الآلاف من قواعد الحزب من ضمنهم العرب والمسلمون والفلسطينيون الأمريكيون. فبينما دعت قيادة الحزب رسمياً والدا الرهينة الإسرائيلية هيرش غولدبيرغ-بولين لإلقاء كلمة رئيسية رفضت فسح المجال للأمر ذاته لحملة غير ملتزم والتي تضمن مقترح ندوتها افاده د. تانيا الحاج حسن الطبيبة الفلسطينية التي تطوعت في مستشفيات غزة كشاهد عيان علماً بأن آباء الرهينة الاسرائيلي حثوا هاريس على ذلك.

وربما اعتقدت هاريس كرفيق دربها الفاشل بايدن أنه لا عواقب أفعالها واستعلاء وعنصريتها واستخفافها بأرواح الشعب الفلسطيني. ولكن إعلان قرار حمله غير ملتزم بسحب تأييدها لهاريس أدى إلى خسارتها آلاف الأصوات التي كان يمكن أن تمكنها من كسب البيت الأبيض علماً بأن الفرق بينها وبين ترمب كان بسيطاً للغاية كما قلنا في الجزء الأول من هذا المقال (أن الفارق بين ترمب وهاريس كان أقل من 2% أو مجرد 1.58% فبينما فاز ترمب ب76,917, 50% حصلت هاريس على 48.4%). ومن ناحية ثانية فإن رفض منح حملة غير ملتزم بمجرد منبر صغير تقدم فيه طبيبة فلسطينية أمريكية شهادتها في غزة له معاني كبرى. فمن ناحية فإنها تدل على مدى تسلط اللوبي الصهيوني في الحزب الديمقراطي وانحياز هاريس إلى هذا اللوبي رغم ادعائها بالحياد ومن ناحية أخرى تدل على مدى خوف الصهاينة من أي شهادة تدلل على مدى عنصرية ووحشية الاحتلال حتى شهادة طبية بل محاولة التعتيم عليها وحجبها عن الأنظار رغم سيطرتهم على الحزب الديمقراطي برمته. من ناحية ثالثه فإنها رسالة واضحة لكل القوى والمؤسسات العربية والمسلمة والفلسطينية الأمريكية أنه رغم كافة محاولاتها لكسب مودة الحزب الديمقراطي لن تنجح في تغيير صهينة هذا الحزب المتجذرة. فقد آن الاوان ليتعلموا درساً رغم خيبة أملهم مرة تلو الأخرى بأن العدالة للشعب الفلسطيني والشعوب المضطهدة الأخرى لن تتحقق عبر العنصريين والإمبرياليين حتى لو قدموا قليلاً من الفتات لإغرائهم وتخدير مشاعرهم.

وقد عززت هذه الانتخابات الأولوية القصوى لوقف احتكار الحزبين الحاكمين على السلطة الأمر الذي حاولت د. جيل ستاين ود. كورنيل ويست وكلوديا دي لا كروز الذين يعارضون السياسات الأمريكية المؤيدة لإسرائيل ،. ولكن رغم نبل هذه الفكرة إلا أن هذه الفكرة تستند إلى القبول بـ هيمنة الحزبين الحاكمين كواقع وعدم طرح ضرورة تغييره وثانياً القناعة بأن صندوق الاقتراع هو الأسلوب للتغيير الاجتماعي بدون تغيير الهيكلية البنيوية للنظام الرأسمالي الإمبريالي العنصري القائم. فمثلاً طالبت د. جيل ستاين بميزانية معقولة للدفاع الأمريكي ولم يكن لديها إجابة على السؤال «لماذا يجب أن يكون هناك ميزانية عسكرية بالمقام الأول. أليس من المطلوب نزع السلاح بأكمله من كافة الدول الاستعمارية وتجار الأسلحة كبداية لنزع السلاح في العالم؟» إن افتراض التغيير الاقتراعي على قاعدة استمرارية وجود الدولة الاستعمارية الإستيطانية الإمبريالية العنصرية الأمريكية لن يؤدي إلى تغيير جذري حتى لو لم يكن هناك إمكانية لتحقيقه في المستقبل بل يتطلب أجيالاً قادمة لأنه يفترض هذا الواقع الظالم. ويطرح هذا تساؤلاً إذا كانت التركيبة من أصلها ظالمه فهل تنطبق على حركات التحرر العربي و\أو على حركات التحرر في العالم الثالث مجازياً ؟ وهذا السؤال لا يستند إلى استثنائية العالم الثالث أو حركات التحرر الوطني وإنما بالأساس على الموقع الذي برزت فيه وهو المجتمع الرأسمالي الليبرالي الجديد بهيمنة الصناعات الحربية\العسكرية بما فيها الإلكترونية او الخدماتية.

ومن تبعات تبني بايدن وهاريس الأجندة التي تخدم الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني والبرنامج الليبرالي الجديد الذي يستفيد منه الأثرياء بما فيهم المستثمرين في الصناعات العسكرية إعلان بعض القوى ذات المصداقية على صعيد الجالية لتأييدها لترامب بدلاً من الحزب الديمقراطي. وقد خجل التقدميين العرب من هذا الإعلان والصاق اسم العرب باسم ترمب. ولا اشكك في ردة الفعل هذه أو الصدمه بدعم ترامب. ولكن إذا حللنا هذا الخبر من خلال عدسة الجماهير العربية والمسلمة والفلسطينية وليس من خلال عدسة الإعلام الأمريكي المهيمن ونوافق أنه ليس هناك فروق جذرية بينهما اذاً ما هي المشكلة في تأييد ترامب أو هاريس فكلاهما كما تقول جاليتنا «باعونا كالعادة واتخذوا مواقفهم حسب علاقتهم باللوبي الصهيوني ومعتقداتهم العنصرية ضد الفلسطينيين والعرب والمسلمين»؟

وهنا ربما نفهم لماذا أيد أمير غالب عمدة مدينة هامترامك ترمب بعد اجتماعهما في مدينة فلينت (ولاية ميشيغان التي اشتهرت تلوث مياهها في عهد أوباما مع العلم بأن سلطات ولاية ميشيغان هي المسؤولة مع أن الحكومة الفيدرالية تستطيع التدخل) حيث طلب ترامب مباشرة دعم غالب خلال اجتماعهما الخاص الذي استمر 20 دقيقة وخلال الاجتماع ناقشا عدة مواضيع، بما في ذلك إحصاءات الناخبين في ميشيغان، وقضايا الأمريكيين العرب، ووضع اليمن بلد غالب. وبخلاف بايدن وهاريس فان ترمب لم يرسل مبعوثيه لجمع التبرعات ولا مسؤولين في ولايته كما فعل الديمقراطيون وإنما ذهب بنفسه للاجتماع بعمده بلدة صغيرة معبراً عن احترامه رغم اننا نعلم جميعاً بمعتقدات ترمب بتفوق العرق الأبيض واحتقاره لكل الشعوب المستعمرة فقد تحدث ترامب مع غالب كإنسان على نفس المستوى. وعندها وافق غالب على النظر في طلب ترامب وقدم له رسالة تتضمن القضايا المحلية ودعاه لزيارة هامترامك. وعلق غالب قائلا «قد لا أتفق مع الرئيس ترامب في كل شيء، لكنني أعلم أنه رجل ذو مبادئ.» بغض النظر إذا كان ترمب مبادى ء أم لا فإنه من الواضح أن غالب خرج بانطباع أن ترامب عامله باحترام ومساواة بخلاف حمله الديمقراطيين. (يتبع)

عندما يهز العالم العصا في وجه ترامب؟!

محمد صوّان كاتب سياسي فلسطيني تركيا

لم يمضِ على تسلمه لمهامه كرئيس للإدارة الأمريكية بضعة أسابيع، لكنه نجح في استعداء العالم بسرعة مدهشة، لم يترك أحداً من الشرق أو الغرب، قريباً أو بعيداً، إلا استعداه وخلق أزمة معه.. الرئيس الأمريكي ترامب نجح بشكل قياسي وعجيب في خلق أزمات مع الجميع، شمال بلاده مع كندا، وجنوبها مع المكسيك، ومَن جاورها.. يخاصم أوربا، يعادي الفلسطينيين والعرب، يهدد ويستفز إيران والصين وجنوب أفريقيا، والمؤسسات الأممية، حتى مؤسسات بلاده القضائية والثقافية والإعلامية، كلها يعاديها ويفجر الخلافات معها، وهو يدرك ما يفعل، وليس الأمر اعتباطياً بالتأكيد، فهو يريد أن يقول للجميع أنه سيد العالم وحاكمه الجديد المطلق !.

على الجميع الانصياع لأوامره وابتزازه وأن يذعن لأوهامه ورغباته، وبالضرورة تتفاوت ردود الأفعال.. بين من يطيع ويهرول مقدّماً آيات الولاء والطاعة، لكن الكثيرين في هذا العالم بدؤوا يتململون ويعلنون رفضهم هذا المشهد الجديد الذي يريد سيد البيت الأبيض ترامب أن يجعله تحت إشارة بنانه.. فجاء رد وزير خارجية جنوب أفريقيا رونالد لامولا على قرار ترامب بفرض عقوبات جديدة على بلاده واضحاً وصريحاً ومعبّراً عن كرامة هذه الإنسانية التي ترفض هذا النظام العالمي الظالم، فقد قال في مقابلة مع صحيفة فايننشال تايمز يوم 2025/2/12: «إن ذلك لن يثني بريتوريا عن المضي قدماً في الدعوى التي رفعتها ضد إسرائيل بشأن الإبادة على غزة» وشدد لامولا على أنه «لامجال لسحب الدعوى رغم تهديدات ترامب» وتابع تأكيده: «إن الدفاع عن العدالة وحقوق الشعوب له عواقب في بعض الأحيان، لكننا نظل ثابتين على اعتقادنا بأن ذلك مهم للسلام وسيادة القانون»، وهو بذلك يعلي جوهر القضية، بأن يكون أحرار العالم ثابتين دفاعاً عن السلام العالمي وعن سيادة القانون التي بدأ ترامب بانتهاكها حين استهدف أهل غزة بالتهجير والاقتلاع واستهدف المؤسسات القضائية الدولية لأنها جرّمت أصدقاءه الصهاينة المدللين !.

رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا ديرلاين توعدت هي أيضاً بالرد على ترامب في حال نفّذ تهديده بفرض الرسوم الجمركية المتبادلة العالمية، وكثير من القيادات الأوروبية والصينية توعّدته بالمعاملة بالمثل، حتى من داخل إدارته، وقّع «145» عضواً من الكونغرس، يوم 2025/2/13 على مذكرة يطالبون فيها ترامب بالتراجع عن تصريحاته بشأن «بسط واشنطن سيطرتها على قطاع غزة وتهجير أهله» فيما خرج معارضون في مدن أوروبية وأمريكية عديدة يندّدون بهذه الأفكار الكولونيالية الظالمة، لكن مثل ترامب لا تكفيه

مجرّد الكلمات والتصريحات المشتتة، فهو لا يكترث ولا يستوعب الأصوات والمواقف الهادئة الناعمة، يلزمه رد قوي وموقف موحّد، وأن يجتمع كل هؤلاء من حول العالم للرد عليه بصفة قوية وجادّة وسريعة، لأنه لن يتوقف إلا إذا تم إيقافه بقوة، وبنفس قوة ونبرة اللغة التي يتحدث بها، بتلك العنجهية.. فمتى يثور العالم ضد هذا القهر والظلم الجديد؟! هذا سؤال يتعين الإجابة عليه سريعاً وبشكل موحّد، لأن الوقت ينفد ولأن الوحوش المفترسة في تل أبيب ووادي السيلكون الأمريكي تريد أن تستفرد بضحيتها - الشعب الفلسطيني - وتحاصرها قبل أن تفتك بها، وسنقرأ قريباً نتائج اجتماع القادة العرب في القاهرة - القمة العربية الطارئة يوم 2025/3/4 - للرد على ترامب ونتنياهو، وسيكون أول السيناريوهات لفهم هذا المشهد الجديد، وإن كان كثيرون من المراقبين والمحللين يقرؤون النتائج مسبقاً !..

هي لحظة تاريخية عربية وأممية استثنائية، لن تتكرر لأنها ستحدد مستقبل النظام العربي والإقليمي بما ستنتجه من تضامن ممكن، أو شروخ عميقة في الجسد العربي، ربما تزيد من حالة التشظي التي نعرفها، وربما يدرك كثيرون أنها لحظة الحقيقة التي تأخرت، وتوارت خلف التصريحات والمواقف المعلبة، والأفضل أن ينكشف الكل في هذا الامتحان أمام الشعوب العربية والإسلامية والعالمية التي تبكي أقصاها وقدسها وفلسطينها !.

لقد أثار ترامب أسئلة إنسانية عميقة وفرض على شعوب العالم أن تواجه حقيقتها، وتحدد في أي صف هي، وأن تجيب بوضوح، هل تبقّى من الأخلاق البشرية شيء أمام توحّش هذه الثقافة العقارية الفاشية الطاغية؟!

- ترامب في نسخته الثانية :

قبل أيام من دخول ترامب البيت البيضاوي مجدداً في 20/كانون الثاني 2025، كانت إدارة بايدن تحاول دون جدوى إقناع حكومة نتنياهو بالموافقة على اتفاق وقف إطلاق النار في غزة من ثلاث مراحل.. وفجأة تدخّل ترامب ونجح بحمل نتنياهو بالموافقة على هذا الاتفاق الذي دخل بالفعل حيّز التنفيذ قبل يوم من بداية ولايته الثانية، مما أشاع مناخاً من «التفاؤل» بشأن احتمال أن تسفر طريقته «الحازمة» عن وضع حد لحرب التجويع والإبادة الجماعية التي تشنها حكومة اليمين الصهيوني على الشعب الفلسطيني منذ أكثر من عام ونصف، غير أن هذا التفاؤل لم يدم طويلاً، فبعد أقل من أسبوعين، فاجأ ترامب العالم بتصريحات تؤكد عزمه «الاستيلاء» على قطاع غزة، وتهجير سكانه قسراً إلى كل من «مصر والأردن» اللذين هددهما بقطع المساعدات الأمريكية عنهما ما لم يوافقا على مخططه الرامي إلى تهجير أكثر من «مليونين ونصف مليون فلسطيني» وتوطينهم على أراضيهما، ثم بات واضحاً أن رئيس أقوى دولة في العالم يدعو علناً إلى عملية تطهير عرقي لشعبٍ بأكمله، عبر اقتلاعه قسراً من أرضه، وهي جريمة ضد الإنسانية كاملة الأركان، وتشكّل انتهاكاً صارخاً لكل القوانين والأعراف الدولية، كما يصر على أن يلقي بثقل بلاده وراء ارتكاب هذه الجريمة، بل ويهدد دولاً حليفة بالعقاب، ما لم تشترك معه في ارتكاب جريمة تهدد أمنها القومي في الوقت نفسه، بعبارة أخرى يمكن القول إن ترامب هذا، في نسخته الثانية قرر أن يتبنى بالكامل أطروحات أقصى اليمين الصهيوني تطرفاً، وهي أطروحات تستهدف تصفية القضية الفلسطينية تماماً، عبر تفريغ قطاع غزة والضفة الغربية من سكانهما الأصليين وضمّهما معاً إلى الكيان الصهيوني، تمهيداً لإعلان «دولة إسرائيل الكبرى» التي تمتد «من النيل إلى الفرات» والقادرة في الوقت نفسه على الهيمنة الكاملة على الشرق الأوسط ككل !.

من المهم التنبه إلى الخطر الكامن في استهانة رئيس أقوى دولة بالقانون الدولي، واستهتاره بقواعد القانون ومتطلباته، فخطة ترامب تجاه الشرق الأوسط ليست وحدها التي تثير الريبة والقلق، وإن ما لديه من خطط أخرى تبعث على التمعن والذهول، تتعلق بجزيرة بنما التي يريد احتلال قناتها، وكذا التي يريد ضمها للولايات المتحدة لتصبح الولاية رقم «51»، وغرينلاند التي يريد شراءها من الدنمارك، بسبب اعتقاده لأهميتها بالنسبة للأمن القومي الأمريكي، فجميع هذه المشاريع والمخططات تؤكد أن الدولة التي لا تزال تصر على أنها الأحق بالهيمنة المنفردة على النظام العالمي قررت تقويض صرح القانون الدولي من جذوره، ولم تعد تقيم وزناً سوى للغة القوة سبيلاً لتحقيق أهدافها الكولونيالية، الأمر الذي يشكّل انتكاسة كبرى للحضارة المعاصرة، والعودة بالإنسانية إلى شريعة الغاب !.

- ما هو المطلوب عربياً :

من هنا، يصبح المطلوب عربياً، ليس فقط تقديم تصريحات وأطروحات ضد مخطط مرفوض أخلاقياً وإنسانياً، حتى من أغلب الدول على الصعيد العالمي، بل المطلوب خطة إستراتيجية للتعامل مع الهيمنة والعنجهية الصهيوأمريكية والطروحات والخيارات الكولونيالية المتطرفة المستقبلية لإدارة ترامب، وهي قضية تستدعي وجود تصوّر وتطلع عربي مشترك متماسك لليوم التالي لغزة والقضية الفلسطينية، بل للنظام العربي البديل عن النظام الإقليمي- الإسرائيلي الجديد الذي يطرحه نتنياهو بدعم وتأييد ترامب والذي لم يعد يهدد الشعب الفلسطيني فحسب، بل هو موجود في جنوب لبنان، ويحتل جزءاً عزيزاً من سورية، ويهدد الأمن القومي والإقليمي بأسره !.

فهل ستخرج القمة العربية الطارئة المنتظرة في القاهرة بمثل هذه الإستراتيجية؟ قطعاً لا، حيث ليس من الضروري أن نرفع سقف توقعات الشارع العربي نحو نتائج مسبقة لا توجد روافع ولا سياقات لها، ولا يوجد إرادة وصلابة أصلاً لدى النظام الرسمي العربي، لم تعد بيانات الشجب والتنديد تكفي! بالتأكيد لا.. كونها لا تغيّر ولا تضيف شيئاً إلى موازين القوى، لذلك، المطلوب أن يكون هناك بناء لتحالف عربي - إقليمي قادر على تعديل موازين القوى، ويمكن أن تضاف إلى «الخماسية العربية» دول إقليمية وإسلامية لها وزن وحضور، مثل تركيا وماليزيا وأندونيسيا وبناء مقاربة أكثر شمولية للتعامل مع الواقع الجديد الخطير !..

أيرلندا وفلسطين: مواقف وتأريخ سياسي مشترك

كاظم الموسوي باحث سياسي وأكاديمي عراقي

تتميز أيرلندا في مواقفها المعلنة رسمياً من فلسطين، قضية وشعباً، بالمشترك أو المتشابه من تأريخها السياسي وتجربتها النضالية، مقارنة مع المواقف السياسية للبلدان الأخرى، أوروبياً أو دولياً. وهي ما تتطور مع تطورات الأحداث والتحولات السياسية، وتلفت الانتباه باستمرارها وتصاعدها في داخل البلاد وخارجها، في المحافل، والمؤسسات والمؤتمرات الوطنية والدولية. وأحياناً تتموج مع الضغوط والممارسات الخارجية ولكنها تأخذ في دعم القضية الفلسطينية، عموماً، شكلاً غير مسبوق، متصاعداً في سياق مسار تاريخي، برزت فيه هذه الجمهورية الأيرلندية، كواحدة من أكثر الدول الأوروبية، في دعم القضية الفلسطينية، خلال محطات ومواقف حاسمة تتجاوز في كثير من الأحيان سقف التضامن والدعم لدى بعض الدول العربية والإسلامية، وخاصة في الإدانة الصريحة والتنديد المستمر بالاحتلال الاستيطاني وممارساته النازفاشية (النازي- الفاشي).

في الواقع يرى الأيرلنديون كثيراً من التشابه السياسي والتاريخي بين القضية الفلسطينية وقضيتهم الأيرلندية، من حيث الاحتلال ودولة الاحتلال في مراحل تأريخية، حيث تعتبر جمهورية أيرلندا منذ أواسط الأربعينات من القرن الماضي وقبل إعلان قيام الكيان الإسرائيلي، تعتبره كياناً تابعاً للاستعمار أو قاعدة متقدمة له من أجل السيطرة على الدول العربية، شرق الوطن العربي وغربه، كما يعتبرون أيرلندا الشمالية، الجزء المنقسم من بلادهم وشعبهم، محتلاً من المملكة المتحدة. حيث أنشأت بريطانيا فيه دولة سميت أيرلندا الشمالية، وبهذه الطريقة احتفظت الإمبراطورية البريطانية حينها بجزء من أيرلندا بعد انسحابها من الجزء الجنوبي. وتم وضع التاج البريطاني على علم أيرلندا الشمالية، الذي يعتبر رمزاً للاستعمار البريطاني بنظر الأيرلنديين، حيث فرض البريطانيون دولة أيرلندا الشمالية – الواقعة في منطقة آلستر – على جزء من أرضهم. وبناءً على هذا المخطط الاستعماري، تُعتبر أيرلندا الشمالية بنظر الشعب الأيرلندي مستعمرة بريطانية وكياناً غير شرعي تم إنشاؤه على جزءٍ من جزيرتهم، أو احتلالاً لجزء من أرضهم وشعبهم. وبناء عليه يشبهون ذلك بما حصل مع فلسطين والشعب الفلسطيني.

عملياً لم تعترف جمهورية أيرلندا بقيام الكيان الإسرائيلي إلا بعد خمس عشرة سنة، خلاف غيرها من الدول الاوروبية والآسيوية، واعترفت بنكبة الشعب الفلسطيني، وجعلت قضية اللاجئين الفلسطينيين قضيتها، لا سيما بعد نكسة 1967، بل دافعت عن حق العودة وطالبت بتعويض كامل للاجئين الفلسطينيين، مما لم تقم أية دولة أوروبية أو آسيوية، خصوصاً وغيرها عموماً بمثل هذه المواقف والسياسات الصريحة والحاسمة. وتوضحت أكثر بعد عضويتها للاتحاد الأوروبي، وقيام ممثليها فيه بدور كبير في المطالبة بإقامة دولة فلسطينية، والاهتمام بهذا الملف كما صرح مسؤولوها الرسميون، ونوابها، بأبعاده الأخلاقية والإنسانية وحقوق الإنسان والشعوب ومعاداة الإمبريالية والاحتلال والاستيطان الاستعماري.

برز تميز جمهورية أيرلندا بعد طوفان الأقصى، بعد السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، بشكل أكبر، أخلاقياً وإنسانياً، رسمياً وشعبياً، أيضاً، عن بقية الدول الغربية والشرقية، وأعلنت أن ما تقوم به آلة الحرب العدوانية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في غزة خصوصاً بجرائم حرب وضد الإنسانية والقانون الدولي. ولا بد من وقفها ومحاصرة الكيان وعزله في تحركات سياسية ومواقف شجاعة في إدانتها وتصعيد دعم القضية الفلسطينية، منطلقاً من تجارب تاريخية لها في مواجهة الاستعمار البريطاني والاستيطان والممارسات الاستبدادية للمستعمرين. فلم يهدأ الشارع الأيرلندي من التظاهر والاحتجاج ورفع شعارات الحرية لفلسطين وإدانة سياسات النازفاشية ضد الشعب الفلسطيني.

أضافت إلى المواقف الأيرلندية، الرسمية والدبلوماسية، مشاركات قطاعات شعبية مؤثرة اجتماعياً وشعبياً، منظمات أهلية حقوقية ومهنية، بمواقف وحراكات لها معانيها ودلالاتها، كاتحاد الكتاب، الذين بادروا في رسالة مفتوحة بتوقيع المئات منهم بعد أسبوع من العدوان النازفاشي على غزة، دعت الرسالة إلى «وقف فوري لإطلاق النار ودخول المساعدات الإنسانية دون عوائق». واعتبر الموقعون أن القصف الإسرائيلي هو «انتهاك للقانون الدولي واعتداء على حُرمة الحياة البشرية»، معبرة في إدانة واضحة للعدوان الوحشي غير المسبوق ولمن يوفر له الدعم الغربي الكبير ضد أكثر من مليوني فلسطيني عزل يعيشون في قطاع غزة، المحاصر من جميع الاتجاهات والمستويات.

من جهتها أعلنت «حملة التضامن الأيرلندية - الفلسطينية» (IPSC) في أيار/ مايو من العام الماضي عن توقيع ألف وخمسمئة فنان أيرلندي على تعهُّد بمقاطعة كيان «إسرائيل»، منهم أسماء بارزة، مثل ريموند دين، وسينياد كوزاك، ودونال لوني، وأندي إيرفين، وماري بلاك، وغيرهم. ورأت رئيسة الحملة، زوي لولور، أن التعهد يلعب دوراً رئيسياً في لحظة «يعيش فيها الشعب الفلسطيني عامه الخامس والسبعين من السلب والتطهير العرقي والفصل العنصري والنفي القسري والتهجير الجماعي، وتفشل الحكومات الغربية في فرض عقوبات على الكيان الإسرائيلي». ومن أهداف هذا العمل أيضاً

التحريض لجمعيات ونقابات العاملين في كل القطاعات الإبداعية والمهنية، وليس في الجمهورية وحدها. وأطلقت منظمات أيرلندية حملات مكثفة عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر الوعي حول معاناة الفلسطينيين. كما استخدمت هذه الحملات صوراً وتقارير توثق جرائم الحرب الإسرائيلية الوحشية في غزة. وطالبت بمحاكمة مرتكبي جرائم الحرب ووقف العدوان النازفاشي فوراً، وأدانت الدعم الكبير للدول الغربية للعدوان والفصل العنصري والإبادة الجماعية والتدمير الشامل للعمران والمؤسسات التعليمية والدينية والبنى التحتية عموماً.

لعبت النائبة الأيرلندية في البرلمان الأوروبي كلير دالي دوراً جريئاً في مواجهات صريحة في البرلمان الأوروبي والشارع الأوروبي أيضاً، في وصفها العلني للكيان، بالقاعدة الاستعمارية: «إن إسرائيل تمارس سياسة الفصل العنصري ضد الفلسطينيين»، مشيرة إلى أن العالم بدأ يدرك هذه الحقيقة بشكل متزايد بعد أكثر من عام من الإبادة الجماعية في غزة. وهذا موقفها المتواصل في خطبها المشاركة في قاعة البرلمان أو في الإعلام الأيرلندي والأوروبي، على السواء، وأكدته في حديثها مع برنامج «المقابلة»، في قناة إخبارية ناطقة بالعربية إذ كشفت عن تفاصيل دقيقة بشأن تواطؤ الاتحاد الأوروبي وحكوماته - بما في ذلك حكومة بلادها- في تمكين جرائم الاحتلال الإسرائيلي. وأعادت دالي إلى الذاكرة واقع ارتباط الأيرلنديين بالقضية الفلسطينية، وأنه «ليس مصادفة»، بل هو نتاج تجربة تاريخية مع الاستعمار البريطاني الذي لا يزال يترك بصماته على أيرلندا. وأوضحت قائلة: «نعرف معنى أن تُحرم من حقوقك، وأن تُقتل عائلتك أمام عينيك، لهذا ننحاز إلى الفلسطينيين بفطرتنا»، مستذكرة مشاركتها في عشرات الحملات لنقل جرائم الاحتلال ومجازره إلى الرأي العام الأوروبي. ولم تكتف بذلك بل هاجمت حكومتها، أيرلندا، لعدم ترجمة هذا الدعم الشعبي الواسع إلى سياسات ملموسة، واصفة مواقفها بـ»الهزيلة» و»المنافقة». وأكدت دالي، كما قام العديد من النشطاء الأيرلنديين مثلها، على أن «إسرائيل ليست سوى مختبر للأسلحة التي ستشعل حروباً مستقبلية في مناطق أخرى»، محذرة من أن الصمت الدولي يشجع الاحتلال على التوسع في جرائمه. وأدانت دالي ما وصفتها بـ»الإبادة الجماعية»، موجهة رسالة إلى الشعب الفلسطيني «أنتم لستم وحدكم، الملايين في أوروبا يصرخون غضباً، وسيستمرون حتى تحريركم». كما دعت الحكومات الأوروبية إلى تحمّل مسؤولياتها بوقف التمويل العسكري لكيان «إسرائيل» وفرض عقوبات حقيقية لإنهاء نظام الفصل العنصري، والإبادة الجماعية، مؤكدة أن «الدعم الشعبي سيتحول قريباً إلى قوة سياسية تجبر الحكومات على تغيير سياساتها».

وليس أخيراً ترحيب الأيرلنديين بإغلاق سفارة الكيان الإسرائيلي بعاصمتهم دبلن وتحويلها إلى متحف فلسطيني، يرفع علم فلسطين، ويروي السردية الفلسطينية. وكذلك انضمام جمهورية أيرلندا إلى جنوب أفريقيا في طلبها محاكمة الكيان لقيامه بالإبادة الجماعية والتطهير العرقي. واعترافها الرسمي بدولة فلسطين.

يعد كل ما قامت به جمهورية أيرلندا، وقدمته رسمياً وشعبياً، تجاه فلسطين، شعباً وقضية، درساً تاريخياً، أخلاقياً وإنسانياً واختباراً للضمير والكرامة الإنسانيين..

خبر وتعليق

بين الجنون والواقع..

محمد حسين كاتب وصحفي فلسطيني سورية

أراد ترامب من إعلان خطة التهجير شق الطريق أمام مبعوثه الخاص إلى المنطقة ويتكوف الذي يوصف بأنه دبلوماسي محنك وصاحب خبرة في عقد الصفقات للتفاوض مع العرب بشأن الخطة، للوصول إلى حلول ترضي جميع الأطراف بما في ذلك إسرائيل وأمريكا.

نجح ترامب فور طرح خطته في رمي كرة غزة المدمرة في أحضان العرب، فبدلاً من تتحمل إسرائيل مسؤولية ما دمرته خلال عدوانها، أصبح العرب ملزمين بإعادة الإعمار والبحث عن آلية الإعمار ومن سيحكم غزة بعد وقف العدوان، لقد نقلت صحيفة واشنطن بوست عن مصادر وصفتها بالمطلعة على بنود الخطة العربية، (حكم قطاع غزة من التكنوقراط من الفلسطينيين وتوفير مبالغ مالية لإعادة البناء)، ما يؤكد انتفاء وجود حركة حماس أو السلطة الفلسطينية في حكم قطاع غزة، وهذا ما كان لافتاً للنظر في القمة التشاورية التي عقدت في الرياض وضمت مصر والأردن إضافة إلى دول الخليج، وغياب للسلطة الفلسطينية،

واللافت للنظر أن العرب يريدون تقديم خطتهم إلى سيد البيت الأبيض لمناقشتها. أعتقد أن ترامب وعبر مبعوثه إلى الشرق، سيقايض العرب بين القبول بالخطة أو التطبيع مع إسرائيل مقابل سحب الخطة وهنا المقصود بالتطبيع السعودية.

من جانب آخر سيتم الضغط على الجانب العربي للقبول بإبعاد السلطة الفلسطينية وحماس عن حكم قطاع غزة، والبحث عن رجال أعمال وتكنوقراط لتسلم مهمة قطاع غزة.

وسيستخدم سيف المساعدات لإعادة الإعمار في وجه القيادات الفلسطينية مهما كان لونها وتمثيلها.

في ظل هذا الواقع المعقد ولإفشال مخطط البدائل الذي يستهدف المقاومة والسلطة على حد سواء يصبح من الضروري الاتفاق على حكومة توافق وطني، تقطع الطريق أمام لعبة البدائل الأمريكية الإسرائيلية وتقوي وتستنهض الموقف العربي في مواجهة المشروع الأمريكي.

الشرق الأوسط في أتون التغيير

علي زيدان - باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

دخل الجنرال اللنبي مدينة القدس محتلاً يوم 11 كانون الأول/ ديسمبر 1917، بمساعدة ملك الحجاز آنذاك الشريف حسين، سليل الأسرة الهاشمية، وأعلن من أمام بوابة يافا: اليوم انتهت الحروب الصليبية. جاء ذلك التصريح، ليؤكد أن الحروب الصليبية على المنطقة العربية التي بدأت في العام 1096 م واستمرت قرابة مئتي سنة، لم تنتهِ مع سقوط مملكة عكا في عام 1290 م، وطرد آخر بقايا الحملات الصليبية من بلاد الشام في عام 1291م، وقيام الدولة العثمانية، بل استمرت حتى ذلك اليوم. وكأن الجنرال اللنبي كان يقول إن الدول الأوروبية التي قادت الحروب الصليبية، ظلت تجهز نفسها وتستعد لهذه اللحظة التي تستعيد فيه بيت المقدس، وتبقى فيها إلى الأبد. لقد أصبح ذلك اليوم علامة بارزة وفارقة في تاريخ المنطقة العربية والإسلامية، وجاء تتويجاً عملياً وفعلياً لتلك التخطيطات الحثيثة السابقة والتي لم تنقطع، وكان هدفها استعادة الوجود الاستعماري في فلسطين، قلب المنطقة العربية، وتغيير شكل المنطقة وتقطيع أوصالها بحيث لا تعود إلى سابق عهدها.

وظلت هذه المنطقة العربية المحيطة بالبحر المتوسط، مركز الصراع بين القوى المختلفة. وكما هو معروف، فإن هذه المنطقة توحدت في ظل دولة الخلافة الإسلامية، وامتدت أطرافها من حدود الصين إلى حدود أوروبا الغربية، وتوالت على إدارتها الدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة العثمانية التي استمرت من عام 1299م حتى عام 1923م. لقد شهدت هذه المنطقة، التي يطلق عليها اسم الشرق الأوسط، حروباً وغزوات خطيرة عبر التاريخ شملت الصليبيين، والمغول في العصور الوسطى. غير أن الحروب الصليبية أكملت نهجها ومسيرتها بعد سقوط القدس في عام 1917م، واستمرت إلى يومنا هذا حيث انتهت بالهيمنة الأمريكية الصهيونية. وينبغي القول إن أول تغير كبير في منطقة الشرق الأوسط حصل عندما غزا نابليون مصر واحتلها في عام 1798م، وحاول التحرك منها إلى سوريا، ولكنه أجبر على الانسحاب بتدخل من بريطانيا والعثمانيين، بعد أول تحالف عسكري رسمي بين العثمانيين ودولة غير إسلامية. استمر الوجود الفرنسي في مصر ثلاث سنين، حيث تم طردهم في عام 1882م، بواسطة الإنجليز، وليس المصريين. لقد استمر الاحتلال البريطاني لمصر نحو ثلاثة أرباع القرن، حيث تم طردهم في عام 1956م. وهكذا يتبين أن الاستعمار الأوروبي في مناطق الشرق الأوسط، بدأ منذ ما يزيد عن مئتي عام. وأمسى الاحتلال البريطاني في مصر مفتاح التغيرات الكبرى، خصوصاً بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في عام 1918م، ونهاية الدولة العثمانية، ونشوء الدولة التركية في عام 1923م. غير أن شبح الدولة العثمانية القوية، ظل يخيف الأوروبيين، الذين ظلوا ينظرون إلى المسلمين كألد أعداء أوروبا المسيحية حتى اليوم. وقبل أن تضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، انعقدت المؤتمرات السرية لتقسيم منطقة المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا، وفقاً لما بات يعرف باتفاقية سايكس – بيكو في عام 1916. في هذه الاتفاقية السرية، تم تقسيم المنطقة برسم خط وهمي يمتد من مدينة عكا على ساحل البحر المتوسط إلى مدينة كركوك بالقرب من الحدود الإيرانية، بحيث تحصل فرنسا على المناطق الواقعة شمال هذا الخط وتشمل سوريا ولبنان؛

بينما تحصل بريطانيا على الأراضي الواقعة جنوب هذا الخط وتشمل فلسطين، وشرق الأردن، والعراق. وكانت نتائج هذه الاتفاقية مناقضة للتعهدات التي قدمها المفوض السامي السير هنري مكماهون، الحاكم البريطاني لمصر، للشريف حسين خلال المراسلات المتبادلة بينهما (1915 - 1916) والتي تضمنت وعوداً كاذبة بالاستقلال العربي. وضمت خطط التغيير الرئيسة في تلك الفترة، إصدار وعد بلفور الشهير في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 الذي غير وجه المنطقة برمتها، حيث أعلنت بريطانيا عن نيتها بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بهدف حماية المصالح الاقتصادية، والتجارية والسياسية البريطانية في المنطقة، من خلال التفاهم مع الشخصيات البريطانية اليهودية الصهيونية، وتلبية طموحاتهم بإنشاء كيان استيطاني استعماري في فلسطين. وفي عام 1920 انعقد مؤتمر سان ريمو في إيطاليا لتقرير مستقبل الأراضي السابقة للإمبراطورية التركية العثمانية، وفقاً للاتفاقيات السرية السابقة. وكأن الهدف من المؤتمرات والاتفاقيات التي نشطت في تلك الفترة هو ضمان عدم وحدة تلك البلاد مرة أخرى وانبعاث قوى توحيدية وموحّدة تقف بوجه الحملات الصليبية الجديدة، كما كان يحصل في الماضي. وينبغي القول إن فكرة الحرب الصليبية ضد منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، والمنطقة العربية بشكل خاص، ظلت مسيطرة على الذهن الغربي منذ تلك الفترة حتى هذه الأيام. وتأكيداً لهذا المفهوم، أي استمرارية نهج الحروب الصليبية على المنطقة، وعودة حكم الممالك الصليبية للمنطقة في إطارها الغربي الجديد، وصل الجنرال الفرنسي هنري غورو، الذي كان يعتبر نفسه محارباً صليبياً، إلى دمشق بعد أن تسلم منصبه كحاكم عام لسوريا ولبنان، حصة فرنسا وفقاً لمخططات تقسيم المنطقة، في 7 آب/ أغسطس 1920، وتوجه مباشرة إلى ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقال هناك: ها قد عدنا يا صلاح الدين. أيضاً، عقب أحداث 2001/9/11 في نيويورك، وفي غمرة الاستعداد للحرب ضد أفغانستان والعراق، قال الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، هذه الحملة الصليبية المقدسة حرب ضد الإرهاب. وفي هذه الحوادث دلالات ومغازٍ، أهمها أن الغرب قد طوى سلسلة الحملات الصليبية المحمومة، التي استمرت لعدة قرون بعد عام 1291م، وتراجعت خلال القرن السادس عشر دون أن تنجح. اليوم يستعيدون زمام المبادرة، ويسعون إلى تثبيت كيان استعماري استيطاني في فلسطين بهدف تغيير وجه المنطقة والهيمنة على مواردها، ويرعى مصالحهم. وهكذا يتضح أن بذور التحولات الكبرى في منطقة الشرق الأوسط بدأت منذ تلك الحقبة، أي قبل نحو 120 سنة. حيث تم تقطيع المنطقة وتقسيمها إلى دول، بدون دراية أو معرفة تاريخها السياسي والاجتماعي. وتم إنشاء الكيان الصهيوني، بموجب وعد بلفور، على أنقاض فلسطين التاريخية، وتوسيع نطاق نفوذه السياسي في المنطقة. وساهمت تلك الدول الاستعمارية في ترتيب المنطقة المحيطة بهذا الكيان من أجل ضمان استمراريته. اليوم أشرفت الدورة التاريخية في هذه المنطقة على نهايتها. لقد تغيرت معالم المنطقة برمتها، وترافق هذا التغيير مع تغيرات عالمية في غاية الأهمية، خاصة فيما يتعلق باللاعبين الكبار. فقد تراجع دور الدول الكبرى، آنذاك، التي تقاسمت مناطق الدولة العثمانية. ونشأت دول عظمى جديدة تمثلت في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية والصين بعد الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945). وقد ورثت الولايات المتحدة زعامة العالم الغربي، والإرث الاستعماري لبريطانيا، بعد أن أثبتت قوتها بعد الحرب العالمية الثانية من خلال امتلاكها للأسلحة النووية، واستعدادها لاستعمال تلك الأسلحة دون رادع. أيضاً أعلنت الولايات المتحدة حمايتها للكيان الصهيوني، واعتبرته حليفا إستراتيجياً في المنطقة، بينما ظلت نظرتها الاستعلائية نحو العالم العربي بأنه غير مستقر، وغير مؤهل للتطور بالرغم من امتلاكه للثروات الطائلة والموارد الطبيعية. بعد ذلك، سقط الاتحاد السوفياتي ومنظومة الدول التي كانت تدور في فلكه، معلناً انتهاء حقبة تاريخية امتدت أكثر من نصف قرن. لقد أدت تلك التطورات إلى نهاية الحرب الباردة بين القوى العظمى، وتغيرات في الجغرافيا السياسية، حيث نشأت دول جديدة، واختفت دول أخرى. غير أن القضية الفلسطينية لم تجد حلاً عادلاً إلى اليوم، بالرغم من كثرة القرارات الدولية التي لم تنفذ حتى الآن. لقد ظلت الولايات المتحدة راعية للكيان الصهيوني وتمنع تطبيق القرارات الدولية التي تطاله، وتضع الكيان فوق القانون. ولعل موقف الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قد لخص الموقف من القانون الدولي بشكل عام عندما رفض الالتزام بالمباحثات التي سعت إلى إلغاء الأسلحة النووية، وقال في ديسمبر/كانون الأول 2003، ساخراً: «القانون الدولي؟ من الأفضل أن أتصل بمحاميي».

لقد ظلت الدول الغربية الكبرى المتنفذة، وعلى رأسها الولايات المتحدة، تعمل على تغيير خريطة المنطقة، وتدعو إلى إنشاء شرق أوسط جديد. حيث ما زالت تلك الدول غارقة في ذات الأفكار التي ترى المناطق العربية الإسلامية، عدواً كامناً ومحتملاً؛ ولذلك فهي تحتاج إلى إعادة تقسيم وتجزئة وفق أفكار ومناهج تناسب رؤيتها للعالم وللمنطقة ولشعوبها وثقافتها، وحتى لا تعود إلى سابق عهدها. وأيضاً، ينبغي أن تتخلى عن أحلامها بالماضي التليد، وراية الخلافة، وأن تنسى أبطالها الرموز مثل صلاح الدين، أو حتى جمال عبد الناصر. أما موضوع القانون الدولي، وحقوق الإنسان فهذه أمور نسبية وفقاً لما يناسب المصلحة السياسية. وهي تماماً كما وصفها الرئيس الأمريكي ساخراً. وتبقى القوانين الدولية أو شرعة حقوق الإنسان حلماً للشعوب الفقيرة والضعيفة. وأداة بأيدي القوى المتنفذة. أما شعوب المنطقة فهي تحت تلك القوانين الجائرة يخشون التمادي عليها، وكأنها مدفع مسلط على بلادهم ورقابهم.

أزمة الهويّة في الكيان الصّهيوني

د. سامي الشّيخ محمد باحث أكاديمي سوري

يُعاني الكيان الصّهيونيّ من أزمة هوية لا سبيل لتجاوزها، رافقت وجوده الاحتلاليّ وتشّكله الاستيطانيّ على أرض فلسطين المحتلة، منذ العام ثمانيةٍ وأربعين وتسعمئة وألف إلى يومنا هذا، وهي آخذةٌ بالازدياد والاتّساع يوماً إثر يوم، بسبب طبيعته العدوانيّة الاحتلاليّة لفلسطين من ناحية، وتصاعد جذوة المقاومة وحدّة الصّراع الوجوديّ مع هذا الكيان، ورفض وجوده الاحتلاليّ من جانب المقاومة الفلسطينيّة، وقوى المقاومة المساندة للنّضال الوطنيّ المشروع لشعبنا الفلسطينيّ الباسل.

فمن حيث الأصل والمبدأ يفتقد ما يسمّى بـ(المجتمع الإسرائيليّ)، إلى وحدة الهويّة، نظراً لتنوّع واختلاف الهويّات القوميّة والثّقافيّة الّتي ينحدرُ منها، فتشّكل الهويّات الوطنيّة والقوميّة لأيٍّ شعبٍ أو جماعةٍ بشريّة يحتاج إلى توفّر جملةٍ من العوامل والشّروط الذّاتيّة والموضوعيّة والتّاريخيّة أهمّها:

- توفر مدى زمني يتجاوز قروناً من الاستقرار التاريخي، وتشكل علاقات اجتماعيّة تاريخيّة مستقرّة بين المكوّنات المجتمعيّة المنظّمة في بقعة جغرافيّة متصلة وموحّدة، وهو ما يفتقد إليه التجمّع الاستيطاني للمستوطنين اليهود في فلسطين المحتلّة.

- وجود ثقافة مشتركة تعكس أنماط التّفكير، والقيّم الأخلاقيّة والعادات والتّقاليد الاجتماعيّة، فالثّقافة المشتركةُ رابطةٌ جوهريّة وعنصر مكوّن أساس من مكوّنات الهويّة الوطنيّة والقوميّة لأيٍّ شعب من الشّعوب على وجه البسيطة، وهو ما يفتقده الكيان الصّهيوني الّذي هو تجمّع بشريّ من المستوطنين الّذين ينحدرون من هويّات ثقافيّة مختلفة.

- فقدان التّجانس الاجتماعي، والتّمييز بين المكوّنات الاجتماعيّة الصّهيونيّة، بين جماعات اليهود الغربيين من ناحية والشرّقيين من ناحيةٍ أخرى (الأشكيناز.. والسّفارديم)، إذ ينقسم اليهود المستوطنين في فلسطين إلى أربع فئات (A-B-C-D) الفئة (A) اليهود القادمين من أمريكا وأوروبّا الغربيّة، الفئة (B) يهود أوربّا الشّرقية [روسيا، بولندا، تشكوسلوفاكيا، المجر، وعموم جمهوريّات الاتّحاد السّوفياتي ومنظومة الدّول الاشتراكيّة، الفئة(C) اليهود العرب القادمين من البلدان العربيّة، الفئة(D) يهود الفلاشا القادمين من إثيوبيا والقارّة الإفريقيّة.

- الانتماء للهويّة الوطنيّة والقوميّة الواحدة، وهو أمرٌ غير متوفّر لدى المستوطنين اليهود في فلسطين، إذ لا يزال يحتفظ المهاجرون اليهود بجنسيّات مجتمعاتهم الأصليّة إلى جانب الجنسيّة (الإسرائيليّة)، نتيجة عدم ثقتهم بالتخلّي عن جنسيّاتِهم الأصليّة لصالح الجنسيّة (الإسرائيليّة) الطّارئة المؤقّتة بفعل الصّراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ المستمرّ منذ احتلال فلسطين إلى يومنا هذا، ناهيك عن تضاؤل ثقة المستوطنين الصّهاينة بحكوماتِهم المتعاقبة في توفير الأمن والسّلام والاستقرار لهم، وأكبر الأدلّة والشّواهد لجوء ذوي الرّهائن في معركة طوفان الأقصى إلى وساطات دولهم الأصليّة للإفراج عنهم لدى المقاومة الفلسطينيّة في قطاع غزّة، ما يعكس عمق الهوّة وأزمة الهويّة (الإسرائيليّة) المفترضة.

- الأمن والاستقرار، فالشّعور بالأمن والاستقرار، مكوّنان أساسان من مكوّنات الهويّة الوطنيّة والقوميّة لأي شعب من شعوب العالم وأيّ جماعة بشريّة على كوكب الأرض، فالشّعور بالأمن والاستقرار يبعثان على الطّمأنينة والتمسّك والتجذّر في المكان الّذي يعيش الإنسان فيه، وهما عنصران مفقودان لدى الفرد الصّهيونيّ، إذ يسيطر على عموم المحتلين الصّهاينة قلق المصير، وتشبّث أصحاب الأرض الحقيقيّين من الفلسطينيّين بأرضهم والقتال والتّضحية في سبيل حريّتها والذّود عنها، فتصاعد وتيرة المقاومة وحدّة الصّراع الّتي يتعرّض لها الكيان الصّهيونيّ ومستوطنوه على الأرض الفلسطينيّة، وآخرها طوفان الأقصى

واتّساع ساحة المقاومة لتشمل الضفّة الغربيّة، وانخراط قوى المقاومة العربيّة والإسلاميّة في لبنان والعراق واليمن في مواجهة الكيان الصّهيونيّ ومساندة جبهة غزّة على مدار خمسة عشر شهراً، أدّى إلى تخلّي بعض المهاجرين اليهود عن جنسيّتهم (الإسرائيليّة) والاحتفاظ بجنسيّاتِهم الأصليّة والعودة إلى بلدانهم الّتي هاجروا منها إلى فلسطين بفعل الدّعاية الصّهيونيّة الزّائفة.

إضافة إلى ما تقدّم فإنَّ الهجرة اليهوديّة العكسيّة من فلسطين إلى الخارج، والّتي ارتفعت معدّلاتها بشكلٍ غير مسبوق في تاريخ مقاومة الاحتلال الصّهيوني، بعد طوفان الأقصى إذ تجاوزت المليون مهاجر، تجسيد عمليّ لأزمة الهويّة الّتي يعاني الكيان الصّهيونيّ منها منذ نشأته في العام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف لغاية اليوم، بفعل انكشاف زيف مزاعمه في الحرص على حياة أسراه ومستوطنيه من خطر المقاومة الفلسطينيّة وحلفائها في المنطقة، ومزاعمه الباطلة في حق اليهود بملكيّة فلسطين والأراضي الممتدّة من الفرات إلى النّيل.

والسؤال ما السبيل لتجاوز أزمة الهوية للمستوطنين اليهود في فلسطين؟

لعل السبيل الوحيد الممكن لتجاوز أزمة الهوية لديهم، يكمن في التخلي عن الذهنية الاحتلاليّة والعيش بسلام مع أصحاب الأرض الحقيقيين، عبر إقامة سلام عادل وشامل يعيد الحقوق لأهلها والتعويض عن الأضرار المادية والمعنوية التي ألحقها الاحتلال الصهيوني بأبناء شعبنا، ومحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة على الجرائم التي اقترفوها بحق أبناء شعبنا طيلة عقود الاحتلال، في ظل دولة فلسطينية ديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني، ونبذ الفكر الانعزالي التوراتي الذي يحول دون اندماج اليهود وتفاعلهم مع الثقافات والشعوب غير اليهودية. إذ ذاك وعبر العيش المشترك بأمن وسلام واستقرار تاريخي يمكن تجاوز أزمة الهوية لدى اليهود الراغبين في العيش بسلام، مع محيطهم العربي في فلسطين والمنطقة العربية عموماً.

ماذا ينتظر نتنياهو

موسى جرادات كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني سورية

بعد كل هذا المسار في العمل السياسي والذي امتد لأكثر من ثلاثة عقود، أين وصل نتنياهو في مشروعه السياسي الذي أعلن عنه مبكرا، والمتضمن حكما تصفية القضية الفلسطينية من جذورها، ورتق كل التناقضات والأزمات في بنية الدولة الصهيونية.

هل حقق كل ما تمنى؟ صحيح ان المشهد العام الظاهر للعيان، يشير إلى أنه استطاع تحقيق إنجازات كبرى وذات مغزى استراتيجي، بعد أن حول المنطقة إلى هشيم تذروه الرياح، لكن كل تلك الانجازات غير المكتملة حتى هذا الوقت، تشي بأن نتنياهو ومنذ السابع من أكتوبر، أصبح لاعبا للنرد، فالمنطقة كانت ولا تزال وستبقى حبلى في المتغيرات التي لا تتناسب مع مشروعه وطموحات الحركة الصهيونية، متغيرات قادرة على تطويع تلك المشاريع ودفنها كما دفنت مشاريع سبقتها بفعل نضال الشعب الفلسطيني.

هو يقدم اليوم مشروعه على أساس أن الحرب التي يخوضها وجودية، لهذا نرى حجم الدعم غير المسبوق من شرائح وازنة داخل المجتمع الصهيوني، لكن هذا المعطى لا يتصف بالديمومة، بل العكس من هذا، فهو لا يعرف حتى هذه اللحظة مصيره الشخصي ومصير مشروعه، فكيف يمكن لإمبراطور افتراضي أن يجلب إلى المحاكمة لأيام ولشهور طويلة، ويتهم بقضايا جنائية، كيف يمكن له أن يستمر وأن يكون صانعا للفعل والسياسة في مجتمع ينضح بالأزمات البنيوية، من المستحيل ذلك، وربما كل ما استطاع أن يفعله، لا يتعدى حدود التدمير في الخارج، دون أن يرفع الفلسطيني الراية البيضاء، وفي الداخل الصهيوني حول وجه الدولة إلى مجرد أداة من أدواته، فأصبح الشعار في داخل المجتمع الصهيوني المطروح اليوم، يريدنا أن نكون في خدمة الملك لا المملكة، وهذا الشعار هو الذي يلخص عمق الأزمة، فالمخلص الافتراضي نتنياهو، ينوي الخلاص الفردي على حساب المملكة، لهذا يصنع هذا الكم من الأعداء في الداخل الصهيوني، صحيح أن هذا العداء يتسم بطابعه السلمي حتى هذه اللحظة، ومن يدري في أي لحظة سينقضون عليه، سواء عن يمينه أو عن يساره، وفي ظل هذه الوضعية أي عاقل سيرى أي مصير ينتظره.

بين الدعم والتراجع: كيف أضرّت مواقف ترامب باليمين الإسرائيلي ونتنياهو؟

نبال عمر كاتبة صحفية فلسطينية سورية

شهدت العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية مؤخرا تحولات جذرية، تميزت بدعم غير مسبوق من الإدارة الأمريكية الجديدة للسياسات الإسرائيلية، خاصة تلك التي يتبناها اليمين المتطرف، إلا أن بعض التصريحات والمواقف الصادرة عن ترامب، من قبيل تهديداته للمقاومة الفلسطينية في غزة وتراجعه عن مخطط التهجير، أثرت بشكل سلبي ومباشر على المشهد السياسي الإسرائيلي، وأحدثت تداعيات ملموسة على اليمين الإسرائيلي برئاسة بنيامين نتنياهو.

وهنا ربما يتساءل سائلٌ، كيف لكل هذا الدعم أن لا يخدم حكومة نتنياهو بل على العكس تمامًا ربما يمثل تهديدًا لاستقرار الائتلاف الحكومي الصهيوني، ولهذا تم إعداد هذا المقال من أجل الإجابة على بعض الأسئلة الواردة في ذهن القارئ، والأسباب متمثلة في الآتي:

تهديدات ترامب للمقاومة وتداعياتها

أصدر الرئيس ترامب في فبراير 2025، تهديدًا صريحًا لحركة حماس، مطالبًا إياها بإطلاق سراح جميع الأسرى الإسرائيليين المحتجزين في غزة بحلول ظهر السبت، وإلا «ستفتح أبواب الجحيم». هذا التصريح رفع سقف التوقعات داخل إسرائيل، خاصة بين أوساط اليمين المتطرف، الذين رأوا فيه فرصة لتصعيد العمليات العسكرية ضد غزة وتحقيق مكاسب سياسية وأمنية، وهنا يكمن الفخ السياسي، حيث أن الحكومة الإسرائيلية لم تقدم على خطوات تصعيدية كبيرة تجاه غزة بعد انتهاء المهلة المحددة، هذا التردد أثار انتقادات داخلية، فقد اعتبر بعض قادة اليمين أن نتنياهو فوت فرصة ذهبية للضغط على حماس وتحقيق أهداف استراتيجية، ليبدأ منها مسلسل درامي داخل البيت السياسي الإسرائيلي لم ينتهِ إلى يومنا هذا ولا أظنه سينتهي في الوقت القريب، فبسبب عدم تنفيذ تهديدات ترامب المعلنة أضعف من مصداقية نتنياهو كقائد قوي قادر على اتخاذ قرارات حاسمة، مما أثر على شعبيته داخل الأوساط اليمينية، وهذا بدوره أدى لانقسامات جلية داخل اليمين المتطرف.

تراجع ترامب عن خطة تهجير سكان غزة

بعدما طرح ترامب مقترحًا مثيرًا للجدل يقضي بتهجير سكان غزة إلى دول عربية مجاورة، مثل مصر والأردن، مع إعادة تطوير القطاع ليصبح منطقة مزدهرة. لاقى هذا المقترح ترحيبًا من اليمين الإسرائيلي، الذين رأوا فيه تحقيقًا لحلم قديم بإفراغ غزة من سكانها الفلسطينيين.

أما على الصعيد العربي والدولي، فقد واجه المقترح رفضًا قاطعًا معتبرين إياه انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان والقانون الدولي، ليواجه المقترح بعدة ضغوطات لم تكن تحتمل المكابرة، ليصرح ترامب بعدها بأن التهجير إن حدث فسيكون مؤقتًا ولأغراض إنسانية فحسب، تبدو هذه التصريحات وكأنه يتنصل بها من المقترح شيئًا فشيئًا.

وشعر اليمين الإسرائيلي بخيبة أمل كبيرة بعد تلك التراجعات، وهذا بدوره أدى لتراجع شعبيتهم على المستوى الداخلي، فبعد أن دخلوا في حرب لم يستطيعوا تحقيق أهدافها، كذلك فإن حليفهم الأقوى بدأ بالتراجع عن ما اعتبروه «الفكرة الثورية» ليأخذ اليمين عمومًا ونتنياهو خصوصًا الصفة الثانية في غضون أقل من شهر ويعود خالي الوفاض.

وفي ذات السياق تناولت الصحافة الإسرائيلية التهجير من عدة زوايا، ففي صحيفة يديعوت أحرونوت أشار المحلل العسكري يوآف زيتون إلى وجود تقديرات أمنية تشير إلى «عدم تقدم» مقترح ترامب بشأن تهجير الفلسطينيين من غزة. وأوضح أن العقبة الأساسية تكمن في غياب دولة ثالثة مستعدة لاستقبالهم، مما يجعل تنفيذ الخطة غير واقعي، ومن جانبها لفتت الكاتبة في صحيفة معاريف آنا براسكي إلى أن هذه الخطة تفتقر إلى الواقعية وتواجه عقبات دولية وأخلاقية كبيرة وأن استمرار الحديث عن مثل هذه الخطط دون وجود آليات تنفيذية واضحة قد يضر بمصداقية إسرائيل على الساحة الدولية.

وفي ظل التخبط الذي يعانيه المشهد السياسي الإسرائيلي يلجأ اليمين المتطرف بقيادة بنيامين نتنياهو إلى الشماعة من أجل تعليق فشله عليها وهي التلويح براية الحرب وفتح أبواب الجحيم وكأن ما قد مضى كان بردا وسلاما، فبحسب تقرير نشره موقع «فرانس 24»، جاء هذا التهديد في إطار الضغط على حركة حماس للإفراج عن الأسرى الإسرائيليين، هذا التصعيد يعكس استخدام التهديد العسكري كأداة لتحقيق أهداف سياسية تتعلق بتهجير السكان.

في ظل الدعم الأمريكي غير المشروط لإسرائيل، وجد اليمين الإسرائيلي نفسه عالقًا بين التوقعات العالية والواقع السياسي المعقد، حيث أدى تراجع ترامب عن خطة التهجير وفشل نتنياهو في استثمار تهديداته ضد غزة إلى انقسامات داخلية وخيبة أمل بين مؤيديه. ومع تصاعد الضغوط الدولية والانقسامات الداخلية، يبقى نتنياهو وفريقه المتطرف في مواجهة تحديات متزايدة، محاولين التمسك بالتصعيد العسكري كحل أخير للحفاظ على مكانتهم، في مشهد سياسي يبدو أكثر اضطرابًا من أي وقت مضى.

الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل التاريخ المشبوه "الانصهار مع الشر" !

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

سؤال موجّه من / جون روح / الأيرلندي الأصل، ومساعد الرئيس الأمريكي الأسبق ليندول جونسون في الستينيات من القرن المنصرم للرئيس جونسون عام 1967 م في غلاسبور، لماذا تؤيد الولايات المتحدة الأمريكية «إسرائيل» ضد الدول العربية على الرغم من أن الدول العربية غنية بالمصادر التي تحتاجها أمريكا؟ فأجاب جونسون: إننا نؤيد «إسرائيل» لسبب واحد فقط: «أنها تظهر بمظهر المدافع عن مصالحنا».

لا يجوز لأحد التفكير بتقليل أهمية تواجد أكثر من سبعة ملايين يهودي، يتميزون بالنشاط والتنظيم الدقيق والانضباط، واستغلال الفهم المعلوماتي، وقيادة كبرى وكالات الإعلام، كما يركزون على المفاصل الأكثر حساسية للمجتمع الذي يعيشون فيه، ويقدمون خدماتهم كلها لمصلحة «إسرائيل» حتى لو كانت هذه الخدمات متعلقة بالأمن الأمريكي العسكري والإستراتيجي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وحتى الأمن الروحي..

أجل أكثر من سبعة ملايين جاسوس إسرائيلي على الأرض الأمريكية ولهم الدور الفعال والمؤثر في ميادين الحياة الأمريكية، كما لا يجوز لأحد إغفال عامل الغطرسة الإسرائيلية في التعامل مع الأمريكيين، نتيجة السياسة التي تتبعها المنظمات الصهيونية و«إسرائيل» ضد الأمريكيين بدءاً من رئيس البيت الأبيض وانتهاءً بأستاذ الجامعة ومروراً برجال الاقتصاد والصحافة والفكر والعلم وخبراء الإستراتيجية وصولاً إلى العاملين في دور الثقافة والمعلومات والبحث..

في الحقيقة هذا التشابك أو التداخل في العلاقة الأمريكية – الإسرائيلية لا يعود في كثيرٍ من عوامله إلى قوة اللوبي الصهيوني على الأرض الأمريكية، كما أنه لا يعتمد على عناصر كثيرة تعود في أساسياتها إلى قوة «إسرائيل» والقناعة الأمريكية بها أنها حامية مصالح الولايات المتحدة، أو أنها "واجهة الديمقراطية الغربية، أو أنها " كنز إستراتيجي " لأمريكا والغرب بل يعود هذا التداخل إلى الإرادة الأمريكية أولاً، وإلى التأثير التوراتي ثانياً والتواجد اليهودي منذ عام 1636 م في أمريكا ثالثاً، وتوزع الأدوار بين المنظمات الصهيونية رابعاً، ولأن أمريكا كانت في أربعينيات هذا القرن بحاجة إلى قاعدة لها في المنطقة لتظهر بمظهر القوة العالمية التي لها دور أساسي بين قوى العالم، فكان دعمها غير المحدود لإسرائيل خامساً، ولأن اليهود بملايينهم شكلوا وأسسوا لما يسمى منظمة «الأيباك» ذات القوة الاقتصادية الضخمة، ومنظمة «الهيسبارا» التي تُعنى بالرأي العام الأمريكي واقتياده لما ترى «إسرائيل».

إن هذه العلاقة الخفية أو المشبوهة كما يصفها / هنري كيسنجر / «بالمجهول الذي يحكم أمريكا» لم تعد خافية على أحد، ذلك أن العلاقة التي بدأت بسرية تامة عام 1636 م ولم تخرج إلى العلانية وعلى شاكلة اتفاقات مكتوبة إلا في عام 1956 م، عندما وقع الرئيس الأمريكي / إيزنهاور / اتفاقية مع «إسرائيل» ترتكز على بندين أساسيين أولهما، التعاون التقني والعسكري والمادي، وثانيهما

التعاون في مجالات الذرة.

كما توجد على الأرض الأمريكية دلائل تشير إلى قوة هذا اللوبي الصهيوني، فقد فرضت أسماء ومسميات على مناطق تعتبرها الصهيونية العالمية بعضا ً من حقوقها الثابتة، أو من المواقع التي تتضمنها توراتهم اليهودية، وفي حقيقة الأمر إن غالبية هذه الأسماء مسروقة من التراث العربي، ومنها أريحا في ولاية الآباما، وعدن في أريزونا، والسامرة في أياهو، والخليل في داكونا الشمالية، وبحيرة سيناء في داكونا الجنوبية، والأردن في إلينوي، وبيت لحم في بنسلفانيا، وكنعان الجديدة في كونيكتيكت، وضاحية غوشين في يومنغ، وأورشليم «القدس» تكررت أكثر من خمس عشرة مرة في ولايات متعددة.

والمؤشر الأكثر وضوحا ً على التجاهل والاستخفاف والعلاقة الخفية هو قيام واشنطن بأعمال التغطية والتعتيم على تاريخ الإرهاب الصهيوني، حتى ولو كان ضد الأمريكيين أنفسهم !! وليس حادث السفينة الأمريكية (ليبرتي) بعيدا ً، ومع هذا كان التجاهل الأمريكي الرسمي له متعمدا ً، في الوقت الذي أدرك فيه المسؤولون في الحكومة الأمريكية أن الهجوم الإسرائيلي كان متعمدا ً على السفينة في البحر الأبيض المتوسط عام 1967 م وهو الحادث ذاته الذي ُقتل فيه 24 من البحارة الأمريكيين !! وتجاهلت أيضا ً متعمدة قيام «إسرائيل» بتهريب عدة مئات من الكيلوغرامات من اليورانيوم من مفاعل ناميك في ولاية بنسلفانيا الأمريكية في الستينيات من القرن الماضي !!

إن من ينتظر « التغيير « مع الرئيس الأمريكي العائد / ترامب / عليه مراجعة التاريخ والتحليل والاستقراء الحقيقي لكل الرؤساء الأمريكيين، سيجد في النهاية أنهم لا يملكون القدرة على قيادة الولايات بحرية كاملة، ولا يستطيعون أن يفرضوا أي قرار لا تحبذه «إسرائيل» أو لا يتماشى مع سياستها، وبالتالي الحديث عن السلام وراعية السلام يتوقف على «إسرائيل» بالدرجة الأولى، وقد قال مثل هذا الكلام نائب وزير الخارجية الأمريكية / جورج بول / من عام 1961 إلى عام 1966 قال مستشهدا ً بقول أحد المشاركين في المفاوضات المصرية – الإسرائيلية: «إن محاولة مساعدة إسرائيل للسير في طريق السلام هي كمن يحاول إبعاد دراجة عن طريق قطار قادم، بينما يصر الصبي الذي يركبها على تشغيل البدّال إلى الخلف – أي أن «إسرائيل» مصرّة على محاولة إرجاع العجلة إلى الوراء، وهي لاترجع بهذه الطريقة وبذلك ستنتحر «إذا ً فالآلية السياسية التي تتحرك ضمن مسار العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية، تتبع خطا ً بيانيا ً كثير التعاريج، إلا أنها في المحصلة تصب في المجرى الذي جعلته «إسرائيل» عاما ً لخدمة مطامعها في مواصلة الغزو والتوسع والاستيطان.

والملاحظ في هذه الأيام التعنت الذي يبديه رئيس وزراء العدو الصهيوني بنيامين نتنياهو, وما يقابله في البيت الأبيض من تراخٍ وتهاون وتماهٍ مع السياسة الصهيونية في الإبادة الجماعية لقطاع غزة والنيات الخبيثة التي تنتظر الضفة الغربية، وتهويد القدس وطرد المقدسيين الأصليين من ديارهم ولو بالقوة، والتحضيرات التي تتجهز لضرب المنشآت النووية الإيرانية، وعن لهاث المتشددين، في قتل الحلم الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

إن التواجد الإسرائيلي السرطاني في قلب الوطن العربي فلسطين هو بمثابة الكنز الحقيقي للولايات المتحدة على حد تعبير الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، وهذا ما يفسر التغاضي الأمريكي عن كل الجرائم والتوسع والاستيطان، وبالتالي لا يمكن فصل الأطماع الأمريكية عن أطماع الشرطي الإسرائيلي الذي يقف بأمر من السيد الكبير أمريكا، ولا يمكن لأمريكا أن تقف في وجه الكيان الإرهابي مهما حدث؟!.

ذات يوم وقف وزير الدفاع الأميركي الأسبق روبرت ماكنمارا، في العام 1979، وألقى خطاباً أمام نادي روما، قال فيه: إن الارتفاع الصاروخي والجنوني لعدد سكّان العالم يشكل أكبر عائق أمام التطور الاقتصادي والاجتماعي.. في العالم. لهذا علينا الآن وليس غداً أن نمنع وصول عدد سكّان الكون إلى عشرة مليارات نسمة». وقال: «لدينا خياران، الأول تخفيض معدل الولادات أو رفع معدل الوفيات، والطريقة هذه يمكن أن نحصل عليها بالحروب أو الأمراض». ومن أقواله الشهيرة في هذا السياق: «لتعمل جيّداً عليك الانصهار مع الشر».

مستقبل العالم يتوقف على حجم النيات الخبيثة التي تضمرها هذه العلاقة الجدلية التي لم تجد تفسيراً منطقياً من كبار المحللين والعاملين في مجال العلوم الإنسانية، لجهة الحقد على الخير الذي تطلبه بقية العالم والعيش الكريم واحترام الإنسانية ووضع القوانين والقيود لاستمرار الكوكب بأمن وسلام، وهما اللذان يمثلان الشيطان بكل تفاصيله، إذ يريدان تدمير العالم وتسييره وفق الرؤية التي تناسبهم بنسف القيم الإنسانية والتقاليد والعادات، لإقامة ما يسمى عالم القوة القاهرة فوق البلاد والعباد، أو مملكة الشيطان الذي مصدره النار، والويل والثبور لمن يرفض هذه الأسس والمرتكزات، أما عن التاريخ وكيفية انسجام الرؤى والأهداف، أعتقد أصبح قديماً وقديما ً جدا ً، حيث أن الأدوات التي نجحت في السابق لم تعد تعمل بفعالية، والظروف والمتغيرات لم تصب في مصلحتهم، لأن الأزمة تحديداً في أن القديم يحتضر، بينما الجديد لا يستطيع أن يولد بعد، وفترة الالتباس بين العتمة والنور تظهر شتى أنواع الأمراض.

«إسرائيل» تمثل الفتيل الذي يصاحب الشمع الأمريكي أي أنهم يتشابهان في البدايات والنهايات والكثير من الحكماء والفلاسفة الأمريكيين حذروا الدولة الأمريكية من الذهاب بعيداً مع هذه الدولة التي لا أمان لها ولا ذمة، والرئيس الأول جورج واشنطن 1796 قال في خطاب الوداع: أحذركم في التمادي في خدمة الدولة المفضلة. بعد أن اطلع على نوايا اليهود وأدرك ماذا يريدون من القوة الأمريكية المرتقبة.

الاستيطان في الضّفّة الغربيّة
هل هو عامل احتراب أم عامل لحمة؟ (1/2)

د. انتصار الدنّان كاتبة صحفية وإعلامية فلسطينية لبنان

مقدمة:

بعد اتفاقية أوسلو التي تم توقيعها بين منظمة التحرير الفلسطينية ودولة الاحتلال الصّهيوني في 13 سبتمبر/ أيلول عام 1993، وكان قد وقعها الرّئيس الفلسطينيّ الرّاحل ياسر عرفات، ورئيس الوزراء الإسرائيليّ إسحاق رابين في حديقة البيت الأبيض في واشنطن، برعاية أمريكية، الّتي تشكّل «سلطة حكم ذاتيّ فلسطينيّ انتقاليّ» الّذي مهّد لمرحلة جديدة في تاريخ القضيّة الفلسطينيّة، وفي هذا الاتفاق لم يراع المفاوض الفلسطينيّ القضايا الأساسيّة في التّفاوض، وعلى رأسها مسألة الاستيطان، فالحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة أفردت موازنات كبيرة للنّموّ الاستيطانيّ، بحيث تضاعفت الكتل الاستيطانيّة ثلاثة أضعاف خلال العشرين سنة الّتي تلت اتّفاق أوسلو، وكان الغرض من ذلك اقتطاع أكبر حجم ممكن من جغرافيا الضّفة الغربيّة، لإخراجها من بازار التّفاوض النّهائي مع السّلطة الفلسطينيّة، فالمنطق الّذي حكم المفاوضات حينها، جاء على قاعدة التّفاوض الثّنائي دون مرجعيّات قانونيّة دوليّة، فهناك فرقٌ في ما بين التّفاوض على أراضٍ محتلة وأراضٍ مُتنازع عليها.

وفي دراسة لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، قالت فيها : إنّ أعداد المستوطنين في الضّفّة الغربيّة تضاعفت سبع مرّات منذ توقيع اتّفاق أوسلو قبل حوالي 30 عامًا، بينما تسيطر المستوطنات على نحو 40 بالمئة من المساحة الإجماليّة للضّفّة الغربيّة، وجاء في تقرير أصدره المكتب الوطني للدّفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان التّابع للمنظّمة، أنّ اتّفاقيّة أوسلو تطويها الآن موجات متعاقبة من عمليّات البناء والمخطّطات الاستيطانيّة الّتي تستهدف ما تبقّى للفلسطينيين من أرض، فبعد اتفاق أوسلو عام 1993 واتفاق طابا عام 1995 تم تقسيم الضّفّة الغربيّة إلى ثلاث مناطق، (أ) وهي المدن والبلدات الفلسطينيّة الكبيرة، و(ب) الّتي تضم القرى والبلدات الصّغيرة، و(ج) وهي المساحة الأوسع وتساوي نحو 62 بالمئة من مساحة الضّفّة الغربيّة، وتخضع إداريًّا وأمنيًّا للسّيطرة الإسرائيليّة الكاملة.

وقد مر الاستيطان بثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى:** (الأراضي المحتلّة) وهي تُسقط شرعيّة الاستيطان.
- **المرحلة الثّانية:** (المنطقة المُتنازع عليها منذ عام 1967): في هذه المنطقة، هذا الوجود الاستيطاني يمتلك الشّرعيّة، وفي المحصلة، فإنّ الوجود الاستيطانيّ في الضّفّة الغربيّة نما، وذلك لأسباب مختلفة، فبعد احتلال الضّفّة عام 1967 قام الاستيطان على تثبيت الاحتلال الّذي امتدّ حتّى توقيع اتّفاقيّة كامب دايفيد إلى اليوم.
- **المرحلة الثّالثة:** امتدّت بعد اتّفاقيّة كامب دايفيد إلى اليوم.

بعد السّابع من أكتوبر 2023، ازداد المستوطنون اعتداءً على الفلسطينيين، وطردهم من أرضهم، بهدف توسعة الاستيطان، والاستيلاء على الأراضي الفلسطينيّة، تحت ذرائع عديدة، منها الذّريعة الأمنيّة الّتي توفّر الحماية للمستوطنات، والحوافز الّتي تقدّمها حكومة الاحتلال، من إعانات السّكن، وتخفيضات ضريبة الدّخل والمنح المخصّصة لدعم مشاريع الأعمال فيها، والاستثمارات الّتي تضخّها إسرائيل في مشاريع شقّ الطّرق وتأهيل البنى التّحتيّة، وغيرها، غير أنّه وبحسب أحد استطلاعات الرّأي الّتي نشرتها منظّمة السّلام الآن الإسرائيليّ، فإنّه يقطن 77 بالمئة من المستوطنين المستطلعة آراؤهم في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة لأسباب تعود إلى جودة الحياة فيها، وليس لأسباب دينيّة أو أسباب تتعلّق بالأمن القوميّ الإسرائيليّ، ومن الصّعوبة إقناع هؤلاء المستوطنين بترك الأرض إذا ما توافرت لهم الحوافز، الّتي تجعلهم يتركون الأرض، والقيام بهجرة عكسيّة إلى البلاد الّتي أتوا منها، فبعد معركة طوفان الأقصى لم تعد تتوافر لهم هذه الشّروط، أي شروط بقائهم، هذا عدا نزوحهم من الشّمال بسبب عدم توفر الأمان في المناطق الّتي يسكنونها.

من خلال متابعتنا للحركة الاستيطانيّة تبيّن لنا أنّ حوالي 85 بالمئة من المستوطنين يسكنون حول مدينة القدس، وفي منطقة غرب رام الله وجنوب غرب نابلس، وذلك بسبب ارتباطهم بمراكز العمل والخدمات داخل «إسرائيل». يلاحظ أن 70 بالمئة منهم يعملون داخل الخطّ الأخضر، و45 بالمئة داخلها يعملون في الخدمات العامة، وحوالي 34 بالمئة يعملون بالأعمال الزّراعيّة والصّناعيّة، والاستيطان هنا لا يأتي بالمعنى السّكّانيّ، إنّما هو قائم على أساس إحلاليّ، وعبر التّاريخ كانت إسرائيل تعمل على توسعة الاستيطان من خلال الاستيلاء على الأراضي الفلسطينيّة والتّمدّد، وذلك من خلال بناء المستوطنات غير القانونيّة، ويتبنّى معظم المجتمع الدّولي عدم قانونيّة المستوطنات، بما فيه الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ويستند في ذلك إلى اتّفاقيّة جنيف 1949 الّتي تحظر نقل قوّة الاحتلال مواطنيها إلى الأراضي المحتلّة، على أنّ الاحتلال يتذرّع ببناء المستوطنات لأسباب عديدة، ومن أهمّ الأسباب الّتي ادّعتها الحكومات الإسرائيليّة بإقامة المستوطنات، منع التّواصل بين الفلسطينيين داخل الضّفّة الغربيّة ومع الأردن تحقيقًا لإستراتيجيّة الإحاطة ثمّ التّغلغل المستقى من المفاهيم العسكريّة، والسّيطرة على موارد الأرض والمياه، وبناء الكسّارات من أجل وضع اليد على المصدر الرّئيس للاقتصاد الفلسطينيّ وهو الحجارة، لكن السّؤال المطروح هنا، ما هي تحدّيات المشروع الاستيطانيّ الإسرائيليّ؟ ومن هي الفئة الّتي تسكن تلك المستوطنات؟ وهل تتجانس في ما بينها؟

بحسب تقرير نشر في صحيفة الشّرق الأوسط، عن دراسة لمجموعة الأبحاث الإسرائيليّة (تمرور)، أشارت فيه إلى أنّ مشروع الاستيطان اليهوديّ في الضّفّة الغربيّة يواجه تحدّيات كبيرة، ويفشل في مواجهة الكثير منها، وبرغم تطرّف المستوطنين سياسيًّا أو أيديولوجيًّا، فإنّنا نجد أنّه يوجد بينهم تراجع عن فكرة الانتقال للاستيطان، حيث إنّه بسبب ذلك سينشأ صراع طبقيّ بين الأثرياء والفقراء الّذين يزدادون فقرًا في الوقت الّذي يزداد الأغنياء غنى، وبحسب التّقرير، بلغت نسبة الفقر في المستوطنات 10 أضعاف النّسبة في إسرائيل، بالإضافة إلى الصّراع العرقي والطّائفيّ، وكلّ المعطيات الّتي يدّعيها قادة الاستيطان على أنّ الاستيطان هو معجزة تاريخيّة يظهر الواقع عكس ذلك، على أنّه مشروع فاشل برغم كلّ الدّعم الحكوميّ المادّي والعسكريّ والسّياسيّ.

كما يوضّح التّقرير، وبحسب الأرقام الّتي توفّرت له بأنّ 37 بالمئة من النّسبة السّكّانيّة الّتي ارتفعت هي من الحريديم، إلى جانب مستوطنات أخرى تعيش فيها فئة فقيرة، وهذا يعني أنّ أكثر من 40 بالمئة من المستوطنين ينتمون إلى الشّريحة الاقتصاديّة الاجتماعيّة الأدنى الّتي تزداد فقرًا في إطار صراعٍ طبقيّ بين الحريديم والعلمانيين والجمهور المتطرّف المسيحانيّ الصّغير، ما يؤدّي حكمًا إلى أنّ هذه الفئات مجتمعة تتوجه إلى التّغيير الدّيمغرافيّ السّلبيّ.

الإشكاليّة وفرضيّاتها:

ما يثير الانتباه أنّ الاستيطان اليهوديّ، منذ أن وجد على أراضي الضّفّة الغربيّة وحتّى الآن، تشكّل ونما في ظروفٍ تاريخيّةٍ مختلفةٍ، وحمّل بدلالاتٍ ومعانٍ مختلفة، بدءًا من ما قبل النّكبة، مرورًا بالنّكبة وبحرب حزيران 1967، واتّفاقيّة كامب دايفيد لاحقًا، وتبعها اتّفاق أوسلو عام 1993، لكنّ السّؤال المطروح هنا:

- هل هناك حاجة إسرائيليّة فعليّة لهذا الاستيطان؟

- وإذا كان هناك حاجة فعليّة لهذا الاستيطان، فما هي دوافعها؟

من الطّبيعيّ أن يكون هذا الاستيطان جزءًا من السّيطرة على كامل جغرافيا فلسطين، حيث إنّ أولويّة الحكومة الإسرائيليّة، بحسب المنتدى الإسرائيليّ، من السّماح بإقامة مستوطنات في الضّفّة الغربيّة هي تحقيق الأمن للمستوطنين والدولة، حيث يسهم وضع مدنيين إسرائيليين في مناطق معيّنة في تعزيز السّيطرة الإسرائيليّة العسكريّة، تحت ذريعة حماية المستوطنين، لكن السّؤال الأكثر أهمّيّة هو، هل هؤلاء المستوطنون يشكّلون جزءًا لا يتجزّأ من بنية المجتمع الصّهيونيّ؟ أم أنّ الظّاهرة الاستيطانيّة قد ولّدت مجتمعيْن لا يحملان السّمات ذاتها، وقد تتعارض الأدوار فيما بينهما؟

خصّصت إسرائيل مناطق إستراتيجيّة معيّنة في الضّفّة الغربيّة للاستيطان اليهوديّ، بينما منعت في البداية إنشاء مجتمعات مدنيّة في المناطق الأكثر اكتظاظًا بالسّكّان، ومن الواضح أنّ الحراك السّياسيّ في هذه الكتل الاستيطانيّة ولّد حضورًا فعليًّا ومؤثّرًا في هيكليّة وبناء النّظام السّياسيّ، وهذا ما نشاهده اليوم من صراعٍ فعليٍّ داخل هذا النّظام، يتمثّل بقوى مدنيّة ليبراليّة منتجة اقتصاديًّا تعيش في المدن الكبرى، وتمثّلها

قوىً سياسيّة علمانيّة. في المقابل هناك جماعات الاستيطان ذات الأيديولوجيّات الدّينيّة غير المنتجة (لا يوجد مصانع ولا أراضٍ زراعيّة) في المستوطنات، ويعتاشون على خزينة الدّولة. صحيح أنّ ما يسمّى بالدّولة العميقة مازالت قادرة حتّى هذا الوقت على بناء لحمة (متوهّمة) بين المستوطنين، لكن هذا الصّراع سيتّخذ أبعادًا مختلفةً في المستقبل، وقد بانت ملامحه في السّنتيْن الأخيرتيْن، لأنّ كلا القوّتيْن لم تعد تحملان مشتركات فيما بينهما، فكلّ قوّة منهما تريد أن تفرض رؤيتها على الدّولة والمجتمع، غير أنّ المشروع الاستيطانيّ في كامل فلسطين هو مشروع واحد، لكنّه في الحقبة التّاريخيّة الأولى حتى عام 1967 أنتج جماعاتٍ مدنيّة، والسّؤال الإشكاليّ هنا:

- هل الجماعات الاستيطانيّة في الضّفّة الغربيّة هي جماعات مدنيّة؟

- هل مثّلت هذه القوّة الاستيطانيّة عوامل استقرارها الدّاخليّ؟

- هل لديها القدرة على فرض رؤيتها على القوى السّياسيّة المدنيّة أم أنّها تشكّل نقطة الضّعف الفعليّة في قلب المشروع الصّهيونيّ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، لا بدّ من التّطرّق إلى الأمور الآتية:

-1 سمات الظّاهرة الاستيطانيّة في فلسطين المحتلّة.

-2 خصوصيّة الظّاهرة الاستيطانيّة في فلسطين المحتلّة.

-3 ثنائيّة الدّاخل- الخارج، الّتي تقوم على أنّ هؤلاء بالقانون الدّوليّ لا يمتلكون شرعيّة قانونيّة دوليّة في امتلاك الأراضي، فهم يعيشون على أراضٍ دوليّة، وفي الوقت نفسه تحوّل المستوطنون إلى أن يكونوا أداةً فاعلةً في عصب النّظام السّياسيّ الإسرائيليّ.

-4 حقيقة الاستيطان، الحجم، الكتلة السّكّانيّة الاستيطانيّة، النّموّ السّكانيّ في المستوطنات، الّذي ارتبط دائمًا بعامليْن أساسييْن (الزّيادة المتأتّية بفعل الولادة، والثّاني بفعل استقدام المهاجرين)، في سياق البحث عن حجم النّموّ الدّيمغرافيّ ومنابعه، لنصل إلى القول بأنّه بين الاستيطان الفعليّ والاستيطان الأيديولوجيّ، وبناء على ما تقدّم، يمكننا طرح السّؤال الإشكاليّ:

- هل هذه الظّاهرة الاستيطانيّة هي جزء لا يتجزّأ من لحمة المشروع أم أنّها جزء من تشظّيه؟ مع الميل إلى أنّ الاستيطان في الضّفّة الغربيّة، وبرغم أنّه ظاهريًّا يؤدّي إلى تماسك المشروع الاستيطانيّ، وتمدّده، ونموّه، غير أنّه، ومن خلال المؤشّرات الظّاهرة أمامنا يقود إلى حتميّة انفجار الصّراع الدّاخلي بين مكوّنات المجتمع الاستيطانيّ ككل.

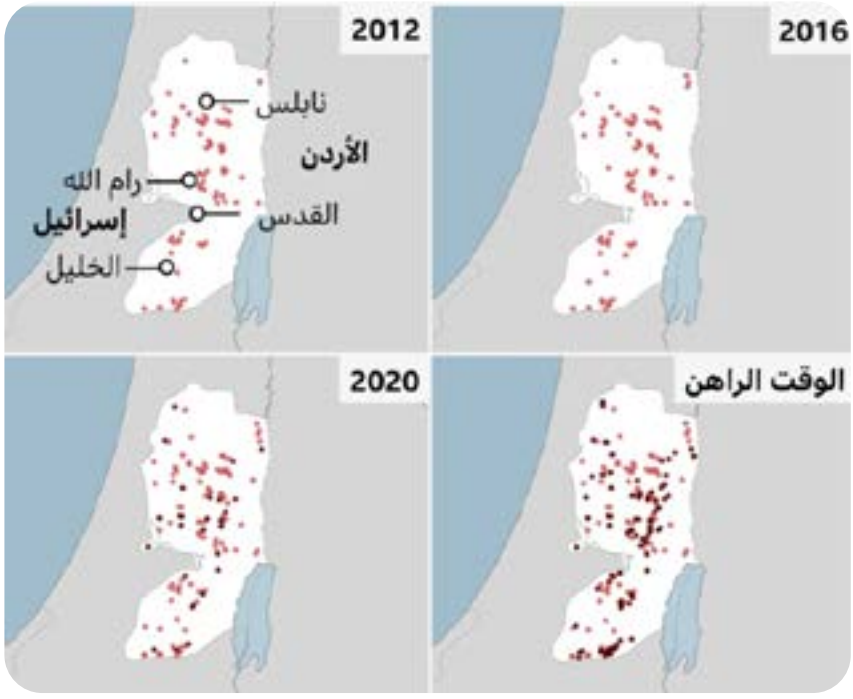

المنهج المعتمد:

اعتمدْتُ في دراستي هذه غير منهج؛ لأنّ العمل على أي دراسة يتطلّب الاستعانة بغير مِنهج، كما يقول شوقي ضيف: «الباحث الأدبي ينبغي أن يستضيء في عمله بكلّ المناهج والدّراسات السّابقة، إذ لا يكفي مِنهج واحد؛ ولا دراسة واحدة؛ لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل. كما يتطلّب اعتماد ما يُسمّى بالمِنهج العلميّ، وهو الّذي يقوم على التّرصّد والجمع، والمِنهج التّاريخيّ، ثمّ المناقشة والتّحليل للمادّة العلميّة، وعلى المستويات الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسّياسيّة، والثّقافيّة.

وعليه سأقسم بحثي إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: مراحل الاستيطان بدءًا ممّا قبل النّكبة حتّى النّكبة

ظهرت نيّات اليهود بفلسطين عند انعقاد المؤتمر الصّهيونيّ الأوّل عام 1897، وعندما ظهرت المطالبة بدولة يهوديّة في فلسطين. وأثناء الحكم العثمانيّ حاول عدد من قادة الصّهاينة الحصول على وعدٍ بإنشاء وطن قوميّ لليهود، غير أنّ ذلك لم ينجح، واستخدمت الحركة الصّهيونيّة كلّ السّبل لإدخال اليهود إلى فلسطين، فقد دخل بعضهم تجّارًا ورجال أعمال، فيما استغلّ آخرون السّماح لهم بزيارة الأماكن المقدّسة للتّسلّل إلى فلسطين والبقاء فيها.

وتعود بداية الاستيطان اليهودي في فلسطين إلى اللورد موسى مونتفيوري الّذي نجح في الحصول على الموافقة العثمانية لشراء عدة قطع من الأراضي بالقرب من القدس ويافا، وبدأ البناء على مساحة من الأرض خارج أسوار القدس عام 1859 لتكون حيًّا لليهود سُمي باسمه، ثم تمكّن من بناء سبعة أحياء أخرى حتّى سنة 1892.

استمرّ عدد المستوطنين في التّزايد طوال العهد العثماني، ففي عام 1882 كان عدد اليهود في فلسطين 24 ألف يهودي، وقفز في عام 1917 إلى أكثر من 85 ألف يهودي بعد الحرب العالميّة الأولى

حيث فكّر بن غوريون بتجنيد عشرة آلاف متطوّع يهوديّ للاشتراك في الحرب على تراب فلسطين إلى جانب الأتراك، من أجل السّماح لليهود بالهجرة والاستيطان، وكذلك زادت أعداد المستوطَنات، ففي حين كان عددها عام 1884 خمس مستوطنات، صارت 47 مستوطنة عام 1914.

مع وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطانيّ، بدأت حقبة جديدة في تاريخ الاستيطان، فبتاريخ 2 تشرين الثّاني\ نوفمبر 1917 صدر وعد بلفور الّذي يدعو إلى قيام وطنٍ قوميٍّ لليهود في فلسطين، ما أدى إلى سنّ قوانين خاصّة بفتح أبواب الهجرة، وتسهيل انتقال الأراضي إلى الحركة الصّهيونيّة، وحماية الاستيطان بقوّة السّلاح، وبين عاميّ 1918 و1949 تضاعف عدد اليهود، وبُنيت العديد من المستوطنات في أرجاء فلسطين إلى أن بلغ عددها 169 مستوطنة، وقد كان تركيز المستوطنات على السّاحل الفلسطيني بشكل أساسيٍّ.

لم تتوقّف الدّعوات المتكرّرة لتوطين اليهود في فلسطين، ورعت هذه الدّعوات دول وأنظمة أوروبيّة من أهمّها الدّعوات الّتي قادتها بريطانيا، والّتي نتج عنها إقناع الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة بأن تصدر في 29 تشرين الثّاني\ نوفمبر 1947 القرار رقم (181)، الّذي نصّ بتقسيم فلسطين وإعطاء 55 بالمئة من مساحة فلسطين لليهود، ونظرًا إلى رفض العرب ذلك الأمر، والشّعور بالظّلم والإجحاف بحقهم، وعدم رضا المنظّمات الصّهيونيّة بالنّسبة الّتي أعطيت لهم، اندلعت حرب عام 1948، الّتي حصلت بين المقاومة الفلسطينيّة والجيوش العربيّة والمنظّمات الصّهيونيّة المسلّحة المدعومة من حكومة الانتداب البريطانيّة، ما أدى إلى تهجير أعداد كبيرة من الفلسطينيين من أرضهم، بعد مجازر قامت بها المنظّمات الصهيونية بحق الفلسطينيين، واستيلاء الحركة الصّهيونيّة على الأراضي الفلسطينيّة، ما أدى إلى اتّساع رقعة «إسرائيل إلى» 22920000 دونم، هذا عدا عن المسطّحات المائيّة الّتي تبلغ 425 دونمًا.

يتركّز الحيّز الجغرافي الاستيطانيّ للمستوطنين في القدس، حيث يشكّل أعلى نسبة من المستوطنين، والّتي تبلغ حوالي النّصف، وما يشكّل نسبته ربع الاستيطان موجود على حدود الخطّ الأخضر أو أكثر، والكتلة الاستيطانيّة الأخرى موجودة في قلب الضّفّة الّتي تبلغ مساحتها 8860 كلم مربعاً، وتبلغ نسبة المستوطنات حوالي 2000 كلم مربع، ما يعني أن مساحة المستوطنات بالضّفة تبلغ واحد ونصف بالمئة، والنّموّ الاستيطانيّ الطّبيعيّ للسّكان أو العمران هو نموّ طبيعيّ، من نسبة السكان المهاجرين، والتّمدّد الجغرافيّ والعمرانيّ لا يعني البشر، وهذا يعني تفكيك مقولة المليون مستوطن في الضّفّة الغربيّة، لأنّ نصف المستوطنين يعيشون في الحيز الجغرافيّ في القدس، ما يدلّ على أنّ تأثيرهم على الضّفة تأثيرٌ محدودٌ.

الأطماع الصّهيونيّة في احتلال المزيد من الأراضي لم تتوقّف عند هذا الحدّ، فشنّت حربًا جديدة في الخامس من حزيران 1967، فاحتلّت كامل فلسطين، وشبه جزيرة سيناء، والجولان السّوريّ، بحسب خطّة كانت قد أعدّتها حكومة الاحتلال لتحقيق حلمها في إقامة دولة إسرائيل من الفرات إلى النّيل.

المبحث الثّاني: النّموّ الاستيطانيّ منذ النّكبة حتّى عام 1967

قبل احتلال الصهاينة لأراضي فلسطين، كان يعيش في فلسطين سبعمئة ألف يهودي، ويمكن تقسيمهم إلى أربع فئات :

الفئة الأولى: هم اليهود الّذين استوطنوا فلسطين لأكثر من عشرين عامًا قبل التّقدم بقضيّة قرار تقسيم فلسطين إلى الأمم المتّحدة عام 1947.

الفئة الثّانية: هم أولئك الّذين سكنوا فلسطين بحسب قانون الانتداب الّذي وضع أنظمة الهجرة وبموجبه صاروا مواطنين فلسطينيين.

الفئة الثّالثة: هم أولئك الّذين دخلوا بحسب قوانين الهجرة، لكنّهم لم يصيروا مواطنين.

الفئة الرّابعة: هم الّذين دخلوا فلسطين بصورة غير مشروعة.

بحسب كتاب الإحصاء البريطانيّ الرّسميّ لم يكن في عام 1947 في فلسطين إلّا 250 ألف يهوديّ يحملون الجنسيّة الفلسطينيّة، وفيما عدا هؤلاء فجميع اليهود، أي 450 ألف يهوديّ معظمهم دخل فلسطين بشكلٍ غير مشروع، وجميعهم لا يحملون الجنسيّة الفلسطينيّة.

لم يصل الاستيطان إلى الضّفّة الغربيّة قبل عام 1967، لكن هذا لا يعني أنّه لم تكن هناك محاولات استيطان من الإسرائيليين، خاصّة، بعد أنّ شرّع الانتداب البريطانيّ لهم ذلك، وبعد أن كان الحصول على الأراضي عن طريق الشّراء بطريقة غير قانونيّة في المجمل أثناء الحكم العثمانيّ، أو تسريبها عن طريق المنح أو البيع أو الإيجار أثناء الحكم البريطانيّ، صارت تحت القوّة العسكريّة بعد النّكبة عام 1948، وقيام دولة «إسرائيل» بشكل رسميّ، والاستيلاء على الأراضي وطرد أهلها منها.

بداية، كان تركيز المستوطنات على السّاحل الفلسطينيّ بشكل أساسيّ، ثمّ في مرج بن عامر والجليل الأعلى والأدنى والنّقب، لكن بنسبة أقل مما هي عليه في السّاحل الفلسطينيّ، وهي المنطقة الّتي شكّلت حدود دولة «إسرائيل» عام 1948، ما أدى إلى التّوسّع من حيث المساحة والعدد للاستيطان المستمرّ والمتّصل جغرافيًّا، بناء على تقسيم فلسطين عام 1947 في الأمم المتّحدة الّتي أعطت لليهود 55% من أراضي فلسطين وفقًا للقرار 181.

بعد حرب حزيران 1967، دارت مناقشات بين كلّ القوّى، والجماعات السّياسيّة والفكريّة الإسرائيليّة حول موضوع الاستيطان، وإمكانيّة التّمدّد، إلى أن تمخض عن المشاورات استيطان أكبر قدر ممكن من الأراضي الفلسطينيّة، وباشر بعدها السّياسيّون الإسرائيليّون والحكومات بإصدار المشاريع الاستيطانيّة، وكان ذلك وفق مخطّط قد خطّط له السّياسيّون الصّهاينة قبل حرب حزيران 1967، ما يعني أن «إسرائيل» تسعى وراء تحقيق حلمها، وهو تأسيس دولة «إسرائيل الكبرى» الممتدّة من النّيل إلى الفرات.

(يتبع)

ترجمة

الدولار سيصبح «لا شيء»: ماسك يدق ناقوس الخطر

ترجمة: نور نوارة

تقرير لمجلة The Economist Times - رويترز 2025/2/20

أصدر إيلون ماسك، أغنى رجل في العالم والرئيس التنفيذي لشركة تسلا، تحذيراً صارخاً بشأن مستقبل أمريكا المالي. وفي حديثه في برنامج «تجربة جو روغان»، أعرب ماسك عن مخاوفه الجدية بشأن الدين القومي الأمريكي الذي وصل إلى 36.17 تريليون دولار. وفقًا لماسك، إذا لم يتم اتخاذ تدابير جذرية قريبًا، فقد تنخفض قيمة الدولار إلى "لا شيء"، مما يترك البلاد في حالة من الخراب المالي. أشار ماسك إلى حقيقة مقلقة: تستهلك مدفوعات الفائدة على الديون نسبة مقلقة تبلغ 23% من إجمالي الإيرادات الحكومية - وهو رقم آخذ في الارتفاع بشكل مطرد. وأوضح قائلاً: "إذا لم نتحرك، فإن ميزانية الحكومة بأكملها ستُستخدم فقط لدفع الفوائد". وهذا لن يترك أي أموال للبرامج الحيوية مثل الضمان الاجتماعي أو الرعاية الطبية. يرسم تقييم ماسك الكئيب صورة لانهيار اقتصادي محتمل إذا لم يتم تفعيل الإصلاحات بسرعة..

الأرقام تدعم مخاوف ماسك. في السنة المالية 2024، أنفقت الحكومة الفيدرالية 1.1265 تريليون دولار على مدفوعات الفائدة وحدها، مقارنة بإجمالي إيرادات 4.92 تريليون دولار. ومع التهام تكاليف الفائدة للميزانية، فإن تحذير ماسك هو بمثابة جرس إنذار لصانعي السياسات والمواطنين على حد سواء. فهل ستتصرف أمريكا في الوقت المناسب لمنع هذه الكارثة المالية؟

هل يمكن للولايات المتحدة أن تتجنب الإفلاس؟

على الرغم من أن بعض المتخصصين، مثل محللي جي بي مورغان، يرون أن الولايات المتحدة لن تتخلف عن السداد في ظل الاحتمال غير المعتاد لإصدار ديون بالعملة الأمريكية، إلا أن ماسك لا يشير إلى الآثار السلبية لـ "تسييل" الأموال بسرعة كبيرة. قد تتجنب هذه الطريقة التخلف عن السداد من الناحية الفنية، ولكنها قد تؤدي إلى تضخم جامح ومن ثم انخفاض قيمة الدولار.

وبالنظر إلى هذه التحديات، يقترح مسك والحكماء الماليون حلولاً عملية للناس لحماية ثرواتهم:

الاستثمار في العقارات: تميل قيم العقارات إلى الزيادة مع التضخم، مما يوفر نموًا في القيمة وإيرادات الإيجار. تناسب مواقع التمويل الجماعي وصناديق الاستثمار العقاري حتى صغار المستثمرين.

شراء الأسهم القوية: يوصي ماسك بالاستثمار في الشركات التي تبتكر منتجات ذات قيمة، مثل تسلا وآبل، والتي حققت عوائد كبيرة في السنوات الأخيرة.

الذهب كملاذ آمن: يستمر الذهب في كونه أحد الأصول دائمة الخضرة لمكافحة التضخم، حيث ترتفع أسعاره في أوقات عدم الاستقرار الاقتصادي.

وحذر إيلون ماسك من أن الولايات المتحدة تتجه نحو الإفلاس إذا لم يتم اتخاذ إجراءات فورية. وذكر أن الدولار قد يفقد قيمته بالكامل بسبب ارتفاع الدين القومي والتضخم.

فيما أشار إلى الدين القومي البالغ 36.17 تريليون دولار وقال إن مدفوعات الفائدة وحدها تمثل 23% من دخل الحكومة. وهذا يترك مجالاً ضئيلاً لتمويل البرامج الأساسية مثل الضمان الاجتماعي والرعاية الطبية.

تحقيق

ارتداد التحولات السوريّة على فلسطينيّي سورية في تركيا

إلهام الحكيم كاتبة فلسطينية تركيا

يأبى الفلسطيني إلا أن يحمل وطنه في حلّه وترْحاله الذي كُتِب عليه بعد النكبة واللجوء عام 1948 ثم النزوح عام 1967 إلى مناطق اللجوء والشتات خاصة الدول العربية المحيطة « سورية، الأردن، مصر، العراق، لبنان » وغيرها من الدول الإقليمية والعالم.. أسْكَن فلسطين في قلبه وبات حاضناً لها ومدافعاً عنها ومحتفظاً بحقه بالعودة إليها رغم كل الاعتداءات الصهيونية والتهجير والتشريد والإبعاد، لم يكن كما غيره من الشعوب التي تعيش في أوطانها بل إن فلسطين هي التي سكنت في قلوب أبنائها وعاشوا معا في بلدان اللجوء والاغتراب الذي طال الشعب الفلسطيني مجدداً إلى جانب الشعب السوري « منذ عام 2011» مما اضطرهم مرغمين لمغادرة سورية هرباً من النزاع المسلح الذي فُرض على الشعب السوري دفاعاً عن أبنائه وحريته وكرامته، خاضوا غمار تغريبة جديدة، انتشروا في شتى أصقاع الأرض ومنها تركيا باعتبارها ممراً لهم باتجاه أوروبا التي لم يستطع الجميع مغادرتها فاستقروا فيها وانخرطوا بالحياة الاقتصادية لأكثر من عقد، مع انتصار الثورة السورية يوم 2024/12/8 باتت الأبواب مشرعة أمام اللاجئين للعودة والمساهمة ببناء سورية الجديدة، عاد البعض ومازال البعض الآخر يفكر بالعودة نتيجة الشعور بالقلق والارتباك تجاه المتغيرات الجديدة.. توجهت بمجموعة أسئلة لبعض الفلسطينيين السوريين المقيمين بتركيا إقامة «سياحية أو لجوء» فأجابوا مشكورين:

• الكاتب والباحث الفلسطيني إبراهيم العلي رئيس متحف فلسطين في إسطنبول:

■ س1/ ماهي أبرز القطاعات الشعبية الفلسطينية الموجودة في تركيا وما أبرز نقاط معاناة اللاجئ الفلسطيني فيها؟

- اللاجئ الفلسطيني في تركيا هو جزء من حالة اللجوء الكبيرة الموجودة هناك، استطاع خلال فترة وجوده أن يكون داخل كل القطاعات الناشئة لاستيعاب وتقنين حالة اللجوء فتراه موجوداً تحت اللافتات المختلفة التي تعنى بشرائح اللاجئين عموماً مثل المؤسسات ذات البعد التعليمي والاجتماعي والاقتصادي.

بالنسبة للمعاناة فهي متفاوتة ولا يمكن وضع الجميع تحت هذا المسمى فهناك شرائح استطاعت النهوض وإعادة ترتيب أوضاعها على الأصعدة كافة، وهناك من يفتقرون إلى وضع قانوني لأسباب ذاتية أو موضوعية حدّت من حصولهم على الخدمات المقدمة للاجئين في مجالي الصحة والتعليم على سبيل المثال لا الحصر.

■ س2/ كيف يقيّم اللاجئ الفلسطيني السوري في تركيا التطورات الأخيرة في سورية؟

- اللاجئون الفلسطينيون في سورية بحكم سنوات اللجوء الطويلة هم جزء من النسيج الاجتماعي السوري وبالتالي فإن حالة اللجوء والنزوح المتكرر وما شهدته سورية من دمار وما قدمته من شهداء وما عانى منه الشعب السوري من حالات الاعتقال والإخفاء القسري والموت تحت التعذيب، كان الشعب الفلسطيني في سورية شريكاً في هذه المعاناة التي امتدّت عبر سنوات الثورة حيث قدّم آلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين، وتعرضت غالبية المخيمات الفلسطينية للدمار والتهجير، وبالتالي فإن انتصار الثورة السورية هو انتصار للحق الفلسطيني.

■ س/ برأيكم هل بدأ الفلسطيني السوري بحزم حقائبه للعودة إلى المخيمات الفلسطينية في سورية باعتبارها أصل الحكاية وتمثل خطوة باتجاه العودة إلى فلسطين؟

- في الواقع اللاجئون الفلسطينيون من سورية إلى تركيا هم أحد ثلاث شرائح فهناك شريحة بدأت بحزم حقائبها وعادت فعلاً إلى سورية خاصة أبناء المخيمات التي لا زالت بيوتها قائمة، وهناك شريحة ترغب بالعودة فعلاً ولكنها لا تملك تكاليف السفر والعودة، أما الشريحة الثالثة فغالبيتها من أبناء مخيم اليرموك المدمّر لديها الرغبة بالعودة لكن ليس لديها القدرة على ترميم منازلها أو إعادة إعمارها وبالتالي ستكون في سورية بحالة مشابهة لحالتها في تركيا فقررت البقاء واستبعدت خيار العودة في الفترة القريبة.

■ س/ ما هو دور المؤسسات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني لتسهيل عودة اللاجئين إلى سورية بالتنسيق مع الجهات التركية والسورية؟

- ليس هناك ما يمنع العودة الطوعية للاجئين الفلسطينيين من سورية في تركيا فالحكومة التركية تتعامل معهم كمعاملتها مع السوريين، إلا أنه تظهر أحياناً بعض

العقبات نتيجة عدم وضوح بعض القوانين لدى الموظفين أو التفسير الملتبس لها على المعابر الحدودية، من وجهة نظري أنه يتوجب على المؤسسات الفلسطينية العاملة في تركيا التواصل مع الجهات الحكومية لتوضيح العلاقة القانونية بين الفلسطيني والسوري وماهيّة وثائق السفر السورية التي يحملها اللاجئون الفلسطينيون والعمل على تسوية الأوضاع القانونية للمخالفين لتسهيل عودة الراغبين بالإضافة إلى تقديم الدعم المالي اللازم لتحقيق عودة آمنة.

■ س/ باعتبارك من المبادرين لإقامة المتحف الفلسطيني في اسطنبول، هل تفكر بالعودة إلى سورية وإقامة المشروع نفسه ؟

- يتوجب على أبناء فلسطينيي سورية في كل مكان أن يكون لهم دور في إعادة تأهيل المخيمات والتجمعات الفلسطينية هناك فالإحصائيات التي تشير إلى وجود ما يقارب 430 ألف فلسطيني في سورية إلى جانب المسؤولية الوطنية والاجتماعية تلقي على كاهل جميع الناشطين والمؤثرين المسارعة إلى تقديم المشاريع والمبادرات التي من شأنها إعادة الحياة إلى تلك المخيمات وبث الأمل في تلك النفوس وتعزيز الانتماء والتمسك بالهوية.

بالنسبة لفكرة إقامة متحف فلسطيني في سورية والذي يلعب دوراً مهماً في حفظ التراث والذاكرة الجمعية للشعب الفلسطيني فوجهة نظري أنها ممكنة وقابلة للتحقق وربما تشكّل نجاحاً أكبر من ناحية الوفر والغنى في المحتويات الممكن عرضها على اعتبار أن سورية بلد لجوء أول بالنسبة لآلاف الفلسطينيين الذين حملوا معهم الوثائق والأدوات والمفاتيح وغيرها من الأشياء التي كانت بحوزتهم في مرحلة ما قبل النكبة..

• الناشط الفلسطيني السوري باتر تميم:

- يعيش معظم الفلسطينيين في تركيا حياة صعبة لا تلبي طموحاتهم بسبب هشاشة وضعهم القانوني وتعقيداته وذلك لغياب القانون الذي يُعرّف من هو «الفلسطيني السوري» مما ينعكس سلباً على وضعه المعيشي والخدمي.

- سقوط نظام الأسد أسعد الفلسطينيين السوريين في تركيا كونه السبب الأول بتهجيرهم بعد قصف مخيماتهم وتدميرها تدميراً ممنهجاً، والتضييق عليهم مما دفعهم للهجرة، كما يتوسمون خيراً بالحكومة الانتقالية بعد تعيين عدد من فلسطينيي سورية بمراكز حساسة مثل منصب وزير النفط، آملين إلغاء بعض القوانين التي ضيّق بها النظام السابق عليهم كقانون التملك العقاري.

- موضوع العودة إلى المخيمات يختلف من فلسطيني لآخر حسب الظروف الشخصية فعدد منهم دمّرت منازلهم وخسروا أرزاقهم فلا يوجد مأوى يعودون إليه، كما يوجد عائلات فلسطينية عادت فعلاً وعدد آخر يتجهز للعودة.

- المؤسسات الفلسطينية وُجدت بسبب معاناة هذا الشعب ويجب عليها خدمته قدر الإمكان لا سيّما بالمساعدات المادية لتغطية أجور حافلات النقل للعودة إلى سورية وهي العائق الأكبر أمام العائلات الفلسطينية، كما يجب عليهم التواصل مع الجانب التركي لضمان تسهيل عودة الراغبين من الفلسطينيين السوريين من المعابر البرية بعد أن شهدنا منع دخول عدد منهم بحجة أنه يمنع دخول الفلسطيني حتى لو كان من مواليد سورية.

- فكرة العودة إلى سورية شبه محسومة لكن تجري دراسة كيفية تخطي بعض العقبات القانونية والمادية.

خلال دردشة جماعية مع بعض الفلسطينيات السوريات أجمعْنَ على رغبتهن بالعودة إلى المخيمات التي غادرنها لكن بعض العقبات تحول دون ذلك:

- تقول أمل أنها حضرت مع زوجها وأطفالها الثلاثة قبل 10 سنوات بهدف المتابعة إلى الغرب... غادر زوجها قبل عامين إلى ألمانيا ولم يحصل على الإقامة حتى الآن! مع تغيير النظام باتت في حيرة من أمرها هل تعود إلى مخيم اليرموك لبيت متهالك ومن الصعب ترميمه، أم تنتظر أوراق لم الشمل؟!

- طرحت زهرة مشكلة تعليم ابنتيها اللتين درستا باللغة التركية ولا تعرفان الكتابة بالعربية وهما بالمرحلة الإعدادية والثانوية، محتارة هل تعود معهما وتتفتح جروحهن لعدم العثور على زوجها في المعتقل!.

- تحدثت عفاف عن مشكلتها المزدوجة « مادية واجتماعية « فقد سافر زوجها قبل سنوات إلى النمسا على أمل اللحاق به لكنه طلّقها وارتبط بغيرها، تعيش مع ابنها «15 سنة « الذي ترك الدراسة والتحق بالعمل، وهي تعمل بورشة خياطة، مترددة بالعودة حالياً قبل استقرار الوضع وتوفر المستلزمات الضرورية خاصة وأن البيت في المخيم باسم زوجها الذي رفض أن تستقر فيه مع الابن كون شقيقته وعائلتها يعيشون فيه!.

- أم أكرم أفصحت عن مشكلة العائلة فزوجها عامل ولديهما طفلان وطفلتان بالمدارس العربية، تشجعوا جداً للعودة بعد انتصار الثورة لكن صادفتهم المشكلة المالية وأجور الطيران، تتمنى فتح باب العودة برياً لأنه أقل تكلفة، مازالوا بانتظار الفرج من المؤسسات أو الهيئات الفلسطينية لإيجاد حل!..

غيض من فيض مما تشعر به العائلات الفلسطينية السورية في تركيا والتي تعيش بترقب وحذر مما ينتظرهم خاصة مَن يقيم فيها بشكل مخالف ويتطلب تدخل المؤسسات الرسمية الفلسطينية للتواصل مع الحكومة التركية وتوفير الحلول المطلوبة لعودتهم إلى المخيمات أو المناطق السورية المختلفة حيث مكان إقامتهم السابق.. واستعادة حقهم بخدمات الأونروا التي انقطعت عنهم بعد لجوئهم إلى تركيا..

أمل ورجاء بالمستقبل وانخراط اللاجئ الفلسطيني مجدداً بالمجتمع السوري في ظل تحديث القوانين المؤدية للاستقرار والتطوير مع التأكيد على حق العودة الذي أقرته كافة القوانين والشرائع الدولية.

المثقفون الوطنيون الفلسطينيون، والقائمون على الثقافة الفلسطينية، صراع أم تجاذب!؟

بسام عليان كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني سورية

الإنسان من حيث التكوين والخلق مبني وفق إمكانات تحددها مجموعة من السلطات أو المحركات، هذه الأخيرة تكاد تخرج عن سياق إرادته الفردية لترتبط بالإرادة الجمعية التي تؤلف وعي البشر وتحيط جميع تصوراتهم، ومن ثم تتحدد هناك الأطر والأنظمة التي تحكم هذا السلوك أو ذاك حسب طبيعة المجتمع وما يحمل من تراكمات وأحداث تاريخية ومعرفية وإمكانات راسخة الجذور سواء تلك المؤصل فيها وعي العنف وجميع ترددات الذات البشرية التي لا تعرف التسامح مع الذوات الأخرى أو تلك التي تنتمي إلى وعي الحرية والتمدن والإيمان بالإنسان كقيمة عليا سامية، فالثقافة من حيث تركزها لدى الإنسان تؤدي الفعل الحضاري الذي يعمل على عدم تشظي الإنسان إلى بؤر ومراكز تحد من سيطرته على مجمل ما يحيطه من أفعال وأحداث وإمكانات تقوده إلى مجموعة من الأشكال والصور المختلفة والمتناقضة فيما بينها، وهكذا وفقا لرسوخ الثقافي داخل المجتمع وقدرته على تأسيس الشروط التي تساعد على تأصيل الحضارة والفهم الإنساني الأفضل القائم على الحوار واللقاء والتكامل مع المختلف أكثر من تأسيس قابليات للرفض والإقصاء، ومن ثم ممارسة التطرف والعنف إزاء الأفراد عموما.

وسأنطلق من هنا؛ للتماهي في وضع الثقافة الوطنية الفلسطينية الراهنة؛ التي تحملنا بعطاء المثقف الوطني الفلسطيني وريادته إلى فضاءات عربية وعالمية جديدة. فالثقافة الوطنية ومبدعوها على مر الأجيال قديمها ووسيطها وجديدها، حملت، وحملوا جميعا راية الدفاع عن الهوية والشخصية الوطنية، وحموها بسياج إبداعاتهم، وأغنوها يوما تلو الآخر بعطاءاتهم ونتاجاتهم. كما كانت الثقافة الوطنية وروادها على مر سني التاريخ المعاصر منذ ما قبل نكبة العام 1948 وأثناءها وما تلاها الحصن الحصين، الذي ذاد عن الشعب والأرض والقضية والهوية الوطنية. لأن المشروع الكولونيالي الصهيوني شاء ومازال يسعى القائمون عليه لتبديد وتصفية القضية الوطنية وإلغاء الحقوق السياسية للشعب العربي الفلسطيني، بهدف إسقاطه من الخارطة الجيوبوليتكية في المنطقة. لكن الثقافة الوطنية كانت، وما زالت بالمرصاد لكل طغاة العصر والأعداء من مختلف بقاع الأرض، وخاصة دولة الابرتهايد العنصرية الإسرائيلية وحماتها في الغرب الرأسمالي عموما والأميركي خصوصا.

فروح وحاجة الثقافة الوطنية الفلسطينية؛ تظل عطاء متواصلا، وفعلا دائما، وإنتاجا متجددا على مدار الساعة غير منقطع. وبالتالي يكون المطلوب من القائمين على المؤسسات الثقافية أكانت رسمية أو أهلية؛ إعادة نظر جدية في آليات التعامل مع المثقفين والثقافة الوطنية. لا سيما وأن عملية الخلق والإبداع للمثقفين والفنانين والمبدعين من مختلف المشارب وألوان الطيف الثقافي والفني والمعرفي، هي عملية متواصلة مستمرة لا تنقطع بغياب أحد أو انقطاع أحد عن الإنتاج الثقافي المعرفي. فكل إنتاج ثقافي داخل فلسطين التاريخية وفي الشتات يشكل منارة مضيئة لكل الفلسطينيين.

الثقافة الوطنية والقائمون عليها، عليهم مسؤولية الارتقاء بدور الثقافة والمثقف، وتعميق عملية التأصيل لها في المجتمع الفلسطيني، لمواجهة التحديات المطروحة على الشعب الفلسطيني، وخاصة التصدي للاحتلال الذي يمثل أُس كل الجرائم والظلم التاريخي الذي طال الشعب العربي الفلسطيني، ومازال يرتكب أبشع الانتهاكات وأعمال البطش وإرهاب الدولة المنظم، وهو المنتج، والداعم لعملية التمزيق والانقسام التي يعيشها الشعب الفلسطيني، بهدف تصفية القضية الفلسطينية. وتعتبر الثقافة الوطنية هي الجامع لكل الفعل الثقافي والفني والمعرفي ومطالبة ومعنية بالتصدي بقوة للاحتلال، من خلال إعادة الاعتبار لوحدة الأرض والشعب والقضية والنظام السياسي الديمقراطي التعددي، لدفع الأهداف الوطنية خطوة نوعية للأمام. لاسيما وأن الشعب الفلسطيني امام استحقاقات سياسية هامة، ما يضاعف من مسؤولية المثقفين والفنانين وعموم المبدعين الفلسطينيين في الوطن والشتات لدعم القضية الفلسطينية.

ولتقوم الثقافة الوطنية وروادها بالدور المناط بهم؛ كما يقع على القائمين على الثقافة الوطنية الفلسطينية، تقديم الدعم غير المحدود للثقافة، والكف عن سياسة قطع اليد. تلك السياسة الخاطئة والخطيرة وغير المتبصرة، والتي أدت وما زالت تؤدي إلى طغيان ثقافة الظلام المعادية للثقافة والمعرفة والمعادية قبل كل شيء لقضية الشعب الفلسطيني العادلة، وساهمت من حيث يدري القائمون عليها أو لم يدروا بالوصول إلى نتائج وخيمة مست بالمشروع الوطني الفلسطيني.

إلى من لا يعرف أو يعلم فإن دعم الثقافة الوطنية الفلسطينية، وتعزيز دورها التنويري شكل ويشكل محور الرحى في النهوض بالمجتمع والشعب الفلسطيني في مجالات الحياة المختلفة، بدءا من مجابهة الانقسام وصولا إلى وأد الاحتلال الإسرائيلي وتحقيق الأهداف الوطنية في الحرية والاستقلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وذات السيادة، وما بينهما من أهداف اجتماعية واقتصادية وقيمية، يقف على رأسها محاربة الفساد واللصوصية وكل عمليات القهر والاستغلال الاجتماعي والثقافي والوظيفي.

في الحاجة إلى أدب فلسطيني جديد

أحمد علي هلال- ناقد أدبي فلسطيني سورية

تُرى هل يحتم الواقع الفلسطيني المتجدد وعلى غير مستوى، بمآلاته وصيروراته، على الأدب والإبداع الفلسطينيين خطاباً جديداً يأخذ في الحسبان تغيراً في الأدوات والمفاهيم؟ ولهذا الخطاب المنشود الذي نتوسله أن يذهب إلى صوغ رؤيا بما حدث مفتتحاً فصلاً جديداً في مسار التراجيديا الفلسطينية، بل أكثر من ذلك مقاربة الانعطافات الجذرية التي فرضها -الواقع- على منظومة التفكير والتعبير، إذ السؤال هنا سيطاول أقلام الكتّاب والمبدعين والأدباء وشكل رؤيتهم الجديد، تماماً كما فعلت الانتفاضات الفلسطينية فعلها في إحداث نقلة نوعية في مسار خطاب إبداعي أعاد الوهج والألق والزخم، لنصوص إبداع حية كتبتها أقلام كثيرة سعت جهدها كي تقبض على دالة فلسطين في الوعي الفلسطيني أولاً، ومن ثم في الوعي العربي والإنساني الجمعي.

ويمكن لمن قرأ تلك الكتابات التي أبدعتها مخيلات المبدعين، ولا سيما أجيال الحساسية الجديدة -الشباب- وعلى مستوى توزعهم الجغرافي في فلسطين (غزة والضفة وفلسطين 48 والشتات) أن يقف على جملة من الحقائق الدالة في معانيها وسياقاتها، ومنها ما اشتقه أولئك المبدعون من تخطي عتبة الألم إلى صوغ نشيد مديد للألم، فضلاً عما كتبه الأدباء الشهداء على اختلاف أجيالهم، من كتابات لم تعد تكتفي باستظهار الواقع الفلسطيني وتناقضاته وتماثلاته، بل تجاوزت ذلك بحثاً عن رؤيا توحد الأفكار والأقلام، وتعود لتشييد الوطن من الواقع إلى اللغة، في انفتاح أكثر على دلالة الوعي الجديد، ولعل ذلك ما يقودنا إلى سؤال الطوفان الكبير بتعدد مستوياته وانعطافاته وقراءاته فكراً وإبداعاً على وجه الخصوص، حتى ليمكننا القول: إن الأدب الفلسطيني الجديد سيتطير من كونه محض أطروحة وحسب، أو مجرد بحث عن نظرية جديدة تعني الأجناس والأنواع الإبداعية ولا تعني سواها، وبالقياس ستضمر هذه الكتابات كل ما يؤهلها لتجسد أدب الحياة، الذي رأيناه عند كوكبة من مبدعينا الأسرى داخل سجون الاحتلال وخارجه، أي أنها بصدد صوغ سردية جديدة لن تتخفف من الوعي الجديد المتماسك في خطابه، والساعي إلى تكريس هويته على نحو يعزز الشخصية الفلسطينية، بل الكيانية الفلسطينية والوجود الفلسطيني المهدد على الدوام، بالنفي والاقتلاع والتذويب والتطهير العرقي.

ولعلنا الآن وفي لحظة فارقة في مسار وعينا بذواتنا، وعي يتضاعف ويفرض إيقاعه ليعطي المعنى في تدوين الذاكرة الجمعية، ومضارعة استعمار العقل قبل الأرض، كما سعى الغزاة لاحتلال الذاكرة أيضاً، سواء بالقوة الناعمة أو بالقوة الخشنة، لتذويب وطمس فكرة المقاومة في وعي أجيالنا الفلسطينية المتعاقبة.

أدب فلسطيني جديد يعني خصوصية ما تحدد هذه الخصوصية سماتها وخصائصها، في ضوء رؤى الأقلام المبدعة، التي تعيد اكتشاف فلسطين، وتتكثف في سياقاتها ومتونها الإبداعية اسهامات وخطابات تجيد المرافعة عن الحق الفلسطيني بما تبتكره وتجترحه من أسلوبية جديدة، وكذلك بما تسعى إليه من إيجاد معادل جمالي أكثر منه واقعي، وفكري أكثر منه استجابات عاطفية، وستندغم سرديات غزة بسرديات فلسطين كلها في تشكيل إبداعي جديد، سنشتق منه سمات حساسية مختلفة، أدلها حساسية اكتشاف فلسطين والعبور إليها، وتفكيك السردية المضادة، عبر تمثيلات الوعي والجسارة وجعل

المقاومة فضاء طليقا، يجدد معنى الحياة ويستنبتها من بقايا بيت تهدم، وأشجار احترقت، وشهداء يعودون، وشمس مازالت تشرق كل صباح، وامتداد جدارية الحنين وليصبح الحنين إنساناً، ومنذ أن كتب نصر جميل شعث الشاعر الفلسطيني ابن خان يونس في قطاع غزة: (خاطف الغزالة يتعثر بالأعشاب التي تأكلها)، وكتب سواه من المبدعين الشباب من أمثال نجوان درويش (القدس)، وطارق الكرمي (طولكرم)، وريم غنايم (باقة الغربية)، وسواهم ممن دشنوا حقيقة الأدب الفلسطيني الجديد، كان سؤال الحساسية يرسم أفقاً مغايراً للمعتاد والنمطي فيما مضى، من خطابات إبداعية، في رحلته للبحث عن الجذور ومقارعته لغزو الفكر واللغة والثقافة، وبذلك كان يدفع بوصلة المعنى لاجتراح الحياة رغم ألف مجزرة وموت (ألسنتنا جذورنا)، كما يقول مبدع شاب يضاعف جرعة الوعي بالكتابة لتصبح هوية، ومثوى كينونة، وحالة دفاع

مستمر عن الوجود، فليس الواقع إلا رؤيا يجيد التقاطها المبدع بحساسيته ورؤيته وقدرته على مضاهاة الواقع بالتخييل، ومضايفة الألم بالأمل.

إذن سنقرأ في مدونات قادمة، ما يعني صعود الحلم إلى فلسطين التاريخية بممكنات المقاومة الثقافية، التي تجدد في عنواناتها، ولتمنح الصراع مديات أكثر اتساعاً.

إذ لم يعد سؤال الهوية ناقصاً أو مرتجلاً أو إنشائياً، سؤال يسعى دائماً وأبداً إلى تكافؤ بنيوي بين الحلم والواقع، وبين الطموح بالخلاص والتحرر، وبالقراءة العميقة والفاحصة للثوابت والمتغيرات، ودون تجاوز المحنة الفلسطينية بدراميتها المديدة، ترجمة لما اصطلح عليه بأننا مسكونون بفلسطين، وهذا (السكن) سينتقل من دلالته الحلمية إلى دلالته الواقعية، التي تحرر المعنى في إنتاجية إبداعية فلسطينية ملهمة وغير متسرعة، من شأنها وعلى أيدي بناة الروح أن تذهب أكثر في تشييد المعنى ولفظ إكراهاته، لأن فلسطين في الوعي الإبداعي الجديد وفيما نتوسله من أدب جديد أيضاً، هي الحقيقة المتأبية على النسيان أو الصمت، فهي تحيا مع كل حرف يزهر في سفر مبدع، وكل معنى يشتعل في وجدان كل كاتب، وكل ذلك سيعني في المنظور الثقافي الأشمل، استعادة ناجزة لكل الأسئلة التي ترقى برؤى المبدعين، ولا تنخطف إلى الماضي فحسب، بقدر ما ترسم أفقاً مستقبلياً يليق بأجيال الشهداء والشهود الذين يعودون.

لطالما ردد طارق الكرمي: (أرض فلسطين هي سماء النص) التي تعيد تكوينه واستنباته كحقيقة أولى وأخيرة، إذ يقول: (إنها السماء التي يتنزل فيها النص، وهي المخبأ الأول، وهي ما يعطيني مادتي الخام الأولى للكتابة، لا أقول الحنين هو للمكان، لكن المكان يشكل اللغة الأولى والانطباع الأول للعالم، وأنا أظل في استعدادات دائمة نحو أرضي فلسطين).

إذن هو الأدب الجديد الذي من شأنه أن يعيد رواية الحياة وسردياتها المدهشة، أبعد من مرافعة تاريخية، إلى اجتراح مقاومة عابرة للمقاومة.

غاب مبدع الفانتازيا التاريخية» هاني السعدي»

بسام سفر- كاتب وإعلامي سوري

رحل عن عالمنا الكاتب الدرامي والممثل الفلسطيني هاني السعدي ابن مدينة صفورية المحتلة من قبل الكيان الصهيوني الذي لجأ مع عائلته في عام النكبة 1948 إلى سوريا وكان عمره أربع سنوات. ويأتي رحيله بعد معاناة وصراع طويل مع المرض في أوساط شهر شباط من العام الجاري، عن عمر يقارب 81 عاماً، عمل منها 65 عاماً ما بين السينما والتلفزيون والمسرح والإذاعة، ولديه خمسة صبايا عملت منهن روعة وربى في مجال التمثيل.

كانت بدايته في عالم السينما بفيلم» بوابة الغزلان « في العام 1969, مع المطربة سميرة توفيق وناجي جبر وياسين بقوش، وعمل في المسرح السوري في العديد من الأعمال المسرحية منها» رأس المملوك جابر، حفلة سمر من أجل خمسة حزيران»، للكاتب سعد الله ونوس والمخرج علاء الدين كوكش وعدد من المسرحيات مع المخرج العراقي جواد الأسدي التي قدمها المسرح الوطني الفلسطيني.

وفي السينما شارك في العديد من الأفلام منها» الحدود، حبيبتي يا حب التوت، الاتجاه المعاكس، التقرير والمتبقي» وعمل الراحل ممثلاً في العديد من الأعمال الدرامية منها» أسعد الوراق، أبو البنات وتجارب عائلية»، ليتفرغ بعدها إلى الكتابة الدرامية التي بدأها في» حارة نسيها الزمان ووداعاً زمن الصمت».

الفانتازيا التاريخية:

شكلت الأعمال الدرامية التي سميت» الفانتازيا التاريخية» ماركة مسجلة باسم الراحل هاني السعدي إذ ترافقت فيما أطلقت عليه في الدراما مفهوم الإبهار البصري التي عمل فيها في البداية المخرج السوري نجدت اسماعيل أنزور، وانطلقت فكرة» الفانتازيا التاريخية» مع مسلسل» غضب الصحراء»، الذي كتبه الراحل بناءً على طلب الراحل عدنان بركات ليكتب بعده» البركان» وسلسلة طويلة منها» الجوارح والفوارس» حيث عمدت هذه الأعمال حسبما صرح صناعها إلى قراءة الواقع المعاش من خلال قناع تاريخي فاستعارت من الماضي الديكورات والإكسسوارات واللغة العربية الفصحى، وولفت إسقاطات سياسية واجتماعية عبر حكاية خيالية عناصرها من ترميز الواقع السياسي المعاصر من خلال استعادة التاريخ وتوظيفه في تاريخ سياسي يحاكي الواقع الجغرافي في المنطقة مع تغيرات في التسمية. فالعمل الدرامي» الفوارس» كان ترسيماً لخريطة سياسية مرسومة إذ أن»روما» عوضاً عن «الولايات المتحدة الأمريكية « و» قبيلة ابن أوى «هي الكيان الصهيوني بينما القبائل العربية هي الدول العربية والعرب.

هذه الإسقاطات المباشرة جاءت لتباين المقاصد والمباشرة للعمل من خلال حوار أجرته الصحفية ليلى نصر مع الكاتب الراحل هاني السعدي قال فيه أن مسلسل» مسلسل البركان» كانت فيه هذه الإمكانيات متاحة لأن الدول العربية كانت مشتتة، مثل القبائل في العصور القديمة. فحاول أن يدعي إلى وحدة القبائل التي هي عملياً وحدة الدول العربية المعاصرة للوقوف بوجهة خاصة في وضعنا الحالي، ونحن كعرب لدينا سلاح هام هو البترول وكم هائل من البشر ولكننا لا نستخدمه حتى الآن ورغم النقد الذي قدم إلى هذا النوع الدرامي إلا أن الراحل السعدي قال:» إن قبل انتفاضة الأقصى في العام 2001، كان عندي خوف من المحطات العربية التي تمنع أي شيء عن القضية الفلسطينية كوننا في مرحلة سلام ولا يريدون تقليب المواجع وإثارة القضايا من جديد لذلك لجأت في هذه الفترة إلى كتابة (الجوارح والموت القادم إلى الشرق) بشكل مبطن».

ولكن الطلب على دراما الفانتازيا التاريخية لم يتوقف في تسعينيات القرن الفائت حيث عمل الراحل السعدي على مسلسل» الكواسر» لمركز دبي للافتتاح الفني في الإمارات الذي باعه للعديد من المحطات الفضائية الخليجية والعربية.

وأيضاً أنتج في العام 2023 مسلسل» فرسان الظلام وذئاب الليل « من تأليف الراحل السعدي وإخراج سامي جنادي وبطولة « سلوم حداد، نادين خوري، مهيار خضور، لجين إسماعيل، رشا إبراهيم، عامر العلي، ربى السعدي، رنا جمول، فيلدا سمور، زيناتي قدسية، محمود خليلي، غسان عزب وهناء خضور» وعدد كبير من الممثلين والممثلات.

أن المسلسل يتناول مدينة تحاصرها قوى الشر والهلاك تنشأ فيها قصة حب بين سلمى وزيد لكن مع وجود أبو الدهماء الذي يعجب بسلمى ويتزوجها غصباً عنها ويحاول زيد الانتقام بعد أن عمل أبو الدهماء على تعزيز الفساد في المدينة بمساعدة كبير الحرس أبو الدوق والمشعوذ أبو الحكم».

ورغم المرض الذي كان يعاني منه الكاتب الراحل إلا أن أعماله الدرامية لم تتوقف حتى في المواسم الدرامية الأخيرة.

الدراما الاجتماعية:

بعد موجة الفانتازيا التاريخية عاد الراحل إلى كتابة المسلسلات الاجتماعية وكانت سلسلة من هذه الأعمال منها» أبناء القهر، قتل الربيع وعصر الجنون» حيث عمل فيها على وصف الواقع الحياتي السوري في تلك المرحلة معتمداً على بناء حكائي يحذر من الوقوع المشاكل التي تفشت بين الشباب السوري والفلسطيني في ذاك الزمن.

وقدم أيضاً مشكلات اجتماعية خطيرة تنخر في المجتمع السوري مثل مرض الإيدز في» أبناء القهر» الذي وصل إلى شخصية (نوار - ميلاد يوسف) إذ تتأثر العائلة والمحيط بما يمر به المريض.

أما عالم المخدرات فقدمه في مسلسل»عصر الجنون»، ولعب الفنان بسام كوسا دوراً كبيراً في تقريب المسلسل من المشاهدين فالشباب في هذا العمل الذي يدخلون هذا العالم بعيداً عن محيط الأهل والأقارب في عالم خاص بهم، وجاءت معالجات الأعمال الاجتماعية كدراما هادفة لتلعب دوراً في توعية جيل الشباب من ظاهرة المخدرات(حشيش - هيروئين)، التي تغلغلت في عالم الشباب.

ولا يقف عند حدود الظواهر الاجتماعية الشبابية بل يتعداها إلى الهموم الاجتماعية في الواقع السوري من خلال البطالة في مسلسل» قتل الربيع» الذي يتحول به الشباب(مازن- ميلاد يوسف) إلى لص سيارات فيدخل السجن إلى جانب عدد من شخصيات العمل مثل(طارق - سامر المصري)، ونادين خوري.

وظهرت في أعماله الاجتماعية هموم الآباء والأهل عبر الخوف يتسلل إلى نفوس العديد من الفئات الاجتماعية منها المراهقين والمراهقات، وقد ظهر ذلك في حياة عدد من الطالبات في الثانوية العامة بقصة (فاديا- ليليان الأطرش) في عصر الجنون التي تتزوج صغيرة عرفياً دون علم إخوتها وتحمل وهي في المدرسة. ويعالج الراحل السعدي أزماتها بعيداً عن المصير الذي تلقاه كل فتاة تتبع هواها.

أن معالجات العنف المجتمعي التي قدمها الراحل السعدي تصور حياة الإنسان السوري والفلسطيني المقهورة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً في تحدي للزمن الذي كان فيه هذا العنف جزء يومي من الحياة في سوريا وفلسطين والمنطقة العربية.

أخيراً كل التحية لروح الكاتب الفلسطيني هاني السعدي على ما قدمه للمشاهد العربي في فترة من أشد فترات الظلمة في حياة الإنسان الفلسطيني والسوري.

كتّاب غزة الشهداء (1)

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

إنّ رواية الـ (قصة)، بالنسبة إلى الفلسطينيين، تعني التذكّر ومساعدة الآخرين على التذكّر وتشجيعهم على ذلك وتحذيرهم من النسيان وإدانته؛ لهذا تركّز القصص الفلسطينية (الغزاوية) في معظمها، إن لم يكن كلها، على التفصيلات الدقيقة، والدقيقة جداً، في محاولة لنقش التحدّي للفظائع والويلات ولحظات الأمل النادرة التي تتضمنها القصص في ذاكرة الكتّاب وذاكرة الناس الذين تطحنهم الحرب بآلتها، ولأنّ الذكريات تشكّل جزءاً كبيراً من عالمنا، فإنّ رواية هذه الذكريات على هيئة قصص هي فعل مقاومة ضد الاحتلال الصهيوني الذي يبذل جهوداً حثيثة لاجتثاث الروابط بين فلسطين والفلسطينيين وتدميرها.

والكاتب الفلسطيني (الغزاوي) يعتقد أنّ النسيان فضيحة، مثل الاستسلام للعدو؛ وهو على يقين من أنه سيكون ثمة حياة بعد العدوان والاجتياح، وأنه ينبغي لنا، نحن الفلسطينيين، أن نملك روايتنا الخاصة، لأنّ لا أحد سوانا يمكنه إظهار الألم العميم والمعاناة الباهظة التي فُرضت علينا؛ ولأنّ غزة تنتمي إلى المدن التي لا تموت مهما أمعنوا في قتلها. يقول هاملت شكسبير: عندما تكون شخصية ما على حافة الموت، فإنّ رغبتها النهائية هي رواية الـ»قصة». وبالتالي فإنّ رواية القصة نفسها تصبح فعل حياة، وفي الأدب العالمي والعربي شواهد كثيرة على أدباء حوّلوا تلك الرغبة النهائية إلى فعل حياة، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

في حرب الإبادة الأخيرة على غزة فإنّ الكتاب الشهداء الذين كتبوا قصتهم الأخيرة قبل الاستشهاد أكثر من أن تحيط بهم مقالة؛ لأنهم كتبوا بالدم قبل الحبر تلك اللحظات الأخيرة التي أصبحت فعل حياة بعد رحيلهم، فاستُشهد كثير من الشعراء والروائيين وكتّاب القصة والباحثين والمؤرّخين والفنانين والرسّامين، ومعظمهم اُستشهدوا مع عوائلهم، من مثل: عبد الكريم عيد الحشاش، د. جهاد سليمان المصري، يوسف دواس، مصطفى الصواف، د. سفيان تايه، هبة زقوت، حمزة أبو قنيص، محاسن الخطيب وغيرهم كثير.

أمّا في تخصيص الحديث هنا عن الأدباء، فإنّ من أوائل الكتّاب الشهداء وفي اليوم الأول، يوم السابع من أكتوبر، الشاعر الشهيد عمر فارس أبو شاويش، حين قام طيران المجرم الصهيوني، دون سابق إنذار أو تحذير وبشكل جنوني، باستهداف منزله في مخيم النصيرات للاجئين. وفي روايته الأخيرة «على قيد الموت» أعلن أبو شاويش أنه: على مفترق وجعٍ كانت ثنايا الروح متناثرة، كنتَ أنتَ هناك ترثي أحلاماً بائدة، وأنا أمرّ لألملم بعضاً من جراحاتي، تلك التي عوّدتني الحياة أن أحتفظ بسرها، فكما للفرح سرّ، للوجع أيضاً أسرار.. لقد أكّد من خلال تلك الرواية على أنّ فكرة الصمود هي فعل إنساني يستهدف إعلاء قيم الحياة.

وخلال حياته القصيرة (37 عاماً)، حرص أن ينقل إلى العالم الواقعَ الصعب الذي نشأ فيه، وقدّم العديد من الروايات التي عبّر فيها عن الدمار الذي لحق بالناس، والشباب منهم خاصة، نتيجة معيشتهم الصعبة تحت الحصار وفي المخيمات. وحصل أبو شاويش على العديد من الجوائز المحلية والعالمية، أبرزها جائزة أفضل أغنية وطنية للعام 2007 ضمن المهرجان الدولي للأغنية الوطنية والتراث بالأردن، وعلى جائزة الشباب العربي المتميز على مستوى الوطن العربي من مجلس الشباب العربي للتنمية المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية، وعلى جائزة قلم الشعراء الدولية في العاصمة الفرنسية باريس من الشبيبة الفرنسية. وهو ناشط مجتمعي بارز وله إسهامات مختلفة على الصعيد المجتمعي والشبابي والثقافي والفكري، وشارك في تأسيس العديد من الجمعيات والهيئات الشبابية.

الشاعر والكاتب سليم مصطفى سليم النفار (1963 - 2023) الذي ولد في مدينة غزة، وعاش في سورية ولبنان وعاد إلى غزة في عام 1994، كان، قبل العدوان على غزة، الشاعر الوحيد الباقي على قيد الحياة من الذين تُدرَّس أشعارُهم في المدارس الفلسطينية، حيث اعتُمدت قصيدته الشهيرة «يا أحبائي» في منهاج التعليم للصف التاسع الأساسي الجديد ابتداءً من العام الدراسي 2017-2018.

اغتيل سليم هو وعائلته في ضربة جوية نفذتها قوات الإجرام النازية على البناية التي لجؤوا إليها في حي النصر في مدينة غزة، واستشهد في الغارة هو وزوجته وبناته وابنه الوحيد مصطفى وأخته وزوجها وأولادها، وبقوا تحت الأنقاض خمسة أيام. وحين اندلعت هذه الحرب الطوفانية، أطلق نداءه الأخير قبيل استشهاده: «نداء نداء، لمن يسمع أو يرى، من أمّة فقدت مكونات الكرامة والرجولة والإباء. نداء نداء، إنّ إسرائيل الدخيلة على مكوّنات أرضنا وتاريخنا، تستبيح دمنا، وتهتك سكون ليلنا بوقاحة قلَّ نظيرها، بينما الصمت العربي والدولي يمارس رياضة صمت مريب، معبّراً عن خيانة القيم الإنسانية والقومية. نداء نداء: هل تفعلون قبل فوات الأوان؟».

صرخة أخيرة باقية أطلقتها الكاتبة والروائية الشابة هبة أبو ندى: «نحن في الأعلى نبني مدينة ثانية، أطباء بلا مرضى ولا دماء، أساتذة بلا ازدحام.. عائلات جديدة بلا ألم ولا حزن، وصحفيون يصوّرون الجنة، وشعراء يكتبون الحب الأبدي، كلهم من غزة، كلهم في الجنة، توجد غزة جديدة بلا حصار تتشكّل الآن». ظلّ الكتّاب وروّاد شبكات التواصل يتناقلون هذه الصرخة كلّ دقيقة منذ رحيلها! وأبو ندى (1991-2023) كتبت القصة والرواية والشعر، وهي ابنة عائلة لاجئة مهجّرة في نكبة 1948، درست في الجامعة، وعملت في التعليم، وحصلت على عدة جوائز أهمها المركز الأول في القصة القصيرة على مستوى فلسطين، والمركز الثاني على مستوى الوطن العربي بجائزة الشارقة للإبداع العربي عام 2016 عن

روايتها «الأكسجين ليس للموتى».

كذلك ظلّت وصية الروائي الشهيد نور الدين حجّاج صرخة توثيقية ضد الإبادة، ومما جاء فيها: «ساعي البريد لن يأتي في ظل القصف المتواصل، والصحف لن تحمل أي خبر جديد، بل ستكتفي بمانشيت متكرر: الشمس لم تعد تشرق، بسبب الرماد الناتج عن تدمير كل المدينة، لكن ربما يصدر خبر موتي في النسخة القادمة». جاءت هذه الوصية في كتاب الروائي والقاص يسري الغول (مواليد غزة 1980) الذي حمل عنوان «شهادات على جدران حبيبتي غزة»، الصادر حديثاً بعد عام من أحداث طوفان الأقصى.

نور الدين حجّاج الروائي الشاب الشهيد (1996-2023)، تمكّن من نشر روايتين: الأولى «غريب وغريبة» القاهرة 2018، والأخرى «أجنحة لا تطير» عمّان 2021 وكان ناشطاً في مبادرة شغف الثقافية وتجمع قرطبة ومؤسسة أيام المسرح.

الكاتبة مريم سمير حجازي ((27 عاماً من مخيم جباليا، أو مريم البتول، كما هو اسمها في بطاقة العائلة استشهدت بتاريخ 22-10-2023 إثر استهداف طيران الاحتلال المجرم منزلاً نزحت إليه عائلة حجازي في مدينة غزة دون سابق إنذار أو تحذير، ما أدى إلى استشهادها وعدد من أفراد عائلتها، وحده شقيقها الذي يعيش خارج غزة نجا وأنقذ العائلة من أن تُمحى من السجلات المدنية كما حصل مع عائلات أخرى اُستشهدت جميعها بالقصف.

في اليوم الرابع للحرب، كتبت مريم على صفحتها: «نفسي أرجع لحياتي الطبيعية.. رسالتي الأخيرة: أريد العودة إلى الليل، أريد التوقف عن مدّ يدي إلى الجدران، الشمس تلدغني.. أين مخبئي؟ أنا في مخاض الكلمات».

أرادت أن تعرف كل شيء، أن تقرأ وتكتب وتستمع إلى الموسيقى، أن تشاهد الأفلام التي تحبها، كانت تنتظر الخريف، تنتظر أكتوبر اللطيف، الذي يشبهها كثيراً، وقد جاء أكتوبر، ليحملها معه، إلى السماء والشمس، بعيداً عن غزة، وبعيداً عن حياتها الطبيعية في أحيائها.

أما الكاتب والشاعر رفعت العرعير، (1979-2023)، فقد كان هدفاً إستراتيجياً حقيقياً، يعرف ما يمكن للقلم أن يقدمه، يحارب بالقصيدة والنصّ، والأخطر هو نقل هذه النصوص إلى لغات أخرى. كاتب شاب سمّاه زملاؤه «صوت غزة»، وكان أحد مؤسسي مشروع «نحن لسنا أرقاماً»، والذي جمع مؤلفين من القطاع ومرشدين في الخارج يساعدونهم على كتابة قصص عن واقعهم باللغة الإنجليزية.

عمل العرعير أستاذاً للأدب الإنجليزي في الجامعة الإسلامية في غزة، ودعم لسنوات طويلة الكتّاب الشباب، وعلّمهم أهمية ترجمة نصوصهم ونقل المأساة الفلسطينية إلى العالم بلغات أخرى، وكان بإمكان العرعير الذي درس الماجستير في لندن والدكتوراه في ماليزيا، ويتقن الإنجليزية كأهلها، أن يبحث لنفسه عن ملاذ آمن في إحدى جامعات العالم، وأن ينجو بأطفاله الستة من آلة القتل الوحشية، لكنه آثر البقاء في غزة ومواجهة عنف الصهيوني بشجاعة الكلمة.

خلال «عملية الرصاص المصبوب أو معركة الفرقان» (2008 – 2009)، كتب رفعت العرعير: «سألتنا أنا وزوجتي، ابنتنا الصغيرة، شيماء، التي كان عمرها خمسة أعوام فقط، سؤالاً لا يزال يذهلني، وأصبح، في عدة مناسبات، سؤالاً يسكنني. ففي غمرة أصوات الانفجارات ورائحة البارود، جاء سؤالها، بصوتها الناعم والمرتجف، كصدمة لكلينا: «مَن الذي خلق اليهود؟» سألتْ، وهي تنظر في عينَيّ، ثم التفتت إلى أمها في انتظار إجابة. ولوهلة، لم يكن أيّ منا قادراً على الكلام، فضلاً عن إجابة سؤالها. وفي غمرة ذهولي، عرضت أن أروي لها قصة، وتبعتْها قصص أُخرى. إن لم أستطع أن أجيب عن سؤالها، فقد عرفت شيئاً واحداً، وهو لماذا كبرت شيماء بما يكفي، في أسابيع قليلة، لتسأل مثل هذا السؤال البليغ. لا بد من أنها فكرت في أن الله الرحيم المحبّ الذي تعلّمت عنه في الروضة، والذي يحمي عادة الطيبين في قصص أمها، لا يمكن أن يكون هو الله نفسه الذي خلق ماكينات القتل التي لم تجلب لنا، على امتداد أيام وليالٍ، إلّا الموت، والفوضى، والدمار، والدموع، والألم، والخوف».

في الحرب الأخيرة (طوفان الأقصى) تركت قصّته وقصيدة إعلان موته (إذا كان لا بدّ أن أموت)، الأثر الكبير في عشرات الآلاف حول العالم، وأبكت قلوب زملائه المبدعين في فلسطين، حتى لو لم يكونوا من أهل غزة، ولم يسمعوا به إلا عقب رحيله. ومنذ لحظة استشهاده بسبب القصف الصهيوني الذي استهدف منزل شقيقته مباشرة، لم تنقطع قصيدته عن الألسن، فالممثّل الاسكتلندي «براين كوكس» ألقى قصيدة رفعت العرعير الأخيرة. كما ردّدتها شابة وناشطة أميركية في مقطع مصوّر، ومازال المقطع يحظى بتداول واسع في وسائل التواصل الاجتماعي، كما خرجت مسيرات في مدن العالم تحمل صوره وتدعو إلى وقف الحرب على غزة، وفي معرض الكتاب الوطني في روما، نهضت فتاتان مناصرتان لفلسطين لإلقاء القصيدة أمام الجمهور.

كان العرعير واعياً بأن تكون قصيدته باللغة الإنجليزية، كي تطير وتحلّق عبر العالم كله، وحريصاً أن يضمّنها حكاية شعبه ومأساته، آملاً أن تتحوّل أرواح الضحايا إلى طائرات ورقية ملوّنة تسعد أطفال غزة! فأصبح العرعير وقصيدته أيقونتَين متلازمتَين، ولعلّ جمالية النصّ أنه جاء خلواً من الميلودرامية ورثاء الذات، ومفعماً بأمل شفيف في الخلاص من كل هذا، شرط أن تصل الحكاية إلى الناس كلهم. وما تزال أفكاره وكلماته طليقة وباقية، تخلّد اسمه في التاريخ بعد أن استشهد على يد الاحتلال الصهيوني. وظلّ يكتب حتى الدقيقة الأخيرة ما قبل استشهاده، فنقل ورثة الأدب من بعده قصيدته الأخيرة وترجموها إلى لغات أخرى، ليخبروا العالم من جديد أنّ أصحاب القلم لا يموتون، وستظلّ نصوص العرعير وغيره من الكتّاب الشهداء تتردد كما بقيت نصوص عبد الرحيم محمود وغسان كنفاني وغيرهما.(يتبع)

قيس الزبيدي

مخرجاً.. ومصوراً.. ومونتيراً.. وناقداً.. وباحثاً في الفن السينمائي

يرحل بعيداً عن الوطن

موسى مراغة صحفي وإعلامي فلسطيني - سورية

فقدت الأوساط الثقافية والفنية وعالم السينما بشكل خاص علماً من أعلامها. ورائداً من رواد صناعة الصورة والفيلم السينمائي. مخرجاً ومصوراً ومونتيراً وباحثاً في دنيا الفن السابع.. قيس الزبيدي الذي أغنى الأرشيف السينمائي بالعديد من الأفلام والتحف السينمائية خاصة في مجال الفيلم التسجيلي والوثائقي. ورفد المكتبة السينمائية بالكثير من الكتب والمؤلفات والأبحاث التي تناولت هذا الفن في مجالات كتابة السيناريو ودليل المخرج السينمائي وفن صناعة الصورة والمونتاج السينمائي.. المخرج والمصور السينمائي العراقي المولد والفلسطيني الهوى قيس الزبيدي.. وهو المولود في بغداد في العام 1939..

والذي انخرط مبكراً في العمل في السينما الفلسطينية التي انطلقت على أيدي كوكبة من الشباب الفلسطيني الذي رفد الثورة الفلسطينية المقاتلة بسلاح لا يقل أهمية عن البندقية والرصاصة في معركة الشعب الفلسطيني ضد العدو الصهيوني الغازي لأرض فلسطين الذي أقام كيانه المصطنع بعد أن قتل وهجر أبناء الشعب الفلسطيني من أرضه.

وكانت تلك السينما النضالية قد أرخت لنضال الشعب الفلسطيني وثورته وصورت المقاتلين، وعكست من خلال الأفلام السينمائية نضالات وتضحيات شعب فلسطين، وأكدت على هويته وحضارته وحقه التاريخي في العودة وتقرير المصير مثل باقي شعوب الأرض.

وإلى جانب تلك الثلة من السينمائيين الفلسطينيين الذين أسسوا لانطلاقة السينما النضالية الفلسطينية، ووضعوا اللبنات الأولى من خلال بعض الأفلام السينمائية الوثائقية وذلك بعد انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة في عام 1965، وبعدها بسنوات قليلة وفي أوائل السبعينات كانت أولى إرهاصات تلك السينما تولد على يدي المخرج مصطفى أبو علي وهاني جوهرية وسلافه مرسال جاد الله. إلى جانب أولئك السينمائيين الفلسطينيين الذين بدؤوا بتلك المسيرة انضم إليهم عدد من السينمائيين العرب الذين دفعهم الواجب الوطني والقومي للمساهمة في دعم الشعب الفلسطيني وحقه في النضال والمقاومة فكان لأولئك الشباب العربي التقدمي الكلمة والفعل برفد الكادر السينمائي الفلسطيني الشاب الذي انبرى لتأسيس السينما الفلسطينية النضالية فانخرطوا معهم في هذه المعركة النضالية المشرفة من أوائل أولئك كان المخرج والمصور والمونتير والباحث قيس الزبيدي الذي يعد من أبرز السينمائيين العرب الذين عملوا في السينما الفلسطينية ورفد هذه التجربة النضالية بعدد كبير من الأفلام الوثائقية التي كانت علامات بارزة في مسيرة السينما الفلسطينية، تلك الأفلام التي صنعت بحرفية عالية وأسلوب فني متميز وعرضت في الكثير من المحافل والمهرجانات وأحدثت نقلة نوعية في صناعة الفيلم الوثائقي الثوري الذي كان له أبلغ الأثر في نفوس المشاهدين والنقاد على حد سواء خاصة وأن الزبيدي أتى من خلفية سينمائية أكاديمية وخبرة علمية وعملية جعلت إنتاجه السينمائي يحظى بالاهتمام والإعجاب ويسجل تقدماً سريعاً في مسيرة الفيلم التعبوي الحامل لرسالة الثورة المؤكد على حتمية الانتصار.

قيس الزبيدي مخرجاً:

يعد المخرج قيس الزبيدي من أوائل السينمائيين العرب الذين صنعوا الأفلام التي ناقشت الحق الفلسطيني، وله منجزات سينمائية كثيرة متعلقة بالقضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني.

قيس الزبيدي الآتي إلى الصناعة السينمائية على خلفية صلبة ودراسة أكاديمية متعمقة في الفن السابع فهو الحاصل على شهادة جامعية في المونتاج السينمائي من المعهد العالي للسينما والتلفزيون من جمهورية ألمانيا الديمقراطية في أواسط ستينيات القرن الماضي، واتبع دراسة المونتاج، بدراسة التصوير السينمائي في نفس المعهد وذلك في أواخر الستينيات، وبعد أن أنهى دراسته الأكاديمية التحق للعمل في مؤسسة السينما الألمانية للأفلام الوثائقية والتسجيلية ومن ثم في المعهد العالي للسينما، حيث عمل في حقول التصوير والمونتاج والإخراج، ورغم دراسته وإقامته الطويلة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، إلا أنه انتمى إلى فلسطين وأنجز أفلاماً عن مأساتها ونضالات شعبها.

بعد أن أنهى دراسته في ألمانيا الديمقراطية عاد قيس الزبيدي إلى سورية وعمل أولاً في دائرة السينما في التلفزيون السوري، وهناك أنجز فيلمه الوثائقي وموضوعه فلسطيني بامتياز، وحمل اسم «بعيداً عن الوطن» عام 1969، وفيه يروي قصصاً عن أطفال فلسطين في أحد المخيمات الفلسطينية القريبة من دمشق، وهم من عائلات فلسطينية هجرت بعد النكبة عام 1948، ومن نازحي النكسة عام 1967، وعرض لمأساتهم عبر لغة سينمائية تكاملت مع مفهوم الزمن واللقطة والتتابع الزمني بشكل جديد وغير مسبوق في

تطوير النظرة للفيلم التسجيلي.

بعدها حقق الزبيدي فيلمه الروائي القصير والذي حمل عنوان «الزيارة» والفيلم محاولة لتقديم لوحة شعرية متكاملة لواقع الإنسان العربي والأزمة التي يعيشها داخل الأرض المحتلة، واستغل الزبيدي قصائد شعراء المقاومة الفلسطينية، محمود درويش، توفيق زياد، سميح قاسم، عبر محاولة تجريبية للبحث عن وسائل تعبيرية تستخدم الوثيقة العاطفية والجمالية باعتمادها على الشعر والصورة واللوحة التشكيلية، بعدها أنجز الزبيدي في عام 1972، فيلمه الوثائقي «شهادة الأطفال في زمن الحرب» اعتماداً على رسومات لأطفال فلسطين لورشة رسم فنية.

بعد أن أنهى عمله في دائرة السينما في التلفزيون السوري، التحق قيس الزبيدي بالمؤسسة العامة للسينما، وحقق فيها عام 1973، فيلمه الروائي الطويل «اليازرلي» عن قصة الروائي «حنا مينة» «على الأكياس» حيث نقل المخرج العراقي مشاهد من طفولته التي عاشها في بغداد، هذا الفيلم يعتبره الزبيدي بمثابة بيان في اللغة البصرية للسينما العربية، وطموحاً لوسيلة السرد السينمائي المختلف عن أفلام تلك الحقبة في السينما العربية.

قيس الزبيدي.. مونتيراً

في تلك المرحلة وإلى جانب عمل الزبيدي في الإخراج السينمائي، عمل أيضاً في المونتاج السينمائي، فقام بمونتاج عدد من الأفلام السورية والتي كانت مواضيعها تتمحور حول جوانب متعددة من القضية الفلسطينية من تلك الأفلام «إكليل الشوك» وهو روائي قصير من إخراج نبيل المالح، ويعالج قصة فتاة فلسطينية لاجئة تسكن في أحد المخيمات الفلسطينية. كما قام قيس الزبيدي بمونتاج أفلام ثلاثية «رجال تحت الشمس» وهي فيلم «الميلاد » للمخرج محمد شاهين، وفيلم نبيل المالح «المخاض»، ولمروان المؤذن فيلم «اللقاء» وفيلم «اليد» للمخرج قاسم حول وفيلم «المنام» للمخرج محمد ملص. «وكما كانت للزبيدي بصماته الواضحة في مونتاج أشهر الأفلام الفلسطينية منها فيلم «يوم الأرض» للمخرج غالب شعث، والذي تحدث عن الذكرى الأولى لانتفاضة يوم الأرض التي جرت عام 1976، وكذلك مونتاجه للفيلم الروائي الفلسطيني الأول «عائد إلى حيفا» من إخراج ابن موطنه قاسم حول في عام 1981، عن قصه الكاتب والروائي الشهيد غسان كنفاني.

قيس الزبيدي ورحلة طويلة مع الفيلم الوثائقي

في عام 1976 قدم الزبيدي فيلمه «نداء الأرض» الذي تطرق إلى موضوع عمليات التهويد والاستيطان التي يمارسها العدو ضد الأرض الفلسطينية وطرد سكانها منها وتحويلها إلى مناطق عسكرية.

الإنتاج الأغزر كماً ونوعاً قدمه المخرج قيس الزبيدي عندما التحق «بدائرة الثقافة والإعلام» في منظمة التحرير الفلسطينية في أواخر السبعينيات وكانت هذه الدائرة تقوم بإنتاج الأفلام الوثائقية والمسلسلات التلفزيونية التي تعنى بالقضية الفلسطينية.

ففي عام 1977 قدم الزبيدي فيلمه «صوت القدس» تناول فيه المغني الفلسطيني الملتزم مصطفى الكرد الذي كان يصدح بأغانيه الوطنية في فلسطين المحتلة فأضحى منشد وصوت الانتفاضة.

بعدها قدم الزبيدي سلسلة من الأفلام الوثائقية المهمة ومن خلال «دائرة الثقافة والأعلام» نذكر منها «وطن الأسلاك الشائكة» عن الحركة الاستيطانية في فلسطين المحتلة، كما تابع سينمائياً الاجتياح الإسرائيلي للبنان وصولاً إلى مجزرة صبرا وشاتيلا عام 1982، فكان فيلمه «ملف مجزرة» وقدم فيلمه الوثائقي الطويل الذي بدأ به من أحداث مؤتمر بازل وانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، وصولاً إلى دخول منظمة التحرير الفلسطينية في عضوية الأمم المتحدة عام 1974، فكان فيلم «فلسطين سجل شعب» حيث اعتمد الزبيدي في هذا الفيلم على مقابلات مع شخصيات وقادة ومؤرخين فلسطينيين قدموا قراءة للواقع الفلسطيني من أوائل القرن العشرين وحتى السبعينيات، واتكأ على وثائق بصرية نادرة مسبوكة في سياق بصري محكم الصنعة، مترافق مع قراءة وتعليق وسرد تاريخي بصوت الشاعر الراحل خالد أبو خالد.

ومن أواخر إنجازات المخرج قيس الزبيدي فيلمه «صوت الزمن الصامت» تناول فيه موضوع المحامية اليسارية فاليسيا لانغر، التي كانت تدافع عن السجناء والمعتقلين الفلسطينيين في سجون العدو وكذلك أنجز الزبيدي فيلمه الوثائقي عن الشاعر الفلسطينية «فدوى طوقان» أشهر الأصوات الشعرية النسائية في فلسطين والعالم العربي.

إضافة إلى حياته العملية في مجالات التصوير والمونتاج والإخراج السينمائي يعد قيس الزبيدي منظراً وكاتباً وناقداً ومؤرخاً سينمائياً من الطراز الأول فقد أثرى المكتبة السينمائية العربية بكثير من البحوث والدراسات النظرية في الفن السابع. ويعد قيس الزبيدي من أهم الذين أسسوا وعملوا وبحثوا في نظرية السينما. واهتم في دراساته المتعددة وأبحاثه بتاريخ فلسطين في السينما. وقدم إحصائيات عن الأفلام السينمائية التي تناولت القضية الفلسطينية على جميع الصعد الفلسطينية والعربية والعالمية.. وله يعود الفضل في جمع الأرشيف السينمائي الفلسطيني. وكل ما صنع من أفلام تناولت القضية والهم الفلسطيني. كما أنه نظم وشارك في دورات سينمائية عديدة في السيناريو والإخراج والمونتاج في دول عربية عديدة ونظم برامج خاصة عن السينما الفلسطينية لصالح العديد من المهرجانات العربية والدولية، وعمل في لجان اختيار الأفلام في مهرجانات دولية وكعضو في لجان التحكيم أيضاً وحصلت أفلامه التسجيلية على جوائز وشهادات تقدير في مهرجانات دمشق وبغداد وفلسطين وقرطاج وابرهاوزن ولايبزيج ودبي والبندقية وفي مهرجانات دولية عديدة.

وحظيت أفلامه بالكثير من الترحيب عند المشاهدين وجمهور النقاد والمتابعين والمختصين في الشأن السينمائي عربياً ودولياً...

وستبقى أعماله السينمائية وأبحاثه النظرية وإنتاجه العلمي والتوثيقي والبحثي رصيداً وذخراً وذكرى للراحل الكبير.

ورقة من غزة لغسان كنفاني

حليمة أبو ستة محامية فلسطينية - سورية

تحت وقع الظروف المعيشية والوطنية الصعبة، يلجأ البعض إلى البحث عن الخلاص الفردي على حساب الخلاص الجماعي، معتقداً أن بإمكانه أن يحل مشكلة خاصة، ليتفاجأ أن البعد الوطني حاضر في هويته التي يحملها، والتي تذكره بوطنه.. وهنا يبدأ رحلة مختلفة من حياته النفسية بين لجوئه الجديد، وذكريات الوطن والأهل والشعب، التي تدفع به للعودة إلى الوطن حتى ولو كان ميتاً، كما فعل المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد الذي عاش في المهجر سنوات طويلة، حيث أوصى بدفنه في مسقط رأسه فلسطين.

أبدأ من حيث انتهى العملاق غسان كنفاني.. كم هو حاضر بروحه العميقة الثاقبة، وكل شخوص قصته المؤثرة.. الحقيقية المبكية على لسان مصطفى (لن آتي إليك، بل عد أنت لنا لنتعلم من ساق ناديا المبتورة من أعلى الفخذ ما هي الحياة... وما هي قيمة الوجود؟؟!!)

وإني أرى أن هذه الرسالة التي أرسلها الكاتب إلى أهلنا في غزة عام (1956) مازالت حيّة، تجسد معاناة أهلنا هناك، وتنطق بوجدان الفلسطيني: أنا لن أرحل، أنا باق ومتجذر في أرضي.

هذه القصة بلسان شاب غزاوي حاصرته الحياة مثل غيره من الفلسطينيين بالبؤس، المعاناة، القهر، ومحاولة الهروب من العذاب إلى حياة قد تشبه الحياة؛ فكان مصطفى يحس أن أيامه فارغة من أي هدف سوى آخر الشهر.

وكان بطل القصة يستعد للسفر إلى أمريكا في عطلة الصيف، حيث ينتهي من عمله التدريسي في الكويت، ويرجع إلى غزة، ليودع أهله، محاولاً أن يضع هدفاً لحياته، ويحقق طموحه وذاته في السفر... نعم إنه يتوق للسفر، حيث الخضرة والماء والوجه الحسن، حسبه أنه يريد التفرغ لنفسه، وقد أجبرته الحياة على العيش من أجل أمه وأرملة أخيه وأولادها.

فقصتنا تنطق بأحلام الشباب في غزة، وهذا الصراع بين البقاء في وطن مقهور مليء بكل أسباب الفزع والتعب، وكل أسباب الرحيل، وبين حلم قد يشبه الحياة.

ونجد الرسالة التي يرسلها مصطفى إلى صديقه الذي دعاه للهجرة، ورتب له كل أمور السفر، بدل أن تكون استجابة، أصبحت دعوة إلى الوطن.. إلى غزة.. وهنا يدعوه ويدعونا جميعاً للوقوف أمام الحقيقة، أمام ما نهرب منه؛ لنتعلم من ساق ناديا المبتورة معنى الحياة السامية، وكيف آثرت أن تحمي إخوتها الصغار على النجاة بنفسها..

ونجد تحول مشاعر الكاتب من رغبة بالهروب في الكويت، إلى انجذاب للهجرة إلى أمريكا، للوصول إلى الحقيقة.. إلى القرار الراسخ بعد زيارته لناديا في المستشفى، قرر مصطفى البقاء، الصبر، والصمود في غزة.

الحقيقة راسخة في ضميرنا، تلاحقنا (كلعنة)، كالشمس الساطعة واضحة، موجودة، حتمية مهما حاولنا.. تنتظرنا وننتظرها كما الموت، كما القدر، فالمواجهة والتشبث بأرضنا خير سبيل.

وأجد قصة ورقة من غزة هي رمز من رموز الأدب، وأيقونة للهوية الفلسطينية العميقة، كشجر زيتون غزة.

القصة نجحت في تحويل معاناة فرد إلى صوت جماعي شعبي، يجسد ضمير وبوصلة الشعب الفلسطيني في الصمود، والتجذر بأرضه، فيصبح الهروب مستحيلاً، لأن الوطن ليس مكاناً فقط؛ بل ذاكرة، تاريخ، انتماء، وجسد ينزف... إنه الوطن في قلبنا، يعيش داخلنا، ونعيش فيه...

ثم يأتي مهرج صهيوني، يريد أن يقتلع الفلسطيني من غزة.. غزة باقية بأهلها، باقية بزيتونها وبياراتها..

رسالة لسيدات الغد

د. نجلاء الخضراء - كاتبة فلسطينية وباحثة في التراث سورية

إلى حوريتي البارة جوهرة الفؤاد وضي العين، لا تبخلي علي ببعض من وقتك لتقرئي ما خططته لك من حروف آمل أن تكون خارطتك في رحلة الحياة.

غاليتي كوني لنفسك أولاً واقتربي ممن تزدادين بجوارهم إشراقاً، وقتك وفكرك وقلبك أثمن ما تملكين لا تنفقيها إلا بما يليق بروعتك.

ابنتي الغالية عندما تكبرين ستجدين من يبحث عن سعادتك ومن يصارع لفشلك ومن يقترب منك لإيذائك ولكل منهم وجهه الغامض، فعليك أن تقدري الأمور بمقدارها الحقيقي ولا تتأثري بعسل الكلام، لا تجعلي بريق الدنيا يشتت نظرك عن وجهتك التي خططتي لها منذ البداية ولا تسمحي لقسوتها أن تغير ملامح قلبك المليء بالحب والعطاء، فالإنسان وليد بيئته التي صاغت له فكره وثقافته ومشاعره ومظهره الخارجي وهي مرآة تعكس احترام الناس لك وقبولك لديهم، وتعزز ثقتك بنفسك واحترامك لذاتك.

أميرتي الصغيرة، يقال: إن الانطباع الأول هو الانطباع الأخير وهو يتم خلال عدة ثوان ويبقى في الأذهان وتبنى عليه طريقة تعامل الناس معك، فاشهري هويتك يا بنتي وعبري عن تراثك ودللي على ثقافتك وارسليها مع النظرة الأولى بزيك فهو ثروة من المعلومات، وهو خير لسان يعبر عن انتمائك وشعبك وأمتك، وهو من أهم الوسائل المستخدمة في الكشف عن ثقافات الشعوب وحضاراتهم وهذا هو سبب تنوعها واختلافها من مكان لآخر، وهو سفير الجمال والأناقة والترجمان لمظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والسياسية والدينية، والمادة البصرية التي وثقت الحياة والطبيعة وتحدثت عن المجتمعات.

يا بنتي إن ثوبك رسالة تضعك ضمن سياق اجتماعي معين بما فيه من ألوان تنقل العواطف والمعاني والدلالات كالأمل والحرية بينما تحمل الزخارف والأنماط عمقاً وتعقيداً يساهم في التعبير عن جوانب متنوعة في الهوية.

يفرض إيقاع الحياة نفسه على العادات والممارسات حتى في الملبس يا بنتي ففي قديم الزمان عبر الزي عن المكانة الاجتماعية والحالة المادية والمهنة والعمل أيضاً أما اليوم فهو يعبر عن أسلوب الشخص وتفكيره وانتمائه، فارتدي تاريخك وعبري من خلاله عن قيمك وسلوكياتك وجسدي هويتك، واعملي على استنساخ موروثاتنا الشعبية ومساراتها بقدرات إبداعية تناسب حاضرك فتكون أزياء معاصرة تعمل على إحياء الذاكرة.

بالحداثة والمعاصرة والأصالة والذوق الرفيع تكونين في موقع قوة وندّ في نظر الآخرين في حين يضعك التقليد والتبعية في موقع الضعف والتهميش والإلغاء.

غاليتي أن تتمثلي بثياب تحمل هوية وتاريخاً غربياً يعني أن تنسلخي عن عروبتك وأصالتك وعمق تاريخك، وهو تبن لثقافات غريبة ونشرها في مجتمعاتنا العربية.

لقد فهم عدونا يا بنتي أهمية تراثنا وعمق تاريخنا وما يشكله من تهديد لوجوده وما فيه من إسباغ شرعية كاذبة لحقوقه في فلسطين فعمد إلى سرقة الثوب الفلسطيني ونسبه لتاريخ عبري مزيف بالرغم من التصاقه بالهوية الفلسطينية وحمله لمفردات المقاومة ضد الاحتلال، فجعل منه – العدو الصهيوني- زياً لمضيفات خطوط الطيران الخاصة به ما يجعل زوار فلسطين المحتلة يربطون هذا الثوب بالكيان الإسرائيلي كانطباع أولي لتلك الزيارة.

واستغل مصمم الأزياء (يرون مينكوفسكي) أحد أهم رموز المقاومة الفلسطينية وأقام عرضاً في تل أبيب ألبس فيه العارضات فساتين مصنوعة من الكوفية الفلسطينية بلونيها الأسود والأبيض والأبيض والأحمر بحجة تعزيز التعايش السلمي بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وبرر جريمته أمام الغضب الفلسطيني الكبير بأن الكوفية ليست عنصراً مسجلاً باسم العرب أو فلسطين على لوائح اليونسكو، إضافة إلى أنه صناعة صينية ما يثبت عدم وجود حقوق للملكية الفكرية وراء استخدامه. فمن لا يملك تراثاً يا بنتي يعي أن التراث روح وفطرة مرتبطة بالأرض والطبيعة، لذلك نراه يلهث خلف الأوراق والاثباتات، تعنتاً وإصراراً على المضي في ظلمه وعدوانه وانتهاكاته، وفرض سردياته التاريخية التي وضعها مؤسسو الصهيونية فقالوا فيها إن الجماعات التي أنشأت المدن الأولى في فلسطين هي من نسل القبائل العبرانية وكان هذا قبل وصول العرب إليها بمئات السنين. في سعي عنيد لوضع نفسه ضمن السياق التاريخي العربي القديم، وتوحيد مواطنيه أصحاب الخلفيات العرقية والثقافية المختلفة تحت مسمى واحد، وتشكيل علاقات جوار مع الدول المجاورة تحت مسمى التطبيع لكسر حاجز العداء التاريخي.

المرأة الفلسطينية يا بنتي أمينة حريصة على نقل تراثها الذي ارتبط بالأرض والشجر عبر الأجيال فهو الهوية والوثيقة التاريخية وسلاحها في حفظ حقها بأرضها المسلوبة، فنسجت عليه حكاية العمر وقصة الوطن ووصفت من خلال نقوشه وألوانه قريتها وأحوال بلدتها وخلدت رموزها وسجلت أفراحها ودمعات أرهقت قلبها وعكست عليه ألوان روحها، ليكون سيرتها الذاتية ويشي عنها وعن أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ومنطقتها الجغرافية.

كانت الفتاة الفلسطينية تتعلم التطريز منذ نعومة أظافرها، بمجرد أن تتمكن من الإمساك بالإبرة والخيط، فتأخذ مكانها بين الجدات والصبايا حتى تتقن أسس التطريز وفنونه لتبدأ العمل بثياب عرسها وأغطية رأسها ووسائد بيتها ومحارم عريسها، وتدخل سباقاً مع قريناتها في اختيار أجمل الزخارف وتنسيق الألوان، وحين تلتقي النساء في الأسواق والحافلات والأعراس كان بالإمكان تمييز أصولهن من طريقة تنسيق الثوب ووحداته الزخرفية، فرسمت نساء حيفا البرتقال وتزينت نساء الجليل بالأزهار وأوراق الأشجار، وقلدت زخارف الثوب في قرى نابلس وطولكرم واستبدلت بالشرائط الملونة، ورسمت نساء الخليل نقوش الزيتون والعنب، وفي بئر السبع نقلت النساء نجوم السماء فتلألأت على أجسادهن بمختلف الأشكال والأحجام، وفي بيت لحم استخدمت خيوط الذهب والفضة لتصميم ثوب الملكة الذي تألق بزخارف نباتية وأخرى على شكل حلي فريدة.

وعندما هجرت المرأة الفلسطينية من بيتها وأخرجت من بلدتها في عام 1948م حملت على جسدها ثوبها وفي جيبها مفتاح بيتها ضمن المقتنيات القليلة التي استطاعت حملها بعد ضياع أرضها وعمرها وأحلامها.

حولت المرأة الفلسطينية ثوبها التقليدي الشعبي إلى قوة تعبر عن التمسك بالهوية وسلاح يقف في وجه الأكاذيب والسرديات الصهيونية ودليل على وجودها الأزلي وتأصلها على أرض فلسطين، فقد كان لهذا الثوب أبجدية خاصة بأحرف وألوان حملت دلالات ومؤشرات غنية شكلت وثائق وسجلات أبهرت العالم بحجتها القوية، فسطرت بين طياتها العادات والممارسات والرموز والمعتقدات، وتحدثت عن المراحل التاريخية المتعددة التي مرت على أرض فلسطين، وعبرت عن الأفراح والأتراح والآمال، وأشارت إلى خصوصية كل منطقة وبلدة وقرية فكانت هوية ثقافية وتاريخية ووطنية رصدت ارتباط المرأة الفلسطينية بأرضها، وعشقها لطبيعتها، واهتمامها بتفاصيل حياتها، وعزمها في النضال بأساليبها الناعمة الأنثوية الفنية، والحفاظ على هويتها ونقلها عبر الأجيال ولتبقى فلسطين تنبض في قلب كل فلسطيني حر إلى يوم العودة والنصر والتحرير.

ريحانة الروح كتبت لك كلماتي بعد أن عادت ذاكرتي إلى الوراء وجالت مشاعري في تفاصيل عشتها مع أمي وجداتي، في جلسة استذكار لشمعات أضاءت بعيونهن طريقي، وصنعن من أجسادهن جسر عبوري، لأكمل الجسر بدوري، وتعبري غاليتي.

أقدم لك اليوم ما جمعته من زهور وأكاليل الورد لأفرشها لك أميرتي على طريق مستقبل زاهر وحياة حرة أتمناها لك ولصانعات الرجال ومنجبات الأحرار الأخيار، واعلمي أن الأشرار هم نتاج المستسلمات الخانعات من النساء، وأن سر عظمة المرأة وقوتها تكمن في ثقتها بنفسها وإيمانها بقضيتها المقدسة العادلة.

قفي مع نفسك غاليتي وقفة صادقة متأنية تبحثين فيها عن جوانب التقصير في علاقاتك مع ربك ونفسك ووطنك والمحيطين بك، وابحثي عن التوازن في شخصيتك وخططي لتكوني سليمة العقيدة ومتينة الخلق ومثقفة الفكر ومجاهدة في سبيل الله والوطن.

احبي الله يا بنتي بقلبك وعقلك واعلمي أنه أقرب إليك من هواء أنفاسك، عندها ستجدين طريقك المحمي بحماه. وليكن لديك دوماً قضية إنسانية تنتمين لها وتساهمين فيها، واجعلي من القدس بوصلة لك ومن فلسطين وطناً في صدرك ومن ثوبك هوية تعلنين بها عن شخصك.

حكاية
تشبه كلّ الحكايات (2)

محمد بلال ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

تحت وقع الظروف المعيشية والوطنية الصعبة، يلجأ البعض إلى البحث عن الخلاص الفردي على حساب الخلاص الجماعي، معتقداً أن بإمكانه أن يحل مشكلة خاصة، ليتفاجأ أن البعد الوطني حاضر في هويته التي يحملها، والتي تذكره بوطنه.. وهنا يبدأ رحلة مختلفة من حياته النفسية بين لجوئه الجديد، وذكريات الوطن والأهل والشعب، التي تدفع به للعودة إلى الوطن حتى ولو كان ميتاً، كما فعل المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد الذي عاش في المهجر سنوات طويلة، حيث أوصى بدفنه في مسقط رأسه فلسطين.

مع انتهاء ذاك النهار الصيفيّ الطويل الّذي بدأت حرارتُه اللاهبة تداعب جدائلَ الليل الرّطبة الّتي بدأت تبسطُ ظلّها الأسودَ على تلك الأمكنةِ المفتوحةِ المتّسعة لتفريغ نشاطِ طفولةٍ مكبوتةٍ قيّدتها أزّقةُ المخيّم الخانقة, وحطّمتها تبِعاتُ الحياة التي أثقلت كاهله الغضّ مبكّراً, في ذلك النّهار مارس الفتى طفولتَه بتطرّفٍ مُفرطٍ, وعاش يوماً منفلتاً من القيودِ والهموم قلّما يحظى بهِ, ليعود مساءً إلى بيته مثقلاً بالتّعب الممزوج بلذّة اللهو واللعب بعد أن تركت شمس القيظ بصمتَها على محيّاه ليزداد سمرةً وشحوباً.

بدأ ذلك اليوم بعد تسليم ورقة إجابة امتحانه الأخير للأستاذ «أبو خالد» , خرج من غرفة الصّفّ مسرعاً كسجين يعانق فجر الحريّة أوّل مرّة بعد ليالي الأسر الطويلة.

ودّع «مدرسة طبريا» بنظرات شامتة كارهة رغم افتتانه بها, كان يراها كغيرها من مدارس الوكالة كوكباً منفلتاً عن عالمه البسيطِ الذي ترعرعَ فيه, هذا الكوكب الأنيق المختلف عن الخيمة عن بيوت اللُبن غير المنضبطة في حيّزها المكاني المُرهق, مكانٌ متّسعٌ منظّم, جدرانٌ مطليّةٌ بألوان زاهية, بلاطٌ جميلٌ رُصفت به أرضيّةُ الصّفوف المستوية, أضواء كهربائيّة ساطعة مريحةٌ للعيون لا رائحة كاز وخّازة تزكم الأنوف تصدر منها, كلُّ هذه المعالمِ الجميلةِ لم تعدّ تهمّه في لحظة الحريّة هذه, يريد اليومَ أن ينطلقَ, أن يحطّم أغلال الشّغل والدراسة, أن يعيش في حضن الطبيعة, يلعب, يلهو, يفرّغ طاقاته المكبوتة.

وقع اختياره مع زملائه في ذلك اليوم على «وادي الزيديّ بسفوحه المنبسطة, ومياهه الضّحلة العفنة الهاربة من سدّ درعا» هذا الوادي الّذي كان وما يزال مسرحه المفضّل رغم ما يحتمله من تهديدات قد يتعرّض لها مع رفاقه بسبب احتكاكٍ لا بدّ منه مع أولاد درعا البلد الّذين يعتبرونه جزءاً من أملاكهم , وإن كان الحدّ الجغرافيّ الفاصل بين عالميهما.

افتتح الفتى ذلك اليوم بمشاركة رفاقه معركةً خاطفة مع جماعةٍ أخرى, معركة لا بدّ منها لإثبات الوجود وتحديد الأماكن التي يُسمح لكلّ منهم في اللّعب بها بأمان.

تبادلوا خلالها قذفَ الحجارة بما تيسّر لهم من أدوات القتال المعتادة من (نقيفات ومقليعات), مارس كلّ منهم دور الفارس الباحث أبداً عن بطولة تسجّل له أمام أقرانه تجسيداً لنزعة ذكوريّة صارخة تستدعي البسالة للخلاص من تُهم الجُبن والضّعف الّتي لا تليق بالرّجال في عالم بدائيّ موتورٍ قوامُه الصّراع والتّنافس والعراك المستمرّ, تقمّص الفتى دور المقاتل الشّجاع, تمثّلت له الحجارة قذائفَ أو رصاصاً يطلقها من يده النحيلة بكلّ ما أوتي من قوّة تجاه العدوّ المفترض, حاول أن يصنع بطولةً تُسجّل له , لكنّه فشل كحال أقرانه بعد أن استبدّ بهم التعب وألهبتهم الشّمس بأشعّتها الحارقة وما فرضته على أجسادهم من تعرّق شديد, فأعلن الفريقان انتهاء المعركة لا غالبَ ولا مغلوب. تقاسم الطّرفان بعدها مناطق النّفوذ كعادة كلّ الكتل البشريّة المتناحرة على الماء والكلأ عبر التّاريخ, أو قل قطعان الحيوانات في البراري الشّاسعة الّتي تتصارع بشراسة على أراضي الرعي والنفوذ.

اصطفّ الأطفال المقاتلون من كلا الفريقين خلف زعيميهما.

اقترح زعيم عصابة الفتى:

- نحن سنذهب إلى أمّ الطواقي, وأنتم تلعبون هنا, ما رأيكم؟

بعد جدلٍ وضجيج وتحدٍّ ذكوريّ ساذجٍ لم يدم طويلاً وافق الطّرفان على المقترح معلنين بذلك هدنةً هشّةً ليس من عادتها أن تصمد طويلاً.

«ليتنا لم نمت قبلكم»

قاسم حداد ـ شاعر من البحرين

ليتكم لا تموتون مثل العصافير قتلى
فالأرض بالمستحيلات حبلى
ليتنا لا نموت
مثل البيوت
ليت أصغرنا مثلنا
يحمل الموت في راحتيه
ويرسمنا هدفاً للقنابل
من قال إنا نقاتل
ومن قال إنا نموت، وقتلى
من الموت قتلى
من العيش قتلى
من الحب قتلى
من الجوع قتلى
ففي غزة المستحيلات تتلى
جنود وقتلى
ليتنا لم نمت قبلكم
مثلكم
مثلما تبدو فلسطين مأخوذة
جنةً للطفولة وهي تموت
للنساء التي تستجير بما يبني البيوت
ليتنا كلنا لا نموت
مثلما مات في النورس حلم البحار
مثلما مات النهار قبل انتهاء الليالي
مثل أيامنا بالتوالي
ليتنا لم نمت
مثلنا لا يموت
قبل النساء
قبل الدماء
تسبق النصل وهو يحزّ الوريد
ماذا نريد من الموت
ما الذي يسبق الموت
ماذا نؤجل
نحن يتامى وكسلى
ماذا نقدم
ماذا يقول الذي مات من قبلنا
مثلنا ماذا يقول
نحن الضحايا المصابون بالقتل
نحن الطفولة تسبق أحلامنا
نحن النساء اللواتي صَحَوْنَ اقتراحاً
على من تَأَجّلَ
نحن النساء اللواتي تَقدمَ موت الكلام
على موتها
ما الذي يفعل الموت فينا
ونحن الضحايا
ونحن البقايا.
كتابٌ وموتى.
نموت ولن يعرف الموت أخبارنا.
هل نموت؟

تحت كل فضيحة فضيحة

عبد النور الهنداوي ـ شاعر من سورية

أمام أمريكا..

لا تستطيع إلّا أن تكون أمريكياً، لأن الذي يملك القوّة،

يعرف كيف التعاطي مع الجزء المتبقّي من العالم.

هل أصبحنا كائنات مجفّفة، واختزلنا تلك الصوَر المرعبة التي جعلتنا نتقن فنّ النوم العميق، والغيبوبة العميقة، والسقوط العميق، واللامبالاة العميقة؟!

نحن الذين كنّا نوظّف قلوبنا في خدمة القمر، أصبحت قلوبنا، تتقن فنّ التورّط في العذاب.

منذ وقت طويل، ونحن نحمل الصدى فوق ظهورنا، ونمشي وراء آهات كثيرة، وكأن الأمكنة صارت أكثر كثافة من أن تختزلها القصائد، والمقامات، وروايات ما بعد منتصف الليل؛

وحتى الفرح الذي هو ضرورة مهمّة لإعادة تشكيل عيون البلاد، والقصائد، والليالي الملاح.

أمام أمريكا.. أصبحنا كائنات بارعة في إنتاج الليل، هي نفسها الكائنات التي صنعت رحيلاً خارقاً، وسعالاً طاعناً في السن، حين بدأنا نحاور بعضنا في عبثية الأفق. وإنّنا بانتمائنا الخجول، وزّعنا أصابعنا الصاخبة، بين جنون المكان الذي نحن فيه، وبين عبقرية الكاوبوي التي دلّتنا على الأشياء الفذّة التي عثرنا عليها، وما أصابها واعتراها في اللاوعي، من ارتطام عيوننا بالأشياء الجديدة التي قتلت أيامنا.

هل حقاً أنه يُفترض أن تكون بربرياً، لتكون عربياً؟

لاحظوا كيف أمريكا رجمت الحكّام العرب بالذهب، وجرّدتهم من كل قطرة ماء في وجوههم.

فالهذيان الذي له وجهه الآخر، لم يبق أمامه، ولا حجرٍ على حجرٍ أبداً، وكأن الخلاص، مهنة أو صفة رديئة جداً.. ورائعة جداً، أن يبحث العربي عن الخلاص !

لا أظن أن النصّ التوراتي يمنعنا من الذهاب إلى الحياة.

أو أننا نوع من الكائنات التي لا تأخذ بالأسباب، أو التساؤل، وما إذا نستحق أن نكون ذلك النوع البشريّ وأننا نذهب إلى قبورنا على. نفقتنا الخاصة.

يعني:

بدلَ أن ندخل في الحياة، أو في الفناء. صارت أمريكا تتدخّل في أنسنتنا،

وفي شفاه نسائنا، وقصائدنا، وكلّ ما نمتلك من خطوات.

كل الأمكنة العربية تحت ثيابها، بل في الهاوية، ولأننا نغتسل ببعضنا البعض، يجب أن تظلّ خطيئتنا تتقيّأ نفسها كي تصبح مستودعات بائسة لمفرداتهم الفاسدة.

هل حدث تصدّع في الأنين العربي الذي لم ولن يتوقف إلى الأبد؟ أم أن الخيال الذي يلتصق به هذا الأنين، صار بحاجة إلى أحذية كي لا يخوّض في العيون المرمّدة، أو في المسافات، أو في قصائدنا التي تحوّلت إلى صفيح؟!.

نحن جثث تتمتّع بكامل سلطاتها يقول الغرب: طبعاً وتكون اللحظات قد تحوّلت إلى كرنفال بهيّ ولانهائي من الهياكل العظمية.. وقد تستعين بنصوص فائقة من التوراة لتغطية الأحذية التي رفضت التعاطي حتى مع آهاتنا.

ثمّة دفء نادر في أحاسيسنا الميتة، هل نستعدّ مثلاً لخوض الحروب ضدّ نسياننا؟. أقصد هل نحن «ولدنا» لخوض هذه الحرب، لنشعر، أننا وأحزاننا وإرثنا، في صناديق القمامة؟

المشهد العربي، انفجرت في وجهه القبضات، لأنه حاول جاهداً أن يكون ضدّ الرهان، أو أن الماضي لا زال يثير دهشته، ودهشة الأشياء التي في داخله.

حاخام أمريكي يقول: من الضروري شنّ حرب ضدّ أي عربي، لكي يبقى لدينا زمن، وبالتالي لكي تبقى البشرية.

ولولا العرب لوصلت البشرية إلى المدينة الفاضلة !

أمام هذا الكلام، هل نبحث عن العربي الذي يريده هذا اليهودي في المريخ، أم في الأدغال، أم في الكهوف؟ !

يقول في مكان آخر: ابحثوا عن العرب في صدام الحضارات وتعقّبوا العربي كي لا يتكاثر أولاً، وثانياً كي لا تكون الكرة الأرضية تعاني - من - جدلية الأقدام.

في منطق أمريكا، ليس لدينا قواسم مشاركة تؤكّد، أنّ لدينا حضارة، أو سمات خاصة لوجودنا.. وقيل أيضاً، إنه يوجد لدينا فقط مستودعات لا توصف من الأفكار الهزيلة، ويعود بعضها أو كلّها إلى عهد قابيل وهابيل، فيما ينتمي بعضها الآخر، إلى الأيام العبثية الأولى، مروراً بمعرفة الرماد، وثقافة الرماد.

يعني، أننا نعيش في أزمة بنيوية مزمنة وخانقة، وهذا ما نراه عياناً بياناً، أننا «ننتهي» بأيدينا.

كل هذه الإنسانية التي نحملها.. ونردّد نحن خير أمة أخرجت للناس.

من منّا لم يسمع أو قرأ عن ورثة الليل؟ والدم العربي الذي شاخ وترهّل وتفاعل مع المستنقعات، بدل أن يتفاعل مع التاريخ.

يبدو انّ لدينا تقنيات خاصة «بعدم» سقوط ورقة التوت، ورؤية المناطق الحسّاسة جداً التي تكوّنت بها إمكاناتنا البليدة، ونعرف أنها تعرف مدى الهلع الذي جعلنا من ذوي «أكَلَة الهواء»، أو من الذين يمتلكون خيالاً صالحاً للقتل.

قلت مرة: إن أجسادنا لا تزال طازجة، ونضرة، ومزدهرة، وقادرة على استعمال ثيابها بشكل يليق بكلّ خطيئة؛ لأنها نسيت كيف أصابعنا قد عادت إلى سحرها، لتوثيق كيف انكسرت عيوننا إلى الأبد !

المسالة لدينا لا تحتاج إلّا لبعض التعاويذ المراد حفظها وتلاوتها، لنرى كيف امتلأنا بقدرة قادر بكميات هائلة من القبلية الأولى التي دلتّنا على الأيديولوجيا وهي تأكل بعضها البعض، لرؤية سلالات لا يمكن إبادتها، إلّا بذلك الاهتزاز الذي لو انفجر لكنّا من صنف آكلي لحوم البشر.

لنقلب الصورة الرمادية، ونتناول الصورة الزاهية للحلم الأمريكي الذي يثير شهيّة الملائكة.. طبعاً دون أن ينكر أحد القادة العرب بقوله : لولا أمريكا لأكل العالم العالم.

هنا أذكر ردّاً رائعاً للكاتب الأمريكي الأسود المناهض جيمس بالدوين يقول: إنني أحمل في داخلي صراخاً عظيماً بالتأكيد هو صراخ الرماد.. يا إلهي إنني أعاني بل أعيش الآن صدمة الخوف !

بعض قادة العرب الأشاوس، يتذكرون فقط الأيام الجميلة مع أمريكا، ويتجاهلون الإيقاع الدموي الذي أربكهم خفية واستبسلت جلودهم أكراماً لسيدة العالم.

_ عرّفونا على السقوط، وأن تحت كل فضيحة فضيحة.

_ أصابعنا من القشّ، لنكتب بها ضياعنا الضائع.

_ متّهمون أننا أقل من أن نكون بشراً، وأكثر شعوب الأرض اقتتالاً لتناول الطعام الطيب من وجوهنا.

_ حتى الأنين لا يتوقف عند حدود معيّنة، لأن جثثنا تتمتّع بكل السلطات التي يمكن أن يتصورها الخيال.

_ أصابع العربي من المخمل، لتحريك الدم، لأن ثمّة من يغرز السكين في خاصرة الثلج.

حدث أن حاولت أن أغسل بأصابعي الهواء، وأحياناً الأماكن الفارغة، لكنني فوجئت بمن يقف هناك ليغسل وجه الخطيئة.

هزائمنا مجرّدة.. لتذهب حيث يذهب الله

يا أمريكا

يا نعشنا الجميل !

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى

الشهيد المرفيق المقاتل

رعد نضال عبد الله العمواسي

«أبو الأمير»

شهيداً على طريق القدس وفلسطين، والذي استشهد بعد أن أدى واجبه النضالي والكفاحي في الدفاع عن شعبنا باستهداف غادر من قبل طائرة مسيرة صهيونية في حي البرازيل بمدينة رفح يوم الجمعة الموافق 2025/02/28

فقاعة

مروان عبد العال

من الفقاعة نحن أو اليانكي؟ سؤال محيّر، لا يتقبله الواقع، مثلما يسألك أحدهم في زمن الحرب، كيف حالك؟ لأن الجواب سيكون غرائبياً يشبه الرئيس المتهور؟ سياسة التظاهر بالجنون، ترويج ما لا يصدق، خاصة أننا في زمن فقاعات كالبالونة الملونة، بقصد الخديعة واستثمار النية الحسنة.

كيف الحال؟ الإجابة ستكون كذبة كبيرة بحجم الحرب التي تنهش عظامنا وتشوي لحمنا؛ ما الحال؟ ليس آمالاً مجنحة، وتصورات خيالية، فقاعة البيت الأبيض يعلنها هولاكو العصر بصحبة جزار مطلوب للعدالة، ليستبدل حملته من "جعل أمريكا عظيمة مرة أخرى" إلى "جعل غزة أمريكية"! وليبتسم ضيفه الصهيوني معجباً به وبأيديولوجية النتانة: إنها "فكرة مذهلة"! بعد أن فشل في ترويج خطة "الفقاعات" التي تم تداولها، وهي معازل داخل غزة وصفت أنها فقاعات إنسانية بعيدة عن المقاومة المسلحة، لكنها فقاعة أخرى تهاوت عند أول ملامسة للحقيقة.

يقول غوستاف لوبون: "إن محرّكي الجماهير من الخطباء، لا يتوجهون إلى عقلها، بل إلى عاطفتها، فقوانين المنطق العقلاني ليس لها أي تأثير فيها"، ثم جاء الإعلان عن فقاعة كبرى اسمها (ريفييرا الشرق الأوسط).

الفقاعات الزائفة! تأخذ صفة الإنسانية، الفكرة تعود إلى القرون الوسطى، حين يقوم الإمبراطور بتعليق الرؤوس المقطوعة على جدران قصره، ليبني فقاعة خاصة بمن يواليه، تحميه من قطع الرأس، وهذه المرة في البيت الأبيض، يلتقي جنون العظمة والحماقة الخارقة.

نتذكر بول ريكور، عندما يصف الخيال والذاكرة بأن لهما سمة مشتركة هي حضور الغائب، الوعي الحميم للزمان، الاستحضار يعني أن تصف شيئاً معيناً بصورة غير مباشرة، الفكرة لها صلة بهذين النمطين: الخيال والصورة.

رئيس خارج الصندوق أو خارج العقل، كما وصفه كاتب أمريكي بكتاب "عبقري متوازن للغاية"، ليعكس جهل ترامب بوقائع جغرافية وتاريخية أساسية، عندما حان موعد الحصاد والمعادن، تحول إلى اللص "ترامب"، مستعيراً خطابات "هتلر" في وجه فريسته الممثل الأوكراني زلينسكي، في موقعة عرين الغزاة البيض، هناك يقبع الإمبراطور جانكيز خان يلتهم المدن ويحرق سمرقند، يهدد بنزع سلاح سكانها، ملوحاً لي بجنسيته "الإسرائيلية".

في الصغر كنا نلعب مع فقاعة الصابون، ننفخها في الهواء ونطاردها وما أن ترتفع قليلاً في الهواء حتى يصيبها الانفجار، كانت حرباً مع فقاعة كاذبة لا مثيل لها لكن نحب أن نطفئها، وننظر إليها وهي تتحول إلى رذاذ تحت أشعة الشمس، ربما لأننا نجد فيها كل الذين خدعونا وأفسدوا أحلامنا وصادروا أرواحنا.

سمعت قصص الخيال على لسان أبي، خيالٌ إبداعي جميل، نبحث عنه في حكايا الشتاء، نتدرب عليه منذ الصغر، اعتراف بقساوة الواقع لا هروب منه، كي لا نستسلم له، ندرب إنسانيتنا على البقاء ولو كان خيالاً، ليصير واقعاً، كالذي أنتج بطولة جماعية تجاوزت الخيال، والبطولة الشعبية تنجب فائض البطولة، لم تكن فقاعة بل واقع من سيرة سيف بن ذي يزن، يتفقد أحياء غزة، يتقمّص صورة المغوار محمد الضيف وفروسية يحيى السنوار، ويشتق شجاعة استثنائية في خيالنا المحارب من أجل ألف ليلة وليلة وكرامة عربية، يبصقها طفل غزاوي على حقارة اليانكي فخطابه مجرد فقاعة سياسية هائلة ستنفجر في لحظة.

الشاعر الهندي إقبال لاهوري وصف لنا هلوستنا الخاصة القاتلة «أيها الغرب! لقد كنا نجرح بسببك، فالخنجر خنجرك، والدم يتدفق من أجسادنا، وما زلنا في انتظار العلاج منك!» المشكلة لمن ينتظر العلاج!، لماذا نحن ضد أنفسنا؟ لأننا لا نملك مشروعاً استراتيجياً واحد، هكذا السياسة بدون مشروع تصبح الهلوسة، وسنبقى ضحاياها ندور داخل الفقاعة طالما لم نعالج أنفسنا من العجز والارتجال وردات الفعل، هذه الفقاعة ستنتهي والأهم أن نشفى منها حتى لا نظل ضحايا لزمن الفقاعة.

الهدف AL-HADAF